

الرواية العالمية

٢٥

زنانة من زجاج

تأليف: باتريشيا هاسميث

ترجمة وتقديم: سميرة عبد العزيز



رئيس مجلس الإدارة:

أ.د. سمير سرحان

رئيس التحرير:

فتحى العشرى

المترجم الفنى:

رفيق يونس

زَنَازَةُ مَنْ زَجَّاجٌ

تأليف

باتريشيا هايسميث

ترجمة وتقديم

سميحة عبد العزيز



الهيئة العامة للكتاب

١٩٩٣

الفلاف : الفنان سعيد المسبرى
الاخراج الفنى : محمد المحجوب

عالم باتريشيا هايسميث

انضم اخيرا السيد ريبلى الى الشخصيات البوليسية الادبية الشهيرة بعد شارلوك هولمز وارسين لوبين والمفتش بواروور وكامبول . لكن توم ريبلى هو اكثر هذه الشخصيات انسانية واكثرهم ارتباطا بالسلوك البشرى العادى . والجريمة لديه ليست متعمدة وليست عبارة عن تحقيقات ومطاردات بوليسية بين بعض المفامرين او القتلة . لكنها حدث بشرى يحدث في ظروف حتمية لا مفر من حدوثها . . . ومثل هذه الشخصيات لا يجيد صناعتها سوى الكاتبة الأمريكية باتريشيا هايسميث التى جسدتها في عدة روايات سنلقى حول بعضها الاضواء من خلال ادب الكاتبة .

ولدت باتريشيا في نورث بولاية تكساس في التاسع عشر من يناير عام ١٩٢١ . . . وقد طلقت والدتها وهى في الثالثة من عمرها . تزوجت امها من رجل لم ينجب قط . يدعى ستانلى هايسميث الذى تبني الفتاة فأصبحت ابنته الشرعية . وكان بالنسبة لها - كما سنرى - اكثر حنانا وابوة من ابيها الذى هجرها تماما .

اكتشفت الصغيرة بات انشاء دراستها الابتدائية حقيقة ستاتلى لها مما سبب لها صدمة شديدة . . وجعل امها تسجلها تحت لقب هايسميث . وقد اعتبرت هذه الحادثة أولى مواجهات الصغيرة مع العديد من احداث عاشتها بعد ذلك فزوج امها كان اكثر حنانا وعطفا من ابيها .

وعن امها تقول : (اعرفها اقل مما اعرف اى انسان آخر . اتصدق اننى موضوعية . وهكذا امى . وانا معجبة جدا بشجاعتها . فقد طلقت . وكانت هى التى قررت ذلك . ورفضت النفقة التى اقترح ابي دفعها لها . . اليوم اقدر تلك الامومة التى فعلتها بالنسبة لى ومن اجل دراستى . فالدراسة تتكلف كثيرا فى الولايات المتحدة بالجامعة . رحلت الى كولومبيا . وعندما تخرجت من جامعتها فى سن الحادية والعشرين كنت قد تعلمت اللغة اللاتينية . والاغريقية . مما ساعدنى ان اصبحت مؤلفة ورسوم متحركة . وقد اتاحت لى هذه اللعبة ان اصبحت مشهورة (الغرفة الثرية) مثل فرجينيا وولف . اما شهرتى انما هى متواضعة وهى اشبه بغرفة دون صالة استحمام .

وعن جدتها تقول : « كنت احبها وكم رغبت ان اعيش معها . اما امى فهى على العكس . . شعرت بالضيق بعد ان هجرت امى . . وقد انفلقت على نفسى بعد ذلك بالرغم ان زوج امى كان يمثل بالنسبة لى عاطفة رقيقة . واعتقد اننى كنت احبه » .

وباثريشيا لم تكف عن الكتابة منذ ان بلغت الثامنة عشرة من عمرها . قرضت الشعر وكتبت المقالات والقصص القصيرة . ثم قررت ان تتجه الى كتابة الرواية . تسألنى لماذا اخترت قصة الجريمة لقد اخترت الفكرة لذهنى دون مقدمات ، لم اكن قد قرأت اية قصة بوليسية (ومازلت حتى اليوم اجهل وقائع هذا الامر) فلا اعرف آجائا كريسكى (او (كونان دويل) ولكنى

افضل عادة قراءة تولستوى ودوستويفسكى . وهنرى جيمس) .

كتبت فى اول الامر روايتين وعندما عرضت ما كتبت على الناشرين لم توفق . الا انها عندما كتبت (غريبان فى قطار) لم تلق فى اول الامر نفس الاقبال (ليست الامور فى الولايات المتحدة مثلها فى فرنسا) فيجب الحصول على مقدمة مناسبة حول الخمسين صفحة الاولى من المسودة . وقد عرضت نصف الرواية لانى فى حاجة الى نقود ادفعها الى صاحب المنزل . لكنهم لم يؤمنوا بعملية تبادل الجريمة بين بطلى الرواية .

وهذه الرواية تدور حول مجهول يركب قطارا . ويقترح على رفيق له - قابله فى القطار - ان يتولى قتل امرأة . على ان يقوم هذا المجهول بقتل ام الرفيق . ويذهب الاثنان لتنفيذ الخطة . ينجح احدهما . اما الآخر فيفشل . وتكون نهايته القتل .

وقد اشترى المخرج (الفريد هيتشكوك) حقوق تحويل هذه الرواية الى فيلم خلال اسبوع من نشرها .

وقد لقي الفيلم نجاحا مماثلا للكتاب . غمرت شهرة باتريشيا هايسميث العالم كله وليس فى الولايات المتحدة وحدها . اصبحت معروفة داخل أوروبا واليابان . وعرفت بانها اول رواية تمزج بين الانفعالات النفسية والادب البوليسى (لست مؤلفة روايات بوليسية) لانى لا اهتم بان اضع فيها التوتر او الغموض ، وكذلك رجال الشرطة . لكن سلوك احد المجرمين قد يسحرني فجأة وهذا الامر يمكن ان يسرى علينا جميعا . وذلك من حيث ظاهرة ردود فعله التى سلكها . فان الحوار العادى يصبح بالنسبة لى اكثر سحرا بمجرد ان المسه فى غرائزى . وهذا هو دينامو رواياتى . .)

الشخصيات الأدبية التي تصنعها بانريشيا هايسميث ذات مشاعر متوترة وليست لديها أية نية لارتكاب أية جرائم وتطحن من ظروف خارجة عنها . تتجسد في روايتها (الرجل الذي يحكى قصصا) فيتخيل انه قد قام بقتل زوجته . وتزداد حدة التخيل لدرجة انه يبدأ في التصرف كأنه قتل فعلا رغم انه لم يرتكب شيئا . الشك والارتياح .. والخوف من ان يكشفه الناس .. وفي (يوميات أديث) نرى البطل امرأة على غير عادة بات . وتكرر هذا الأمر في رواية أخرى هي (القتل للقتل) التي تتحدث عنها قائلة (أنا لا اخترع أحداثا .. ولكننى اقرا الصحف من أول سطر الى آخر سطر . وهذه الصحف هي التي تلهمنى . ففيها يمكن ان تجد قمة الرعب اليومى . فالصحيفة هي مختارات من الحكايات المجردة لكننى انتهيت بأن آمنت إن القراء يترفعون عن تصديق الخيال أكثر من القصص الواقعية . مما جعلنى أؤمن ان الانسان كائن عبثى) .

وأديث ليست امرأة مخيفة ولكنها على العكس . امرأة رقيقة . متزوجة . وأم لطفل . وهى تنتمى الى البرجوازية الليبرالية التى تسمى الى تحقيق حلم قديم لديها بأن تسمى الى السكن فى احدى ضواحي نيويورك الفخمة . ويمكن اعتبار هذه الرواية انها عشرون عاما من حياة زوجة عصرية . او انها آلام وعذابات امرأة تعيش داخل منزل . فاذا كانت الزوجة (فى الزناوة الزوجية) تصرح انها لا يمكنها التقاعد فى المنزل لأنها اعتادت على العمل والخروج فأديث امرأة أكثر سكونا واقل حركة . تعيش داخل نفسها . وتفكر فى ارتكاب أشياء غريبة . أى أن الوحدة تعتبر واقعا آخر لدى بانريشيا لممارسة الجريمة . ويمكن القول ان هذه الرواية قد كتبت بأسلوب رجل . ففيها نرى كم من العداة تكنه بانريشيا لنساء مثلها . فبعد أن أدانت

الزوجة في الزنزانة . فانها من جديد تدين أديث . وحول هذا الأمر صرحت يوما : (أنا ببساطة امرأة واقعية . فالؤمنون بالمذهب النسائي لا يمارسونه . وأنا أؤكد على ذلك وأنا أعلن مساواة أجرهن في العمل . لكنهن في أغلب الأحيان يهتفن في صحراء) .

وهذه الأديث هي امرأة قريبة في صفاتها الأنثوية الى باتريشيا (ليست برجوازية صغيرة) من هؤلاء اللاتي نسمع عنهن بأسلوب متواضع . فهي تكتب . وترسم . وتقوم بالنحت كما أنها تهتم بالكثير من المشاكل السياسية . ذكية . رقيقة وربما مجنونة نوعا ما ، وهي تعيش حياتها الخاصة فبعد ان كان يعيش زوجها في المنزل أشبه بشبح يتحرك هنا وهناك دون أدنى تأثير أو تأثير لما يحدث . يتركها ويتزوج من سكرتيرته . أما خالها المعجوز فقد عانى من مرض لمدة عشرة أعوام يحتضر خلالها . وابنها الصغير يعيش مع أمه . . لا يحس بها . . ولا يشاركها عالمها . . ولأديث عالمها الخاص في المنزل . كما ان لها أصدقاءها وهي تعيش حياة وردية . وقد دونت أديث يومياتها طوال عشرين عاما بصدق قريب . لكنها تضطر يوما أن تكتب وتكتب في هذه اليوميات أشياء لم تحدث قط .

وإذا كانت باتريشيا تحتقر بنات جنسها من النساء فانها تعشق الحيوانات الى حد بعيد ففي روايتها (الفأر فينيسيا) نرى ان لهذا الحيوان عيونا مضروبة . قد خرقها ذات يوم شابان صغيران ويعيش الفأر حياته الطبيعية بأسلوب فريد . يتنزه وحده في شوارع فينيسيا ومياهاها وقد ملأه الكبرياء يرقب عجوزين من السائحين . وشجاعة هذا الفأر تجلب له نوعا من الراحة النفسية ، ذات يوم يقع بين أيدي طفلين صغيرين . وهذان

الطفلان يشكلان جهنم لكنه يتمكن من الهرب من منزلهما ويعيش في مكان آخر .

وتعتبر قصة (يوم الفران) أروع أقاصيص هذه المجموعة مزارع يربى الفراخ بأسلوب الكترونى منذ فترة طويلة داخل (أقفاص ضيقة للغاية) وهذا النوع من التربية الآلية تجعل المربي يصاب بسلوك غير آدمى . تحن زوجة الفلاح الى حياتها القديمة عندما كانت الدواجن تهرول فى الفناء بحريتها . وقد أثر فيها موت ابنتها بعد حادث مفرج . فقد كانت الصغيرة تجرى وراء قطها مما جعلها تصاب من جهاز آلى أصابها فى عنبر الدواجن . وتصاب الأم باليأس والخجل . فتنهز الليل كى تقوم بتحرير كل الدواجن التى أصابها مس من الجنون . فالإنسان عند بات هو الذى يصنع الدم ويستبيح لنفسه دماء الآخرين .

وعن حبها للحيوان أيضا تكتب (فدية كلب) عام ١٩٧٧ حول كلب يعيش مع عائلة ثرية فى إحدى ضواحي نيويورك . والكلب شغوف بالأعمال التى يمارسها أحد رجال الشرطة الشباب المثاليين وهو يكتشف شابا مسكينا مصابا بداء الانقصاص النفسى . يدخل فى علاقة غريبة مع أناس يبشون الرعب فى قلبه . وبداية هذه الرواية تتسم بالسرعة والحركة ثم تمتلئ برقابة الحياة وروتينها .

وتعود باتريشيا كمعادتها دائما الى التعاطف مع الطبقة البرجوازية فى (هذا الغريب السيئ) عام ١٩٦٧ . وفيها تتعرض لحياة ديفيد آخر . يعمل عاملا فى أحد مصانع ضاحية نيويورك . يعيش حياته العادية كأنها حياة خاصة . أعزب يقيم فى مسكن متواضع . ولا أحد يعرف حوله ان كان قد ارتبط بعلاقات عاطفية أو بأصدقاء سوى فرنسوا زميله فى العمل الذى يقضى فيه أغلب أوقاله .

وفي العمارة التي يسكن فيها يعيش أيضا شوين صاحب العمارة الذي يعول والديه المريضين وفي الشقة التي أسفله تسكن فتاة جميلة تدعى جوليت . خجولة لا تتوقف عن مراقبة هذا المؤنب الذي لا يحادثها قط . ويرحل ديفيد يوما الى الريف ليقوم برعاية أبويه . لكنه لم يذهب الى هناك . كان أبواه قد ماتا منذ زمن طويل . وعندما تسعى جوليت الى معرفة سره تعرف انه يقضى أيام الأحاد في مسكن صغير تخفيه الغابات .

أما أشهر شخصية صنعتها باتريشيا فهي توم ريبلى التي جسدتها في أربع روايات هي (السيد ريبلى) و (ريبلى في الظلام) و (ريبلى يتسلى) التي أخرجتها السينما الألمانية بعنوان الصديق الأمريكى و (فى خطى ريبلى) . وريبلى هو شخص يسرق ويقتل من أجل أن يعيش فهو الذى يحرض جوناثان على ارتكاب جريمة قتل من أجل مصاحبته . وجوناثان أيضا شخص من طبقة متوسطة مثل بقية أشخاص بات . أصيب بمرض ويرغب جوناثان أن يقدم لزوجته وابنته ثروة طيبة تجعلهما يتمكنان من العيش الرغد بعد وفاته . ويلتقى يوما بشخص غريب يقص عليه قصته فيطلب أن يقوم بقتل شخص لا يعرفه يسكن فى باريس على أن يعطيه ريبلى هذا كل ما يطلب من نقود كي تتمكن أسرته من الحياة الرغدة .

وتقوم بين جوناثان وبين توم ريبلى علاقة غريبة . فكل منهما يود أن ينفذ اتفاق الآخر . . لكن جوناثان يصاب بعدة انهيارات عصبية فى مترو باريس . لقد تأكد أن الشخص الذى سيقتله هو أيضا مثله انسان مريض فيقرر الا يفعل شيئا لا يجيده سوى رجال محترفين . فهو لا يقبل أن يصبح سلاحا أصم وأعمى . آلة لا تستخدم سوى فى القتل واسالة الدماء .

والجدير بالذكر ان باتريشيا تعشق المدن الأوروبية :

باريس ، برلين ، هامبورج ، فقد تركت نيويورك عام 1968 لتستقر بصفة نهائية في باريس . واذا كانت مرجريت بورستار قد هاجرت من فرنسا كي تقيم في الولايات المتحدة داخل جزيرة معزولة قريبة من الصحراء . فان باتريشيا فعلت العكس .

اما المانيا فقد عاشت فيها كثيرا ولها هناك اصدقاء كثيرون . وانتجت السينما الالمانية فيلمين مأخوذين عن أعمالها . ميونخ مدينة رقيقة تختلف عن باريس ولندن . وفيها يوجد كل الجيل الذي يمثل السينما الالمانية .

واذا كان جورج سيمون اشهر روائي للشكل البوليسى في فرنسا قد كتب اكثر من اربعمائة وخمسين رواية فضلا عن مذكراته التي نشرها في عشرة اجزاء طويلة . فان باتريشيا تختلف عنه كثيرا (انا بطيئة . اقل احترافا . احاول أن اكتب ثمانى صفحات . وعندما اكتب رواية . . فأننى اكتبها مرتين أو ثلاث) .

وقد ارتبطت بات بالكثير من أبناء جيلها من الأدباء في الولايات المتحدة واوروبا (قابلت في الولايات المتحدة الكثير من الأدباء ترومان كابوت . كارسون ماكلورز ومارى ماكارثى . وفي فرنسا قابلت جورج بيربلى . وفي انجلترا قابلت جرهام جرين) .

وهذه الرواية :

فيليب كارتر مهندس لامع ، تسببت سذاجته وحسن نيته في دخوله السجن بدلا من رجل آخر ، فقد عمل مع مقناول يدعى فيليب بالمر بنى مدرسة لحساب شركة تريومف للانشاءات ويديرها رجل اسمه دركسل مع نائبه المدعو جاويل . ودارت اشاعات حول مدرسة بنتها الشركة واستخدم في بنائها مواد رديئة ، وكشف التحقيق عن اختلاس مبلغ ٢٥٠.٠٠٠ دولار ، واتهم كارتر باختلاسه .

وبعد ست سنوات من العذاب وادمان الأفيون يخرج رجلا
آخر لا يمكن لأحد أن يتوقع ردود فعله ، خاصة وأن جاويلي
ظل يزوره في السجن مشيراً حفيظته ضد صديقه دافيد سوليفان
ومتهما إياه بأنه عشيق زوجته .

ورواية زنزانة من زجاج وصف قاس للحياة في السجن
الأمريكية .

سميحة عبد العزيز

بدأ المساجين بسجن الدولة يعودون من الورش في الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين . وراحت حشود الرجال في ثيابهم غير المكوية ، بلون الورد ، وعلى ظهر كل منهم رقم ، ينطلقون عبر الممر الطويل للعنبر رقم ١ ، وهممة من الأصوات الصماء ترتفع من صفوفهم ، رغم ان ما من أحد منهم يبدو انه يوجه الحديث لأى من جيرانه . كانت هممة جماعية غريبة ، لا انساق لها ، افزعت كارتر اول يوم ، بل انه كان لايزال جديدا لكى يتصور انها اشارة مسبقة لتمرّد ، ولكنه قبلها الآن كما لو كانت احدى خصائص السجن ، أو ربما السجون عامة . كانت ابواب الزنزانة مفتوحة في الطابق الأرضى وفي الطوابق الأربعة التى تعلوه . وراح الرجال يلجونها حتى اللحظة التى أصبح فيها الممر يكاد يكون مقفرا . كان مسموحا لهم بخمسة وعشرين دقيقة للاغتسال فى حوض الزنزانة ، واستبدال من يشاء قميصا ، اذا كان لديه قميص نظيف ، أو كتابة خطاب أو الاستماع عن طريق سماعات الأذن الى الموسيقى اذا كان الراديو لايزال يبتها فى تلك الساعة ، فجرس العشاء يدوى فى الساعة الرابعة .

تقدم فيليب كارتر فى بطة ، وهو ينحني منظر جواره فى الزنزانة : هاتكى . كان هذا الأخير رجلا قصير القامة ، متين البنية ، يقضى حكما مدته ثلاثون عاما بسبب السطو المسلح

والقتل ، ويبدو انه كان يزهو بذلك ، ولم يكن يحب كارتر ،
ويعتبره متعجرفا . وكانت قد وقعت بينهما بعض المشادات
الصغيرة في التسعين يوما التي مرت بكارتر في ذلك السجن مثال
ذلك : لاحظ هانكي ان كارتر لم يكن يروق له ان يستخدم المرحاض
الوحيد في الزنزانة ، وهو مرحاض من غير كرسي ، ولهذا كان
يتعمد هو نفسه ان يستخدمه بطريقة صاخبة وفظة بقدر
ما يستطيع . ولم يعلق كارتر اى اهتمام على ذلك في البداية ،
ولكنه منذ عشرة ايام ، وعندما أصبحت الدعابة سمجة صاح
به : اوه .. بالله كف عن هذا يا هانكي . وغضب هانكي ورماه
بكلمة نابية ، ولوح كل منهما بقبضته وهما بأن يتلاحما لولا ان
رأهما أحد الحراس وفرق بينهما .

تجنبه كارتر بعد ذلك وراح يعامله بكل ادب وهدوء . فيناوله
سماعات الأذن اذا كانت قريبة منه ، او يقدم له منشفته أو أى شيء
يكون الآخر بحاجة اليه . وكانت الزنزانة بسريريها ضيقة جدا
بحيث لا يستطيع الاثنان التحرك فيها بسهولة ، بحيث تم بينهما
الاتفاق بأنه اذا وقف احدهما يبقى الآخر مستلقيا ولكن
جاءه محاميه توتنج ذلك الأسبوع بنبا سيئا ، فلن تعاد محاكمته .
ولما كان قد مرت به تسعون يوما فقد استبعد صدور العفو عنه
وادرک ان بقاءه سيطول في تلك الزنزانة ، برفقة هانكي وروض
نفسه على ان لا يكون عدوانيا أو متباعدا ، فقد كان الجو بينهما
كريها ، ولم يكن ذلك مجديا . وفي يوم الجمعة الماضى التوت
قدم هانكي وهو يقفز من الشاحنة التي تمضى بالمساجين الى المزرعة
ثم تعود بهم ، وقال كارتر لنفسه انه يستطيع ان يستفسر
عن انباء تلك القدم .

كان هانكي جالسا على حافة فراشه ، وهو الفراش السفلى ،
يلعب بمجموعة من ورق اللعب غير كاملة وقدرة .

تحول كارتر اليه ونظر الى كاحله المضمد وسأله : كيف
حال قدمك اليوم ؟ ثم فك أزرار قميصه ومضى الى الحوض ،
في حين أجابه هانكى :

— أوه ، بين بين . مازلت لا أستطيع ان أمشي عليها . .
ورفع المرتبة وأخرج علبتين من السجائر كان قد أخفاهما .
ورآه كارتر في اللحظة التي اعتدل فيها . وجفف نفسه بالمنشفة
الخشنة . لم يكن هانكى يدخن ، وكانت الحصاة المسموح بها
لكل سجين أربع علب كل أسبوع يشتريها من ماله الخاص .
وكان السجين يحصل على أربعة عشر سنتا في اليوم ، وثمان علبة
السجائر الواحدة اثنين وعشرين سنتا . وكان هانكى يحتفظ
بحصته ويبيعها بعد ذلك محققا بعض الربح . وكان الحراس على
علم بذلك ويفمضون أعينهم لأن هانكى كان يمنحهم من وقت لآخر
علبة سجائر ، بل وفي أكثر الأحيان دولارا .

— أرجو ان تسدى لى خدمة يا كارتر . . . خذ هذه
العلبة الى رقم ١٣ بهذا الطابق وهذه الى رقم ٤٨ بالطابق
الثالث . . علبة لكل منهما ، فلا أقوى على السير حتى هناك .
والثمن مدفوع .

قال كارتر : حسنا .

وأخذ العلبتين في يده وخرج من الزنزانة وهو يربط أزرار
قميصه .

كانت الزنزانة رقم ١٣ تبعد عنه بزنتانيتين وعلى الفراش
السفلى كان يجلس زنجى ، سأله كارتر :

— هل تريد سجائر ؟

تقلب الزنجى على جانبه المعروق وأخرج من جيبه قصاصة

من الورق ، وبأصابعه السوداء المتصلبة دفع إيصال هانكي بين يدي كارتر .

دس كارتر الإيصال في جيبه ، وألقى علبة السجائر على الفراش وخرج . ومضى حتى آخر الممر حيث السلم . وأسرع الحارس المعروف باسم موني ، واسمه الحقيقي موان الخطا ، وقطب حاجبيه عندما وصل أمام كارتر ، وكانت علبة السجائر لا تزال بين يدي هذا الأخير ، وأدرك أن موني رآها .

ازدادت تقطية موني وقال :

— هل توزع السجائر الآن ؟ اعتقد أنك لن تلبث أن توزع اللبن والجرائد أيضا .

— اننى ! قوم بذلك من أجل هانكى ، فقد التوت قدمه .

— اعطنى يدك .

انتزع موني الأصفاد المثبتة في حزامه وعاد يقول :

— يداك .

وبسط كارتر يديه .

أطبق موني الأصفاد على يديه في حركة جافة . وراى كارتر في نفس الوقت ، من فوق كتف موني سجيننا بدينا بوجهه نمش ينظر الى المنظر في شيء من السرور . حسب كارتر قبل ذلك بثوان أن موني يريد المداعبة ، فقد رآه يفعل ذلك مع هانكى مرارا كثيرة ، بل انه رآه يلوح بمطرقة نحو هانكى متظاهرا بالتهديد ، ولكنه راى الآن أن موني لا يمزح ، فقد كان لا يحبه ، وكان يدعو « الأستاذ » . وقال له :

— تقدم حتى آخر العنبر .

دوى صوت موني قويا . وبينما كان يتكلم مع كارتر خيم
انصمت على كل من الزنزانتين الواقعتين على اليمين وعلى الشمال ،
ولم يلبث ان انتقل الى الطابق الأرضى كله . وسار كارتر ، وموني
خلفه وكانت هناك درجتان فى آخر الممر تفضيان الى الطابق الأول ،
والأبواب ذات القضبان الحديدية للمصعد الذى لم يره كارتر
مفتوحا الا مرتين أثناء صعود بعض المرضى الى المستشفى ، وبابان
سميكان بقفلين كبيرين فى جدار حجرى . واحد هذين البابين
يفضى الى « الجحر » . ومر موني أمام كارتر ، وأخرج حلقة
المفاتيح الضخمة من جيبه .

سمع كارتر همهمة جماعية صماء ترتفع من الزنزانات ،
أشبه بدوى الرعد . وقال شخص فى صوت هادىء بحيث أدرك
كارتر أنه صوت حارس ، حتى قبل أن يلقى نظرة خلفه :

— ما الخبر يا موني ؟

أجاب موني :

— ضبطت مهندسنا العظيم وهو يوزع سجائر .

ثم أردف يخاطب كارتر :

— أهبط .

توقف كارتر بعد بضعة درجات . كان قد سمع عن
« الجحر » ، وحتى لو بالغ الماسجين ، وكان متأكدا من ذلك فقد
كان « الجحر » حجرة تعذيب .

وقال :

— اسمع .. ان عقوبة مثل هذا الذنب ، وأعنى اسداء
خدمة لهانكى لا تستوجب غير بعض التوبيخات .

راح موني وشرنيفر ، وهو الحارس الذي اقبل ، يضحكان في شيء من التكبر ، كما لو ان الملاحظة التي ابداهما كارتير صدرت من مخبول .

وقال موني :

— تقدم . انك استوجبت حتى الآن توبيخات لا يمكننا ، لا انا ولا انت ، ان نحصلها .

افلح كارتير في الاحتفاظ بتوازنه ، واستمر يهبط الدرجات وهو يحرص كل الحرص على المكان الذي يضع فيه قدميه لانه لو وقع فلن يستطيع النهوض بسهولة والأصفاد في يديه . كان قد سبق أن وقع في اول يوم لقدمه بالسجن . ولكن في ذلك الوقت كانت الأصفاد مثبتة في حزام متين من الجلد . وصحيح انه سبق أن ارتكب حماقات كثيرة ، غير أن ذلك كان يرجع غالبا الى انه لم يكن يعرف ما يجب أن يفعل وما لا يجب . كان السجين يستحق اللوم اذا خرج من الصف عند الذهاب الى قاعة الطعام ، او اذا لم يقل « عن اذنك » او اى شيء آخر وهو يمضي الى الورش . ولكنه لا يستحق اللوم عند عودته منها ، ويستحقه اذا مشط شعره في اوقات معينة ، او اذا اطال النظر الى زائر ، رجل غريب مثلا او امرأة ، من خلال القضبان الحديدية المزدوجة في آخر العنبر رقم ١ . وقد حرم كارتير من رؤية زوجته اربع مرات كل يوم احد بسبب استحقاقه لتلك التوبيخات ، وقد احنقه ذلك الأمر لأن الخطابين اللذين يسمح له بارسالهما الى هازل كل اسبوع كان يرسلهما قبل ان يتمكن من نصحتها بعدم المجيء في ذلك الأحد لأنها لن تستطيع أن تراه . لم يكن هناك في اى مكان لائحة يمكن لأي سجين أن يعرف منها ما يجب تجنبه لتعاشي المخالفات التي تستحق اللوم . وقد استفهم كارتير من مساجين كثيرين عن الطرق التي يمكن أن يتفادى بها اى لوم ،

وسمعه يذكرون ثلاثين أو أربعين طريقة ، فان الحراس لا يتورعون عن اختلاق أى سبب . وقال كارتر يحدث نفسه انه سوف يقضى الآن أربعاً وعشرين ساعة أو ربما ثمانى وأربعين فى الحبس الانفرادى ، فى الظلام . واخذ نفساً طويلاً محاولاً ان يتقبل الأمر بهدوء ، فلن يدوم ذلك الى الأبد ، وما أهمية ان تضيع عليه ثلاث أو أربع وجبات مع رداءة الطعام الذى يقدمونه فى السجن . ان الشيء الوحيد الذى يقلقه هو عدم استلامه رسالة هازل اليومية التى تصله فى زنزانه فى نحو الساعة الثالثة والنصف .

احس كارتر بالأرض تميد تحت قدميه . وكانت هناك رائحة غريبة بعض الشيء ، ورائحة أخرى مألوفة وهى رائحة العفن والبول .

كان مع مونى مصباح كهربى ، ولكنه كان يستخدمه لكى يهتدى به هو وشرنيفر فى خطواتهما ، تاركاً كارتر يتقدمه فى الظلام . ولم يلبث ان تبين على يمينه وعلى يساره أبواب الزنانات التى سمع عنها ، وهى الجحور الضيقة السوداء التى لا يمكن ان يبقى فيها واقفاً ، وامام كل باب درجة مرتفعة بحيث لا بد من الزحف لدخولها . وتذكر كارتر ان السجن قد بنى فى سنة ١٨٦٩ ، وان تلك الزنانات هى المباني الأصلية وان هذا الجزء من السجن لم تمتد اليه يد التجديد ، كما امتدت « كما يقال » الى باقى السجن .

وقال شرنيفر يسأل فى صوت خافت : الأنبوبة ؟

.. بل شيء أكثر قوة .. ها نحن قد وصلنا . قف .. ادخل .

انهم الآن امام زنزانه ليس لها باب على الاطلاق . زنزانه مدخلها مرتفع جداً ، وسمع كارتر وهو يدخلها انينا صادرا من

الزنزانة المجاورة .. انين اشبه بتدمر يشوبه شخير وتتابع .
وكان معنى هذا ان هناك على الأقل انسانا في الزنزانة المجاورة ،
وقد شجعه ذلك . وكانت الزنزانة فسيحة بالمقارنة الى تلك التي
يشغلها هو وهانكى ، ولكن لم يكن بها فراش او مقعد او مرحاض ،
وانما حفرة صغيرة كالبالوعة ، حفرة مستديرة في الأرض في
منتصف الزنزانة . وكانت الجدران من المعدن وليست من الطوب ،
لونه يميل الى السواد ، وقد بدا الصدا يأكله في بعض الأماكن .
ولحظ كارتر فجأة سلسلتين سوداوين تتدليان من السقف
وتنتهى كل منهما بأنشطة .

وقال مونى :

— اعطنى يدك .

بسط كارتر يديه . ونزع مونى الأصفاد وقال :

— هل لك ان تبحث لى عن مقعد يا شرنى ؟

أجاب شرنيفر :

— طبعاً ، وخرج وهو يضيء مصباحه الكهربى ، وعاد ومعه
منضدة صغيرة مربعة وضعها تحت السلسلتين وقال مونى :

— اصعد .

صعد كارتر ، وصعد مونى خلفه . ورفع كارتر ذراعيه
قبل ان يطلب منه مونى ذلك . وكان الحزامان من الجلد المبطن
بالكاوتشوك ويلتصمان بأبزيم .

وقال مونى :

— اعطنى ابهاميك .

رفع كارتر ابهاميه مدعنا . وادرك عندئذ بكل بشاعة نية

موني ، فقد ثبت هذا الأخير الحزامين بين المفصل الأول والمفصل الثاني من كل ابهام من ابهاميه ، ثم ربط الأبريمين مشددا الضغط . وكان بالحزامين ثقب متعدد بين كل منها نحو أكثر من سنتيمتر على امتداد طولهما .

وهبط موني وقال :

— ادفع المقعد بقدمك .

كان كارتر معلقا عاليا جدا بحيث ان طرفي قدميه يكادان يمسان المقعد ولا يستطيع ان يدفعه كما قيل له . فدفع موني المقعد بقدمه الى أمتار بعيدة أمام كارتر ثم قلبه بحيث أصبح معلقا في الهواء واحس بالدم يتدفق نحو أطراف ابهاميه ، وكان موليا ظهره للحارسين ، وتوقع ان يتلقى بعض الضربات .

ضحك موني ثم ركله أحد الحارسين في فخذه فراح يتأرجح الى الأمام وإلى الخلف متوترا بعض الشيء : ثم تلقى ضربة في بطنه فتغلب على ألمه وكنم أنفاسه ، وتصيب العرق من أذنيه وسال حتى فكه . وزاد الطنين في أذنيه ، وتصاعدت الى منخرينه رائحة السجائر ، وتساءل ان كان هناك وقت محدد لمثل هذا العذاب .. ساعة مثلا ، او ساعتين ؟ كم من الوقت مضى عليه حتى الآن ؟ .. ثلاث دقائق ؟ خمس عشرة ؟ .. واشفق أن يصرخ بعد لحظات وحدث نفسه قائلا : لا تصرخ فسوف يغتبط هذان الوغدان بذلك . وراحت بعض العضلات تهتز في مكان ما من ظهره . واصبح من الصعب عليه ان يتنفس ، وخطر له في لحظة عجيبة انه يغرق وانه في الماء وليس معلقا في الفضاء ، ثم ازداد طنين أذنيه بحيث غطى على صوت الحارسين .

ضربه شيء في ظهره ، وتدفق الماء أمامه على الأرض ، ووقع دلو محدثا دويا شديدا ، وبدأ كل شيء يمر في بطنه شديدا ،

واحس بأنه ازداد ثقلاً ، وتصور أن الحارسين قد تعلقا بساقيه .
وتتمم يقول :

— أوه ... هازل !

وقال أحد الحارسين :

— هازل ؟

— انها زوجته . وهو يتلقى منها رسالة كل يوم .

— لن يتلقى منها شيئاً اليوم .

احس كارتر بأن عينيه تخرجان من محجريهما ، وحاول أن يغمز بجفنيه . خامره احساس بأن مقلتيه قد جفتا وتضخمتا ، وأن هازل نمشي بعصبية جيئة وذهاباً في زنزانتة ، تدعك يديها وتنظر اليه من وقت لآخر ، وتقول له شيئاً لا يسمعه ، ثم تغير المنظر ووجد نفسه في المحكمة . مات والاس بالمر ولكن ماذا تظن أنه فعل بالنقود .. هيا يا مستر كارتر .. أنت رجل ذكى ، وحائز على شهادتك الجامعية .. ومهندس نيويوركي ، تعرف الحياة ولا يمكن أن توقع على أوراق دون أن تعرف مضمونها .. بل كنت أعرف على ماذا أوقع .. ايصالات وفواتير .. لم يكن من شأنى أن أعرف الثمن الحقيقي للأدوات ، فان بالمر هو المقاتل وكان من الممكن أن يزيد الأسعار بعد أن أوقع على الفواتير .. كنت أعرف أن المواد من نوع ردىء ، وقد قلت له ذلك . أين النقود يا مستر كارتر ؟ أين المائتان والخمسون الف دولار ؟ .. ثم كانت هازل بالباب تقول بصوتها الواضح : كان لدى أنا وزوجى حساب مشترك دائماً فى البنك .. لم يكن بيننا أسرار أبداً فيما يتعلق بالنقود . وصاح :

— « هازل » ثم انتهى كل شيء .

القيت فوقه دلاء كثيرة من الماء .

خيل اليه انه يسمع خلفه غناء وضحكات ثم ساد الصمت وأصبح وحده من جديد . وأدرك أن الغناء لم يكن الا نبضات دمه هو بالذات في اذنيه . وخيل اليه أن ابهاميه قد أصبح طولهما أكثر من خمسين سنتيمترا الآن لطول تمدهما . لم يمت وانما بالمر هو الذى مات . . بالمر الذى كان بمقدورهم اجباره على الكلام لو انه كان لا يزال على قيد الحياة . . وقع بالمر من فوق سقالة ، من ارتفاع طابقين ، بجوار خلاط الأسمنت . وقد اكتمل بناء المدرسة الآن ، وراه كارتر . . لونه أحمر غامق ومن ثلاثة طوابق يرفرف فوقه علم أمريكى . كان البناء قائما ولكنه كان مبنيا من مواد رديئة . لم يكن الأسمنت جيدا والأتاييب لا تقوم بعملها كما يجب ، وبدأ الجبس يتشقق قبل أن تنتهى عملية البناء بالذات . وتحدث كارتر عن مسألة المواد مع جاويل وبالمر . ولكن هذا الأخير قال له أن الأمر على أتم ما يكون ، وأن هذه هى رغبة العميل ، وأن مجلس ادارة المدرسة يبغى التوفير وأنه لا يعنيه اذا كانت مواد البناء من نوع جيد أم لا . وقالت لجنة الأمن ان الأطفال لا يجب ان يضعوا أقدامهم فى تلك المدرسة وانها يمكن أن تقع فوق رؤوسهم ، وأن مجلس ادارة المدرسة لم ينشد أى توفير ، وأنه دفع للحصول على الأجور . واذا كان الأمر كذلك فمن هو المسئول ؟ كان المسئول والاس بالمر ، وربما بعض أعضاء شركة تربومف للبناء ، الذين حصلوا على نصيبهم من ال ٢٥٠ ألف دولار . وما كان جاويل مثلا يجهل ما يدور . ولكن قليب كارتر كان كبير المهندسين ، واقربهم صلة بالمقاول بالمر ، وهو ليس من البلد وانما هو من نيويورك . . رجل ذكى ، قرر أن يفتنى على حساب أهل الجنوب . . رجل يمتن مهنة حرة خان شرف مهنته وثقتها ، وقررت الدولة عدم التساهل معه ،

وقال المدعى العام : فلتبق المدرسة مكانها ، خالية ، حتى تأتي أول هبة ريح وتودى بها ، فهذا عار .. وعار للدولة كلها .

أقبل رجلان وأنزلا كارتز . وارتطمت رأسه بالأرض . وبذل الرجلان وسعهما لحمله ولكنهما لم يقلحا ، فتركاه مكانه وانصرفا وهما يسبان . واحس كارتز بالغثيان . ولكنه لم يتمكن من افراغ ما فى بطنه . وعاد الرجلان ومعهما محفة . وكانت رحلة طويلة خلال ممرات لم يرها كارتز تقريبا لأن عينيه كانتا مطبقتين تقريبا ، وصعدا سلالم و سلالم لا نهاية لها .. مونى ورجل آخر .. نسي اسم ذلك الرجل .. حارسا مساء الأمس . وصعدا فى غير حرص بحيث كاد ينزلق من فوق المحفة . ثم كانت هناك ممرات أخرى ، أكثر ضيقا ، حيث المساجين . وقد عرفهم كارتز من ثيابهم السمراء ، وبعض الزوج من المساجين هم الآخرون ، ينظرون اليهم وهم يمرون فى صمت . ثم كانت هناك رائحة صبغة اليود والمطهرات . دخلوا العيادة ووضعوا المحفة فوق منضدة صلبة ، وتمتم صوت بشيء فى لحظة وغضب . وراق ذلك الصوت لكارتز . واجابه مونى قائلا :

— انه لا يحافظ على النظام أبدا .. أبدا .. ماذا تريد أن نفعل مع مثل هذا الرجل ؟ .. أود أن أراك مكاني يا سيدي . حسنا ، يمكنك أن تتحدث مع مأمور السجن فى ذلك ، فأنا أيضا لدى ما أريد أن أقوله .

وتكلم الطبيب مرة أخرى وهو يمسك بمعصم كارتز : انظر الى هذا .

— وماذا تريد ؟ اننى رأيت أسوأ من هذا .

— كم من الوقت بقى معلقا ؟

— لا أدري ، فلست أنا الذى علقه .

– ليس أنت .. ومن اذن ؟

– لا ادرى .

غسل رجل يرتدى سترة بيضاء وجهه كارتو بقطعة كبيرة من القماش المبتل ، وسكب على لسانه بضع قطرات . وقال الطبيب :

– مورفين يا بيت .. جرعة كبيرة ؟

وشمرا كنه وحقناه . وبدا الألم يتراجع بسرعة ، كموجة ترتد وبحر يجف .. كما لو في الجنة . وغم رأس كارتو طنين مريح كموسيقى راقصة خفيفة ، بينما بدأوا يهتمون بيديه ، وغرق في النوم أثناء ذلك .

- ٢ -

عندما استيقظ كارتر كان راقدا على ظهره في فراش ابيض صلب ، وتحت راسه وسادة ، وذراعا ممدودتان فوق الأغشية وابهاماه كتلتان ضخمتان من الشاش بضخامة باقى يديه . وكان الفراش الذى على يساره خاليا ، ويرقد على الفراش الذى على يمينه زنجى برأس مضمدة . وعاد الألم الى ابهاميه من جديد ، وأدرك أن هذا الألم هو الذى أيقظه .. كان الما فظيما ، وتملكه الخوف .

نظر بعينين متسعيتين الى الطبيب ، وكان يقترب منه ، واذا أدرك أنه يبدو عليه الرعب طرفت عيناه . وابتسم الطبيب ، وكان رجلا قصيرا ، أسمر ، فى الأربعين من عمره ، وقال يسأل كارتر :

- كيف حالك ؟

- ابهاماي يؤلمانى .

أوما الطبيب وهو لا يزال يبتسم فى غموض وقال :

- لقد أصيبا بضرر كبير .. سوف نعطيك حقنة أخرى .

ونظر الى ساعته ، وقطب جبينه شيئا ما ثم ابتعد ، وعندما عاد ومعه الحقنة سأله كارتر :

— كم الساعة ؟

— منتصف الساعة . انك نمت نوما هادئا (ودخلت الحقنة في ذراعه وبقيت بضع دقائق) الا تريد ان تأكل شيئا ؟ .. قبل ان تحدث الحقنة مفعولها وبفلبك النوم ؟

لم يرد كارتر . رأى من خلال زجاج النافذة ان الساعة منتصف الساعة مساء ، وسأل :

— في أى يوم نحن ؟

— يوم الخميس . اتريد بيضا مخفوقا ؟ .. وخبزا مقددا ؟
اظن انه لابد لك ان نكتفى بهذا ؟ .. ابروق لك ان تتناول شرابا مثلى ؟

فكر كارتر في غمار تعبته ان ذلك الصوت هو اغلب وارق صوت سمعه منذ دخوله السجن .. بيض مخفوق ؟

ازيلت ضماداته بعد ان قضى يومين في المستشفى ، وخيل اليه ان ابهاميه قد تضخما واستحال لونهما الى اللون الوردى الفاقع ، وانهما ليسا ابهاميه ، وليسا جزءا من يديه . كان ظفر كل منهما صغيرا جدا في كتلة اللحم . ولم يخف آلامه . كانوا يحقنونه بالمورفين كل اربع ساعات ، وود لو تزداد تلك الحقن . وحاول الطبيب ان يكون مطمئنا ، ولكن كارتر لاحظ تماما انه قلق لان الألم لا يخف . وكان معروفا باسم الدكتور سستيفن كاسيني .

ولم يسمح له بأية زيارة يوم الأحد ، ولم يكن ذلك بسبب لوم أو توبيخ ، وانما لأنه كان في المستشفى .

تصور اذن في الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم الأحد ، عندما بدأت الزيارة ، هازل واقفة في الردهة الكبيرة ،

في الطابق الأرضي ، تؤكد انها اقبلت لكى ترى زوجها وانها لن تنصرف ما لم تراه . وكان الدكتور كاسينى قد كتب لها خطابا املاه كارتر عليه هربه الدكتور بطريقة ما يقول لها فيه انها لن تستطيع ان تراه . ولكن كارتر لم يكن واثقا انها تلقت ذلك الخطاب يوم السبت ، وكان يعرف انها حتى اذا كانت قد تلقت فسيوف تاتى لانه يقول لها فيه انه اصيب بجرح طفيف فى يديه . بيد انه كان يعرف ايضا انها ستغلب على امرها اخيرا امام الأبواب الحديدية الضخمة ورجال البوليس فى زيهم الرسمى الذين يتحققون من شخصية الزائرين وأوضاع المساجين . وتلوى فى فراشه ازاء هذه الفكرة ودفن رأسه بقوة فى وسادته الصلبة .

وأخرج خطابى هازل الآخرين من تحت الوسادة وأعاد قراءتهما وهو ممسك بهما بين أصابعه :

« حبيبى .. تيمى يتحمل الموقف بصورة لا بأس بها ، فلا تقلق من أجله . وأنا انصحك كل يوم واتدبر امرى لكى لا يبدو الأمر كما لو كان نصيحة ، فان الأولاد الآخرين بالمدرسة يستثرونه ، واعتقد ان الطبيعة البشرية لن تكون كذلك اذا هم لم يفعلوا » .

وفى الخطاب التالى :

« قضيت أكثر من ساعة مع مستر ماجران الذى رشحه دافيد لكى يحل محل توتنج . وهو يروق لى كثيرا ، فيبدو مما يقول انه ذكى ومتفائل وان لم يكن كما كان توتنج بحيث بدأت أشك فى الأمر . ومهما يكن فان توتنج قال انه ليس هناك ما نفعله أكثر مما فعلناه ، كما لو أنه لا توجد محكمة عليا . ولكننى لا أريد ان أرى توتنج يلجأ اليها . وقد انتهى بى الأمر الى اننى سددت بقية حسابه وأعطيته الخمسمائة دولار المتبقية

من اتعابه . وعليه ، واذا وافقتنى فيمكن لماجران ان يتولى القضية . وقد قال لى ان تقديم التماس الى المحكمة العليا سيتكلف ثلاثة آلاف دولار ، وانت تعرف اننا نستطيع ان نواجه ذلك ، ولكنه يريد ان يراك فى اقرب وقت . اوه يا عزيزى .. اننى لقيت الكفاية من ذلك النظام الذى يستقبلوننى به كل يوم احد ، واعنى ان المخالفات التى تصدر من السجين رقم ٣٧٧٦٥ لا تسمح بزيارته هذا الاسبوع . وقد قلت لى ان ذلك بسبب خروجك من الصف لكى تمضى الى قاعة الطعام ، فحاول يا عزيزى ان تلتزم بقوانينهم السخيفة .

» سيكتب ماجران الى المحافظ مباشرة ، وسيرسل اليك صورة من خطابه . ولا يجب على الخصوص ان يملكك القلق فانى اعرف ان هذه الحال لن تدوم الى الابد ، بل لن تدوم الى وقت طويل .. من ست سنوات الى اثنتى عشرة سنة ! بل لن تدوم ستة شهور « .

حدث كارتر نفسه فقال ان ماجران سيطلب ثلاثة آلاف دولار على الأقل ، وبالإضافة الى الثلاثة آلاف التى سيتكلفها الالتماس الى المحكمة العليا فسوف يستنفد ذلك ما لديهما من نقود سائلة .. بدت كل الأرقام هائلة ، وقال ذلك مبلغ الكفالة وقدره ٧٥٠٠٠ دولار ولم يتمكننا من جمعه طبعاً . ولم يشأ كارتر ان يلجأ الى عمته ادنا . ثم ان منزلها وقيمتها خمسة عشر الف دولار كان مرهونا ، وسيارتها تساوى الفاً وثمانمائة دولار ، ولكن هازل بحاجة اليها لقضاء احتياجاتها ولقطع السبعة والعشرين كيلو مترا كل يوم احد لزيارته ، او لمحاولة زيارته على الأقل .

ولكن ها هو قد انخلع ابهاماه . وهذا امر حقيقى وسخيف . وقد اطلق الطبيب على ذلك اسما آخر . ولكن الحقيقة انهما انخلعا ، والعمليّة الجراحية نتائجها مشكوك فيها كراى الدكتور

كاسينى ، والسجن الذى اعتقد كارتر انه لن يقضى فيه غير بضعة اسابيع ، وانه سوف يحتمله ولن يكون مرحلة خطيرة فى حياته قد وسمه الآن الى الأبد ، فلن يستطيع ان يشنى مفصلية الامامين وسوف يكون بينهما نوع من الفراغ . سيكون لابهاميه منظر غريب ، ولن يستطيع استخدامهما فى لعب البريدج او فى برى قلم او فى صنع قوس وسهم لتيكى . على ان تيمى لن يهتم بالأقواس والسهام طالما هو فى السجن . وقد كتب لهازل فى ذلك اليوم ، وهو يوم احد ، بعد ان ازيلت ضماداته ببضع ساعات ممسكا بالقلم بيد مضطربة بين ابهامه وأصبعه الوسطى ، واضطر ان يروى لها ما حدث رغم فداخته ، ليفسر لها غرابة خطه ، ولكنه خفف من الأمر قائلاً ان ذلك لم يدم غير بضع ساعات بدلا من ثمان وأربعين ساعة . لقد تشوه ابهاماه الى الأبد بسبب لا يفهمه تماما ، لأن رجلا يدعى هانكى يحقد عليه . ولماذا ؟ لأنه رفض ان يريه صورة هازل ؟ هل لك زوجة هل معك صورة لها ؟ . . . ارنى اياها . . . طلب منه هانكى ذلك فى اول يوم التقيا فيه . وقال له كارتر بقدر ما استطاع من رفق : أوه . . . فيما بعد . . . او ليس معك صورة لها ؟ ربما كانت هذه هى الفرصة لكى يريه الصورة ، فلعله يهدأ . ولكنه لم ينتهز تلك الفرصة . كانت صورة هازل فى جيبه ، وكان قد اقتطعها من صورة مكبرة بالألوان . كانت تقف وسط الثلوج ، امام مسكنهما بنيويورك ، بالشارع السابع والخمسين شرقا ، بدون قبعة . وشعرها الأسمر يتطاير حول وجهها . كانت تضحك وفى عينيها ابتسامة رائعة . كانت هى السبب فى ان كارتر يفضل تلك الصورة عن غيرها . وتسائل أى سرور يمكن لذلك الخنزير هانكى ان يستمتع به وهو ينظر الى صورة امرأة ترفع ياقة معطفها الفرو حتى ذقنها .

وفى نحو الساعة الرابعة من يوم الأحد ، اقبل الدكتور

كاسينى لزيارة الأربعة مريضا الذين يرعاهم ، وعندما جاء دور
كارتر قال له :

— حسنا يا كارتر .. الا تحاول ان تخطو بضع خطوات ؟

اجابه كارتر وهو يجلس فى فراشه :

— طبعا يا دكتور .

وأحس بآلم يعتريه فى ظهره كالبرق ولكنه تغلب عليه وكنمه .
وترنح عند أسفل الفراش ، واضطر أن يمسك باليد التى
بسطها له الطبيب لئلا يفقد توازنه .

ابتسم الدكتور كاسينى وهز رأسه وقال :

— انت لا تهتم الا بإبهاميك ، ولكن هل تعرف ان الانشوطتين
اللتين كانتا على ساقيك أوقفت سير الدورة الدموية بحيث كدت
تصاب بالغرغرينة . هل كنت تعرف صباح أمس ان حرارتك كانت
أكثر من أربعين درجة ؟ لقد أشفقت ان تصيبك الحمى بالتهاب
رئوى .

أحس كارتر بالسرور حين جلس ، فلم يكن يشعر بأنه على
ما يرام أبدا .

— ومتى يزول الخطر من ساقى ؟

— الانشوطتان ؟ .. مع الوقت .. ومع التدليك . قم بدورة
حول الفراش ، اذا أردت ، ولكن لا تجهد نفسك أكثر من ذلك ،
وتركه الطبيب ومضى الى مريض آخر .

بقى كارتر جالسا يلهث كما لو انه قطع شوطا كبيرا فى
الجري ، وتذكر ما قاله له الدكتور كاسينى بالأمس ، وهو أنه فى
الثلاثين من عمره ولا أمل له فى البرء من مثل هذه القصة

سريعا كما لو كان فتى في التاسعة عشرة . كان الدكتور كاسينى يتكلم عن الجحر والضحايا الذين يخرجون منه في لهجة مرحة غير متكلفة اوحى الى كارتر احياء غريبا . بأنه في بيت مجانيين في سجن . بيت مجانيين الحراس فيه هم المجانيين . وكان يبدو انه لا يدين ما يحدث في السجن . ولكن هل هذا صحيح ؟ كان قد سأل كارتر بالأمس عن سبب وجوده في السجن ، واخبره كارتر بالسبب . وعاد الدكتور يقول : انا لا أهتم عادة بالقاء هذا السؤال على غالبية الأشخاص الذين يأتون هنا ، فأننى أعرف ذلك مسبقا . . السرقة والسطو المسلح وسرقة السيارات . ولكن انت . . انت لست أشبه بالغالبية منهم . وسأله الدكتور أيضا في أية مدرسة تلقى علومه . ورد عليه كارتر وقال له سبب قدومه الى الجنوب ، وندم لأنه لم يلق على نفسه هذا السؤال منذ ثمانية شهور عندما قرر هو وهازل الإقامة فيه . أقبل كارتر اليه الآن عرض شركة تريومف للبناء بدا له مهما جدا . . ١٥٠٠٠ دولار في السنة بالإضافة الى امتيازات أخرى مختلفة . . ماذا تظن أن بالر فعل بالنقود ؟ واجابه كارتر : أعرف أنه كانت له صديقة في نيويورك وأخرى في ممفيس . كان يرى الواحدة أو الأخرى في عطلة نهاية الأسبوع . كان يستقل الطائرة دائما للذهاب الى مكان ما كل يوم جمعة ، وكان يبتاع لهما سيارات وأشياء كثيرة أخرى . وهز الدكتور كاسينى رأسه وقال :

٢٥ - . اننى أفهم . واحس كارتر بأن الطبيب يصدقه . وكان ذلك صحيحا على كل حال ، ولكن المحكمة لم تصدقه ، ولا حتى عندما جىء بالفتاتين للدلاء بشهادتهما ، فلم تصدق المحكمة أن بالر تمكن من انفاق ٢٥٠.٠٠٠ دولار في سنة واحدة تقريبا على فتاتين ، في حين أنه ثبت بالبرهان القاطع أن كلا منهما لا تملك غير معطف من الفراء قيمته خمسة آلاف دولار وسوارا من الماس لا يزيد ثمنه على ثمانية آلاف دولار . ويبدأ أن أحدا

لا يشك أو يهتم بأن بالمر يمكن أن ينفق خمسمائة دولار على طعامه شهريا ، أو أن يركوبه الطائرة يكلفه مبالغ طائلة من المال أو أن الفتاتين قد تخلصتا من سيارتيهما الفارهتين قبل قدومهما الى المحكمة بالذات . أو أكثر من ذلك أن بالمر قد تمكن من تهريب النقود الى البرازيل .

وتعدد كارتر في فراشه من جديد . وبينما كان يجلس على حافة الفراش نظر الزنجى ذو الرأس المضمدة اليه من غير أن يطفئ بعينه ، كما لو أنه يشاهد فيلما مملا . حاول كارتر أن يحادثه مرارا كثيرة ، ولكنه لم يلق منه أية استجابة ، وقال له الدكتور كاسيني في ذلك الصباح أن الزنجى يعاني من خراجين في أذنيه تسببا له في شيء من الصمم بحيث لم يسمعه .

وأعاد قراءة الرسائل الأربع الأخيرة لهازل ، تلك التي كانت في جيبه عندما علقوه في الفضاء والثلاث التي تلقاها فيما بعد . وكان كارتر يمسكها في أصابعه في حين كان ابهاماه الضخمان يدقان معا بين عينيه وبين الصفحات كدقات الطبول . وكانت هازل قد وضعت على رسالتها الأخيرة قطرة من عطرها . وكانت تلك الرسالة أبهج الرسائل الأربع . ودخل الممرض بيت وفي يده حقنة المورفين ، وأعد الجرعة في صمت . ولم يكن لكارتر غير عين واحدة ، أما العين الأخرى فكانت عبارة عن تجويف عميق . ولم يستطع أن يعرف أن كان ذلك بسبب مرض أو جرح . ودخلت الحقنة في ذراعه . وخرج بيت بعد ذلك من غير أن ينطق بكلمة . وبينما كان المورفين يسرى في دمه بدأ يسمع صوت هازل تقرأ ما كتبه ، وقرأ كل الرسائل ، كما لو كانت جديدة تماما بالنسبة له . وسمع كذلك صوت تيمى يقطع هازل فتقول له هذه الأخيرة : لحظة واحدة يا عزيزى . . ألا ترى أنني اكتب لأبيك ؟ . . أوه ، حسنا ، قفاز الملاكمة ؟ ولكنه هناك أمام عينيك ، فوق الأريكة ،

وهى مكان غريب لكى تضعه فوقها . ألا يمكن أن تأخذه الى غرفتك ؟ .. ويلكم تيمى القفاز بيده اذ أصبح لا يصلح له ويقول: متى يعود أبى الى البيت ؟ .. متى يعود أبى الى البيت ؟ وتقلب كارتير فوق فراشه مغيرا وضعه وأرغم نفسه على أن يقصى عن رأسه تلك الرؤية وأن يبقى مستلقيا سلبيا وعيناه على خط هازل حتى تأتى رؤية أخرى وتحل محل الرؤية الأولى . وراى مخدعهما، وهازل أمام السراحة تمشط شعرها لأجل الليل . وهو نفسه مرتديا البيجامة . واقترب منها وابتسمت له فى المرآة . وتعانقا طويلا . ونبه المورفين ذهنه بحيث بدا له ان هازل راقدة بجواره، على الفراش الصلب .

كان بمقدور كارتير أن يتأمل تصوراته كما لو كانت تدور على خشبة مسرح . ولم يكن بالمرح أحد غيره . كان هو المتفرج الوحيد . لم ير أحد المشهد قبله ولن يراه أحد غيره . لم يكن من الممكن أن يسمع هنا أصوات المساجين . سمح له ابهاماه المشوهان على الأقل ببضعة أيام من الهدوء تقريبا .. أنة الم تصدر من فراش وصوت الماء فى الأحواض .. بدأ له كل ذلك كما لو كانت موسيقى بالمقارنة الى أصوات الاثارة والهيجان فى الساعة السادسة والنصف فى الزنانات ، حيث تتصاعد ضحكات صغيرة مجنونة فى الليل ، كضحكات النساء ، ثم الأصوات الأخرى والتي لا تقل عنها جنونا ، وهى ضحكات الرجال . وتساعل كارتير : من المجنون ؟ من منهم ؟ ومن من المحلفين والقضاة بين الآلاف الذين أرسلوا هنا الستة آلاف رجل الموجودين فى هذا السجن .

- ٣ -

لم يستطع كارتر السير على قدميه قبل يوم الأربعاء ، وقد جاءه الدكتور كاسيني بزي آخر من أزياء السجن ، ناسبه أكثر من الزي الذي كان يرتديه . وكان لا يزال ضعيفا ، وقد هاله ضعفه هذا ، ولكن الدكتور كاسيني قال له : هذا امر طبيعى .

هز كارتر رأسه وهو مضطرب وشارد الذهن ، كشأنه دائما عندما يتحدث عن الجحر ، وكأنه يتحدث عن امر واقع وقال : ولكنك قلت انه سبق لك ان رأيت حالات أخرى كحالتى هذه .

اتى دكتور كاسيني بحركة من يده تدل على عجزه ، ثم عدل وضع نظارته فى عصبية ، ونظر الى كارتر وقال :

— من الجنون محاربة الاداريين ، على أن بقائى هنا لن يطول على كل حال .

وهز رأسه وكأنه يؤكد لنفسه ذلك ، واذا بدا القلق على كارتر اردف يقول :

— حان الوقت الآن للحقنة الثانية ، اليس كذلك ؟

كتب كارتر رسالة للمأمور ، ويدعى جوزيف ج. بيرسون تكلم فيها عن موان وشرنيغر ، وكانت نيته أن يكتب رسالة مقتضبة هادئة لا يتجاوز فيها ما حدث له . ولكن كانت النتيجة

أنها جاءت معجزة في التلميح وتسببت في مرحة شيئا ما ، فقد
قيل :

ـ « السيد المحترم بيرسون :

أود أن ألفت نظركم الى أنني بعد ظهر يوم أول مارس عقلت
من ابهامي في إحدى غرف بدروم السجن ، وتركت معلقا ثمانى
وأربعين ساعة تقريبا . وقد فقدت الرشيد ، وعدت الى وعيى
مرارا كثيرة بدلاء من الماء البارد ، والنتيجة ان ابهامي أصابهما
التلف نهائيا ، وعظيماتهما انخلعت ، والحارسان اللذان فعلا
بى ذلك هما مستر مونان ومستر شرنيفر ، واطالبك بكل احترام
أن تستخدم سلطتك بصدد هذا الحادث » .

المخلص فيليب كارتير

رقم ٣٧٧٦٥

حاشية : اكون شاكرا اذا تكرمت بارسال بيان مفصل عن
نظم السجن لكى أستطيع تجنب الكثير من اللوم .

قال احد المساجين لكارتير ان المأمور يفيد دائما باستلامه
الرسائل التى تصله ولكنه لا يرد على أى منها على الاطلاق .
ومع ذلك فقد ألقى كارتير رسالته فى صندوق الشكاوى ، وجمل
نفسه بالصبر ، ومهما فكر فى هازل فان المعركة ستكون طويلة
وبطيئة . سوف يراها يوم الأحد ، فقد قدم الدكتور كاسينى
التماسا خاصا لكى يتمكن كارتير من رؤية زوجته . سيراها لمدة
عشرين دقيقة بالتدقيق ، بعد اثنتى وسبعين ساعة .

أمدته هذه الفكرة بالشجاعة ، فانهم لن يستطيعوا قتله قبل
أصيل يوم الأحد ، ولن يكون هناك فى الظاهر أى عائق يمنعه
من رؤية هازل . فان من المحال أن يتعرض للوم أو التعنيف

فى المستشفى لأنهم لا يفعلون فيها شيئاً ، ولا يذهبون الى أى مكان
ولا يستخدمون فيها أدوات أو معدات ، فيما عدا دورة المياه .

وقرأ رواية مرتفعات ويذرنج ، ثم كتب لهازل :

حبيبتى :

اتصوريننى أقرأ أميلى برونتى فى السجن ؟ ليس الأمر
شيئاً كما ترين ، وأرجو أن لا تقلقى ، وحاولى أن لا تغضبى على
الخصوص ، فقد غضبت أنا فى الأسابيع الأولى ولكن ذلك لم
يسبب لى الا الكثير من اللوم واستياء الحراس ، ولهذا فمن الأوفق
أن لا نشعر بالغضب اذا أمكن ذلك ، وأن نتصرف كما يتصرف
الذين يمارسون اليوجا أو المقاومة السلبية ، فنحن أمام شيء
يفوق قدراتنا بكثير .

سرنى أن أعلم أن تيمى يتقدم فى القراءة ، وأنهم لا يزعمونه
كثيراً فى المدرسة فى الأيام الأخيرة . ولكن هل أنت واثقة من
ذلك ؟ أما أنا فلا ، ولعله يضغط على أسنانه ولا يفصح عما يلاقيه .
فهل هذا ما يفعله ؟ اكتبى لى واذكرى لى الحقيقة . سأكتب
إليه هو فى المرة القادمة ، ولهذا لن تصلك أنت رسالة منى ،
وفى أثناء ذلك قولى له اننى أراه عظيماً وهو يقوم بدور رب
العائلة أثناء غيابى .

اننى أساعد المرضى بقدر ما أستطيع . . أرتب الأسرة وأقوم
بأعمال أخرى طريفة ومسخرة . لا تقلقى بسبب أصابعى فانا
أستطيع الكتابة كما ترين . اننى أحبك يا عزيزتى .

فيل

أحس بالارهاق بعد أن فرغ من الكتابة ، كما لو كان قد قام

بعمل ضخّم . وكان خطه رديئًا مضطربا ، وجميع الحروف تكاد تكون متفرقة .

قال الزنجي متعجلا :

— مستر كارتر .. مستر كارتر ..

أسرع كارتر الى فراش الزنجي ، وأخذ القصرية بين كفيه ودسها تحت الغطاء . فقال الزنجي :

— أشكرك .

ورد كارتر رغم ان الزنجي لم يكن يستطيع ان يسمعه :

— العفو .

وفي يوم الأحد خلق كارتر ذقنه بعناية خاصة ، وكانت هذه ميزة أخرى من مزايا المستشفى ، فقد كان في إمكانه ان يغتسل وأن يحلق ذقنه كل يوم بدلا من ان يساق في قطع مرتين كل أسبوع مع الآخرين الى الحمام والى الحلاق . واغتسل مرة أخرى عند الظهر ولمع حداءه الثقيل ، وعنى عناية فائقة بزينته ، عنايته بها يوم زواجه ، وتساءل هل يقول ذلك لهازل ، ولكنه رأى ان لا يفعل حتى لا تستغرب ذلك كثيرا . وكوى بنطلونه الفضفاض في غرفة متصلة بالعيادة ثم ارتدى قميصه الأبيض الذي كان مسموحا للمساجين بارتدائه أيام الأحاد ، اذا كانوا يتوقعون زيارة أحد لهم ، وهو قميص قصير الكمين . ولم يكن مسموحا لهم برباط العنق خوفا من ان يستخدمه أحد في ان يشنق نفسه . وعلى كل حال فقد كان القميص أبيض اللون ، غير اللون الوردي الخاص بزي السجن .

نظر كارتر الى صورته في المرآة ، وحاول أن يرى نفسه كما سوف تراه هازل . كانت هناك حالات سوداء تحت عينيه ،

ولكنها غير داكنة . وكان الهزال قد اصاب وجهه بطبيعة الحال ،
وبدا كأنه في الخامسة والثلاثين ، وليس في الثلاثين ، وبدأت
شفتاه رفيفتين وأكثر توترا ، ورأسه أكثر ضيقا ، ولكن كان
ذلك راجعا الى الحلاقة التي خضع لها في السجن . ونظرت
عيناه الزرقاوان اليه كما لو كانتا تنظران الى شخص آخر ،
متعب ، عيناه قاسيتان ، حنرتان شيئا ما .

مر الدكتور كاسيني وربت يده على كتفه وقال :

— هانت ذا تتجمل !

أوما كارتير برأسه مبتسما ، وفجأة تسارعت دقات قلبه
لفرط الانفعال . أحس بالانزعاج كما لو أن الزمن قد عاد به الى
الوقت الذي كان يمضي فيه للقاء هازل ، وحيث كان يستقل
سيارة أجرة تمضي به بسرعة الى حديقة جرامرس وفوق ركبتيه
باقة من الزهور ثم يصعد الدرجات الأمامية لمنزل هازل درجتين
درجتين ركضا ، وهازل تسرع للقاءه وتدير أكرة الباب حتى قبل
أن يلمس الجرس .

— الا تريد حقنة أخرى ؟

— كلا ، شكرا .

بدأ ابهاماه يسببان له بعض الألم . ولكنه لم يشأ ان يتزود
بحقنة ، خصوصا الآن ، في منتصف الساعة الواحدة ، فقد أخذ
حقنة في الساعة العاشرة ، على أمل أن يبقى مفعولها حتى الساعة
الثانية ، بعد أن تنتهي زيارة هازل . ولكن نبضات ابهاميه
اشتدت حدتها في الساعة الواحدة والدقيقة العاشرة ، وأحس
بالرغبة في أن يأخذ حقنة سريعة ، وما كان بيت ليتردد في اعطائها
له بمجرد أن يطلب منه ذلك ، الا أنه رأى أن يتمسك بالقسم
الذي قطعه على نفسه بأن لا يأخذ أية حقنة قبل زيارة هازل له ،
وحمل بيت على ان يضمد ابهاميه بطريقة لا تشير لقرع هازل .

وهبط بالمصعد ومعه التصريح الذى وقعه الدكتور كاسينى ورافقه الحارس كلارك بطول دهليز المستشفى . واضطر ان يقدم تصريحه ثلاث مرات لكى يضاف اليه تأشيرة فى كل مرة حتى اللحظة التى بلغ فيها العنبر رقم ١ ، وفى نهايته باب عنبر الاستقبال ، واحس بضعف فى ركبتيه بعد كل هذا المطاف .

ورأى هاتكى البدين يسير أمامه بطول الناحية اليمنى من الدهليز متجها دون شك نحو زنزاناته القديمة ، وتباطأ كارتير حتى لا يلحق به او يراه الآخر وراح ينظر من خلال القضبان وهو يتقدم ، ولكنه لم يستطع ان يتبين هازل بين الزائرين الذين ينتظرون .

كانت صالة الانتظار مزودة بمقاعد خشبية طويلة كمقاعد الكنائس ، وفى وسطها ممر ، وفى آخرها ، بجوار باب الخروج آلة اوتوماتيكية لتوزيع القهوة ، وأخرى لتوزيع الحلوى واللبان . وهناك ، بين عنبر الزنزانات وصالة الانتظار منطقة من ستة أمتار مربعة مغلقة من احدى الناحيتين بجدار ومن الناحية الأخرى بقضبان ترتفع من الأرض حتى السقف ، وهى منطقة تعرف باسم القفص ، يقف فيها باستمرار حارسان ، ولا يفتح البابان فى وقت واحد أبدا ، ولا يسمح لأى زائر بالتواجد فيها اثناء وجود أحد المساجين . وعلى اليمين ، أمام صالة الانتظار ، باب مغلق يدخل من خلاله الزائرون الذى يمضون الى صالة الاستقبال فى الطابق الذى يعلو العنبر . اما المساجين الذين يأتهم الزوار فيدخلون من باب الدهليز ، بجوار القفص .

رأى كارتير هازل عندما أصبح على بعد خمسة أمتار من القفص . كانت تقف أمام المكتب الكبير ، على اليمين ، فى غرفة الانتظار ، وتقدم تصريحها للشرطى الجالس أمام المكتب . ووثب

قلب كارتر بين ضلوعه ، وتحول ببطء حتى لا يخطر للحارس المتكئ على الجدار أنه يختلس النظر .

وقال الحارس الذى بجوار الباب :

— سانتوز ...

هرع اليه حارس آخر قائلاً :

— هاندا .

— كوليجان .

وجوه كئيبه ، هادئة ، غير مكترثة ، يبدو فيها شيء من الغيرة تنظر الى الرجال ذوى القمصان البيضاء ، وهم ينفصلون من الجماعات الجامدة الواقفة فى الدهليز ، وينبضون بالحياة ، ويسرعون الى باب صالة الاستقبال وتصاريحهم فى أيديهم .

— كارتر .

أخذ الحارس تصرّحه ودون عليه بضع كلمات ثم سمح له بالمرور .

وهبط كارتر السلم الخافت الضوء ، وهو يفضى الى غرفة طويلة منقسمة الى قسمين بحائط زجاجى ولوح خشبى منخفض بارتفاع منضدة ومقاعد طويلة على الجانبين . وكان الزوار يدخلون من ناحية من الصالة ، ويقف فى الناحية الأخرى أربعة من الحراس مدججين بالسلاح ، واحد فى كل ركن من أركان الصالة . وراح كارتر يتقدم وهو يحدق فى باب الدخول باحثاً عن هازل .

دخلت ، واستمر فى تقدمه دون أن يفارقها بعينه نحو مقعد شافر ، فى الناحية الأخرى من الحاجز وهو يشير إليها بيده .

وأفلق في العثور على مقعد شاغر له هو نفسه . وكانت ترتدى معطفها التويد الأزرق ، وتلف حول عنقها وشاحا فاتح اللون . كانت جميع الألوان التي ترتديها تبدو لكارتير على الخصوص ساطعة وجميلة كالزهور أو كريش الطيور . شفتاها الحمراءوان تبتسمان رغم التوتر الذي يبدو في عينيها . ونظرت الى يدي زوجها . ومط كارتير شفتيه وابتسم وهز كتفيه وقال :

— اننى لا اشعر بالـ .. ان محياك رائع وجميل .

حاول ان يتكلم في صوت قوى وواضح بسبب الحاجز الزجاجى ، وسأله :

ماذا يقولون ؟ هل قالوا لك شيئا آخر بخصوص ابهاميك ؟
— كلا لا شيء .

وازدرد ريقه ونظر الى الساعة . وجلس على حافة المقعد الخشن . سوف تمضى العشرون دقيقة دون أن يدرك ذلك . بل ها هو يفقد ثوانى ثمينة في الصمت . ولكنه يرى هازل على كل حال . وسأله :

— كيف حال تيمى ؟

بللت شفتيها وأجابت :

— تيمى بخير .. لقد أصابك الهزال .

— ليس كثيرا .

— قال لى مستر ماجران انه سيأتى لزيارتك .

ذكره صوتها بخير الماء الصافى الرطب . وكانت قد مرت ستة أسابيع لم يسمع فيها صوت امرأة . وقال :

— جميل أن أراك .

واستولى عليه الضيق بسبب صوت السجين الذى على يساره ، وكان يتكلم مع رجل يرتدى بدلة داكنة على يمين هازل ، ولعله محاميه ، وكان السجين يصيح تقريبا ويقول :

— لا أدرى .. لا أدرى .. هذا كل شيء . لماذا .. لماذا تلقى على هذا السؤال دائما .

وكان صوته يكاد يغطى على صوت هازل . وقالت هذه الأخيرة :

— هل حصلت على تقرير من الطبيب ؟

تسارعت نبضات ابهاميه ، وتجمد جبينه من العرق وقال :

— انه .. يجب أن يلتقط لى إشعاعات أخرى .. لا يمكنه أن يقوم بتشخيص دقيق من غير ذلك .

— الأمر أسوأ مما قلت لى اذن ؟

— لا أدرى حقا يا عزيزتى .. ان المفاصل ...

كانت هازل قد قالت له فى احدى رسائلها :

— قل لى أسماء الحراس الذين فعلوا بك هذا . هذا غير قانونى تماما فى أيامنا هذه .

كانت كلمتا « غير قانونى » غريبتين بالنظر الى بعض الأمور التى رآها فى السجن ، مثال ذلك : ذلك السجين بالعنبر رقم ٣ الذى انكسر طاقم أسنانه ولم يسمحوا له بإصلاحه بحيث لم يعد يستطيع أن يأكل شيئا فيما عدا الحساء . أهذه طريقة قانونية يعاملون بها رجلا فى السجن . احس كارتر بأنه يكاد

يختنق ، كما لو أنه على وشك أن ينفجر بالبكاء . وقال لنفسه
« كل ما أريد هو أن ألقى براسي على ركبتيها » ، واعتدل في مقعده
وهو يقول :

— ساحصل على تقرير الدكتور كاسيني بأسرع ما أستطيع .
قالت في هدوء :

— يستطيع دافيد أن يتكفل بذلك .

— دافيد ؟ .. كنت اعتقد أن ماجران هو الذي يريد هذا
التقرير .

— قال دافيد أنه سيسلمه للمحافظ بنفسه . وانت تعلم
أن دافيد محام هو الآخر ، سوف يحصل عليه أسرع من
ماجران .. فورا .

أسرع كارتر يقول : من الذي يهتم بقضيتي ؟ .. سوليفان
أم ماجران ؟

وألقى بيديه فوق المنضدة ، كما لو كان ملاكما يستعد
للاقاء غريمه ، وتسارعت نبضات ابهاميه . وخيل إليه أن الدم
سينبثق منهما .

— يبدو أنك ترين سوليفان كثيرا .

ورأى على الفور ، من ملامح وجهها ، أنه جرحها .

في كل مرة أراه أقول لك ذلك . لولاه لأحسست بالضياغ .
أن كل الجيران يكلمونني تليفونيا ، أو يأتون لزيارتي ، ولكن ماذا
يسمعهم أن يفعلوا . أما دافيد فهو على الأقل من رجال القانون .

— هذا هو الشيء الوحيد الذي من الأوفق أن أنساه .

— ماذا تعني ؟

– القانون .. أين هو .. وما جدواه .

تنهدت هازل وقالت :

– اواه يا حبيبي ! .. انت متعب وتئالم !

وبحثت في انفعال عن علبة سجائرها في حقيبة يدها وسألته:

– اليس معك سجائر ؟

– اننى نسيت علبتى ، ولا أريد ان ادخن الآن .. لا أهمية لهذا .

والواقع انه كان يهفو الى سيجارة ، ولم يفارق هازل بعينه وهى تشعل سيجارتها . وكانت يداها ترتعشان بعض الشيء ، وبشرتها قاتمة جدا ، وبدت لكارتير مع ذلك من الجمال بحيث خيل اليه انها غير حقيقية ، كما لو كانت لوحة مرسومة على القماش او على الزجاج . كانت وجنتاها وشفتاها بلون الورد الطبيعي ، وفمها صغيرا وشفتاها ارق الشفاه التى رآها او قبلها فى حياته . وتساءل ان كان سوليفان قد وضع شفتيه عليهما او ان كان سيفعل ذلك .

وسألته هازل :

– ما اسم الحارسين ؟ هل خفت ان تذكر لى اسميهما فى رسالتك ؟

نظر كارتير آليا الى اليمين والى الشمال ثم قال :

– لم اخف . انما خطر لى فحسب ان رسالتى قد يفتحها رقيب السجن .. أحدهما اسمه موان والآخر شرنيفر .

– لن أنسى هذين الاسمين . ولكننى أريدك ان تحصل على تقرير الدكتور كاسينى دون ابطاء .

— حسن جدا يا حبيبتي .

واضنى نفسه فى البحث عن شىء يقوله لها أو حدث يرويه
يجعلها تبتسم . وكان قد ضحك كثيرا فى المستشفى هو ومن
معه . ولكنه لم يستطع الآن أن يتذكر شيئا ، وابتسم وقال :

— هل يدعوك سوليفان للعشاء الليلة كالعادة ؟

تجهمت أساريرها من جديد وقالت :

— كالعادة ؟

— أردت القول ككل يوم أحد ، فأنت ترينه عادة مساء
الأحد ، اليس كذلك ؟

— ليس دائما يا فيل . فى كل مرة أراه فيها أقول لك ذلك ،
وانقل لك كل حديثنا . بل أذكر لك حتى ما نتناوله من طعام .

كان هذا صحيحا ، وجز كارتر على أسنانه . كان ذلك
لأن جاويل قد أوعز إليه ببعض التلميحات فى رسالته الأخيرة ،
ولا ريب أنه بالغ أو اختلق .

وقالت هازل :

— أنت لا تخبرنى أبدا بأنواع الطعام الذى تتناوله .

عجز كارتر عن الابتسام فجأة وقال :

— لا أظن أن ذلك قد يروق لك . . لحم رأس الخنزير . .
وأنواع أخرى من الطعام لا يمكن وصفها ، ولا اسم لها إلا فى
السجن فحسب .

— يمكنك أن تشركنى فى همومك . . أود أن اقتسم ذلك
مصك .

أدار رأسه من الألم الذى يحس به فى ابهاميه ، وتكلم لكى
يظل واعيا فقال :

— لا أحب أن أفكر فيك هنا . لا أريدك أن تعرفى كل ما يدور
هنا لأن الأمر كله مقزز الى حد أننى فى بعض الأحيان لا أجد بى
رغبة فى أن أنظر الى صورتك التى معى هنا .
بدت عليها الدهشة والخوف أيضا وقالت :

— أى حبيبى !

— لا أقصد أن أقول اننى أريد أن تمتنى عن الحضور
لزيارتى .. يا الهى .. كله الا هذا .
وتصيب العرق تحت أذنيه وقال الحارس وهو يمر خلفه :
— باق دقيقتان .
وقالت هازل :

— قال مستر ماجران انه كتب لمأمور السجن بخصوص
ابهاميك .

أجاب كارتر على الفور :

— انه لن يرد عليه .

— كيف هذا ؟ انها رسالة من محاميك .

قال وهو يحاول أن يتكلم بهدوء :

— أعنى انه سيرد بأنه تلقى الرسالة . ولكنه لن يفعل
شيئا ، ولن يبدأ أية إشارة الى المعاملة التى تلقيتها هنا طبعاً .

ارتعشت السيجارة بين أصابع هازل وقالت :

— سوف نرى . أوه أيها الحبيب ! لو تعرف كم أحب أن
أعد لك الطعام بنفسى .

ضحك كارتر كما لو أن أحدا زغزغه في بطنه وقال :

— يوجد هنا رجل عجوز يدعى ماك ، في السبعين من عمره تقريبا . لا يكف عن الحديث عن الطعام الذي كانت زوجته تعده له ، ويصف لنا نوع الفطائر بالتفاح والبيض واليخنى . . . تصويرى . . . يخنى .

وانفجر يضحك الى حد أن ركبتيه ارتعشتا ، ورأى هازل تضحك هي الأخرى ، كما كانت تفعل فيما سبق تقريبا . وتفجرت ملامحها ، ومسح كارتر دموعه التي تفجرت من عينيه وقال :

— وهذا غريب ، لأن جميع المساجين الآخرين لا حديث لهم الا مضايقة زوجاتهم لهم ، في حين لا يتكلم هو الا عن الطعام ، ويقضى كل وقته منذ أتيت الى هنا في عمل أنماط من البواخر او بالأحرى سفينة لكى يقضى كل وقته على سطحها . وهذه السفينة طولها متر وعشرون سنتيمترا . وزميله في الزنزانة يشكو لأنها تشغل مساحة كبيرة من الزنزانة ، وهى هنا بالذات .

وأشار بيده نحو اليمين ، كما لو أن هازل يمكنها أن تراها . وقال الحارس فى هذه اللحظة :

— انتهت الزيارة .

نهض كارتر فاغر الفم ، وعيناه محدقتان فى هازل ، ووقفت هذه الأخيرة لمغادرته وقالت :

— هذه أول مرة تحدثنى فيها عن أحد . . . زدنى حديثا عنه واكتب لى . الى اللقاء يوم الأحد القادم أيها الحبيب .

وارسلت اليه قبلة بأطراف أصابعها ، واستدارت ومضت . وقطع كارتر طريق العودة الطويل خلال غابة الزنزانات . كان لابد له من حقنة أخرى لكى يتمكن من البقاء مع ماجران

عشرين دقيقة . وعندما بلغ نهاية العنبر نظر الى اليسار لأنه كان قد بلغ زنزانه ماك . وكان الباب مفتوحا ، وماك جالسا فوق مقعده ، مستغرقا في انجاز سفينته بحيث لم يلحظ ان كارتير ينظر اليه . لم تكن السفينة قد طليت بعد ، ولكن ماك تقدم كثيرا منذ آخر مرة رآه فيها . كان يبدو انه على وشك الانتهاء منها ، وقال له :

— طاب يومك يا ماك . اننى ادعى كارتير .

قال ماك فى ود ولكن من غير ان يعرفه :

— اوه ، وطاب يومك . ثم عاد الى عمله وهو يقول :

— ايسمح لك وقتك بأن تبقى معى قليلا .

— اننى آسف . سوف ازورك مرة اخرى .

وتابع كارتير طريقه . كان ماك قد وجد نوعا من السلام مع نفسه ، وحسده كارتير لذلك . ولم يلحظ الرجل المعجوز الضمادات التى فى يديه . واحس كارتير بالارتياح لذلك ، وقال لنفسه ان ماك لم يره وانما سمع صوته فحسب .

- ٤ -

جلس كارتر ، بعد ان حققه بيت على احد المقاعد في آخر المستشفى وقد بلغ به التوتر الى حد انه لم يستطع ان يقاوم رعشة قدميه فوق الموكيت ، اذ كشفت له زيارة هازل حقيقة مهولة وهى انه عاش الشهور الثلاثة الأخيرة في ضباب مقصود ، كنوع من الوقاية الذهنية ، اصطنعها لنفسه ، ولكنها لم تكن من القوة بما يكفى .. كان في مقدوره ان يتحمل وضعه مع نزلاء السجن ومع الدكتور كاسينى ، اما مع هازل فقد كان هو نفسه لبضع دقائق ، وكان الألم الذى أحس به في ابهاميه الضربة القاضية لعنوياته ، فقد تدمر وأبدى مرارة وتكرانا ، وكان معها كما لا يجب ان يكون الزوج مع زوجته على الإطلاق .

تهالك فوق مقعده ، وانتظر حتى يبدأ مفعول المورفين ، فقد كان يخفف الألم ويقهره وينتصر عليه في المعركة كما هى الحال دائما .. ينتصر لمدة ساعتين ثم يجمع الألم قواه ويعاود الهجوم ولا يلبث هو ان ينتصر في النهاية . كانت مجرد لعبة تافهة وغير واقعية ، كلعبة السجن . كان يرى تلك اللعبة الأخيرة كنوع من الصدمات وجهد كبير لا بد له من التأقلم معه . كانت الصدمة الأولى هى وقوفه عاريا هو واثني عشر رجلا غيره ، دخلوا السجن في نفس اليوم ، أحدهم بقروح في ظهره وآخر بجرح في رأسه لايزال ثملا وشرسا ، وفتى في التاسعة عشرة أو العشرين من عمره ، بسحنة مدمورة وفم دقيق صغير كفم فتاة ، تسبب في

أن يلقي كارتر بضعة أسئلة على نفسه لحظة ، وجعله يتساءل :
أهذا هو الوجه البريء الذى قد يخفى اجراما يفوق اجرام أعتى
المجرمين ، ثم الوجبات الأولى والليالى المظلمة التى لا يتخللها
أى نور ، وبرد ديسمبر ، والليلة التى خلع فيها ثيابه وبيجامته
وبللها من الحوض واستخدمها فى سد شقوق جدران الزنزانة
فى حين أمسك هانكى عودا من الثقاب لكى يمكنه من الرؤية .
وقد خطر لهانكى أن فكرته سديدة تماما لكى تبطل الثياب بحيث
تتجمد وتسد الشقوق تماما . ولكن الشقوق كانت أكثر من
الثياب ، وتذكر ليلة عيد الميلاد التى لزم فيها الفراش بسبب
نزلة حادة وأول اغراء تلقاه من رجل شاذ فى ورشة الأحذية .

كان قد اعتاد على كل ذلك تقريبا ، وعندما علقوه من
ابهاميه تحمل ذلك فى شئ من الصبر والجلد . ولكن ماذا يحدث
لو انهارت قوته وتلاشى صبره وجلده . لو انهارت وشيكا بسبب
ذلك الألم الذى يعصف به ولا يريد أن يزول . أن يعدو فى الممرات
صارخا ، ويهجم على الحراس ويلقى بقبضته فى وجه كل من
يقابله ، حتى يصرعوه فى النهاية أو يضرب رأسه فى الجدار
الى أن يتحطم .

جاءه كلارك لكى يقول له أن هناك من ينتظره فى الطابق
الأرضى ، فأعد لنفسه فنجانا من القهوة وضع فيه ثلاث ملاعق
من السكر لكى تمده بالقوة وجرحه دفعة واحدة ثم أخذ التصريح
من كلارك وهبط بالمصعد .

ومرة أخرى قطع الطريق الطويل حتى صالة الزيارة .
إذا كان الزائر هو ماجران فانه لا يعرف هيئته ولا شكله . ولكن
فى مقدور ماجران أن يعرفه من الضمادات التى فى يديه . واعتدل
كارتر ، فقد كان لابد له من أن يترك انطبعا لـ ماجران ، ليس عن
براءته ، وإنما عن رباطة جأشه فانه قد يطلع هازل على لقائه به .

وقف رجل فى صالة الزيارة وأشار له وعلى شففيه ابتسامة خفيفة قائلا :

— لاورنس ماجران .. كيف حالك ؟

— شكرا .. وكيف حالك أنت ؟

وجلس ، وجلس ماجران هو الآخر . كان رجلا قصيرا بدينا ، بشعر خفيف أسود ونظارة من غير اطار وكتفين محدوديين ، يبدو كما لو أنه يقضى جل وقته جالسا خلف مكتب . وسأل كارتر عن اخباره ، واذا كان ابهاماه يؤبلاه كثيرا ، وهل اقبلت زوجته لزيارته اليوم . كان صوته هادئا بطريقة غريبة .. واضطر كارتر أن ينحنى لى يسمعه .

— اظن أن زوجتك قد حدثتك عن الاستئناف امام المحكمة العليا .. ان اجراءاته قد تطول كثيرا ولكنه املنا الوحيد .

اجاب كارتر :

— نعم . حدثتنى عنه ، ويسرنى ان اسمعك تذكر كلمة الأمل ، فانا بحاجة اليه .

— اننى واثق من ذلك . ولكن هناك اناسا استأنفوا امام المحكمة العليا واعيد اعتبارهم ، وسنحاول نحن نفس الشيء ، اذا وافقت .

— انا موافق طبعا .

— ولكن قد تنقضى سبعة شهور قبل ان نحصل على اى رد ، وقد يكون الرد بالرفض .

وافقه كارتر ، فما الفرق بين سبعة شهور او ستة كما قال توتنج . وسأله ماجران وهو يراجع ملاحظات اتى بها معه . واجابه كارتر :

— كما سبق ان قلت اثناء المحاكمة ، كنت أوقع على الفواتير والايصالات عندما يكون بالر غير موجود ، ولم يكن موجودا في أكثر الأحيان عند قدوم سيارات النقل .

— تقول زوجتك انك تعتقد ان بالر كان يعتمد الغياب لكى تقوم أنت بالتوقيع ، فهل هذا صحيح ؟

— نعم . هذا صحيح .

دون ماجران بضع ملاحظات ثم نهض ، وقال لكارتير انه سيكتب اليه بعد بضعة أيام ، ثم اشار اليه محييا ومتفائلا وانصرف .

احس كارتير بالانتعاش ، فلم يذكر ماجران شيئا عن النقود ، ولم يوح باى امل زائف ، او حتى باى امل فحسب ، وانما قال له: عليك بالحصول على تقرير الطبيب عن ابهاميك ، ولم يزد عن ذلك . ومشى كارتير امام الحارس ، ولكن هذا الأخير لمس كتفه قائلا :

— لديك زائر آخر .

كان الزائر هو جورج جاويل ، عرفه كارتير على الفور . كان رجلا ضخما الجسم ، أسمر ، طوله نحو مائة واثنين وسبعين سنتيمترا ، يرتدى معطفه الرمادى الفضفاض ذا الأزرار البيضاء . وأشار باصبعه الى مقعد شاغر وجلس فوقه . ووجد كارتير مقعدا وجلس أمامه . كان جاويل نائب مدير شركة تريومف لأعمال البناء . كانت هذه المرة الثانية التى يزوره فيها فى السجن . بدا أول مرة بشوشا ومتفائلا ، وقال كغيره ان الأمر لن يعدو الا الاتصال ببعض كبار ذوى الشأن ، وأنه سوف يخرج فى أقرب وقت . أما اليوم فقد بدت ملامحه تدل على خطورة الموقف ،

وارتسمت في عينيه أمارات الرثاء والشفقة ، فقد سمع عن رفض
اعادة نظر القضية ، كما سمع عن ابهامى كارتر كذلك .

— اتفق ان تكلمت مع زوجتك في نفس اليوم الذى عرفت
هى فيه عن رفض اعادة نظر القضية . كانت حزينة في التليفون ،
وكنت قمينا بزيارتها لولا انها قالت لى انها على موعد مع دافيد
سوليفان في تلك الليلة .

— أوه ...

كان كارتر حذرا جدا ، فقد بدا ان جاويل يحفظ ما يريد
ان يقول عن ظهر قلب .

— ان لسوليفان تأثيرا كبيرا على هازل ، الى حد انه اكد
لها انه يستطيع ان يفعل المعجزات .

ضحك كارتر ضحكة قصيرة وقال :

— ان هازل ليست غبية ، وهى لا تعتقد طبعاً انه يستطيع
ان يفعل المعجزات كما تقول .

— لا تكن واثقا من ذلك . ان سوليفان يقوم بلعبة قدرة ،
وقد أصبح له نفوذ كبير عليها الآن . ولعلك لا تدرك ذلك .

احس كارتر بالضيق والغضب ، وبحث بيده اليسرى عن
علبة سجائره :

— كلا . اننى لا ادرك ذلك .

— أبداً وأقول ان سوليفان يتقصى عنى ، ولا ريب أنها
قالت لك ذلك .

شعر كارتر بتوبيخ الضمير لحظة ، ولكنه لم يلبث ان هز

كتفيه ، فهو الذى اوعز الى سوليفان ان جاويل قد يكون مذنباً
هو الآخر كوالاس بالمر ، وقال :

— ان سوليفان محام ، وله اعماله الخاصة ، ولم
اوكله عنى .

ابتسم جاويل ابتسامة كئيبة وقال :

— انت لا تفهم ما اريد ان اقول لك . ان سوليفان يبذل
قصارى جهده للفوز بالحظوة لدى هازل ، مؤكداً لها انه سوف
يجد شيئاً ضدى فيما يتعلق بعلاقتى بوالاس بالمر ، وانى اتمنى
له كل التوفيق .

— وكيف تعرف كل ذلك ؟

— ان الناس يقولون لى كل شيء ، وان لى أصدقاء مخلصين،
ولماذا لا يخلصون لى فأنا لست لصاً ، واستطيع ان احطم وجه
سوليفان ، فان اللعبة التى يمارسها مع زوجته لعبة قدرة . هل
لابد له من الانحطاط لى يقوم بمثل هذا الدور مع زوجة رجل
خلف القضبان لا يستطيع ان يفعل شيئاً لى يدافع عن نفسه .

قال كارتر يحدث نفسه :

— لا تصدق نصف ما يقول .. بل لا تصدق منه شيئاً .

— عن أية لعبة تتحدث ؟

قطب جاويل جبينه وقال :

— اظن انك تعرف ذلك .. لست بحاجة للدخول فى
تفاصيل . ان زوجتك امرأة فائنة جداً .. جداً .

تذكر كارتر تلك الليلة التى غازل فيها جاويل زوجته فى
حفلة كوكتيل بيت سوليفان . كان جاويل قد تناول كئوساً

كثيرة اطارت عقله واسرع نحو هازل قالبا كأس احدهم ، وامسكها من خصرها بقوة بحيث انفك احد ازرارها الخلفية وكشف عن بشرتها البيضاء . واحس كارتر بالدم يغلى في عروقه عندئذ وهم بأن يتدخل وينتزع هازل من جاويل وان يطوح بقبضته في وجهه . وكانت هازل شديدة الغضب هي الأخرى ولكنها ألقت الى كارتر نظرة كأنها تقول لا تفعل شيئا ، فلم يتحرك . وراح يدعك غلاف مشط الكبريت الذى فى يده وقال :

— لماذا لا تدخل فى التفاصيل اذن ؟ . . ذلك اذا كانت هناك تفاصيل .

وراح يدعك غلاف مشط الكبريت فى قوة أكثر وقال :

— هل تدرك أنك تدين زوجتى بقولك هذا ؟

أسرع جاويل يقول :

— أوه ، كلا اننى انما أدين سوليفان ، اننى أعتقد أنه وغد دبق ، ولا اتردد فى أن أقول ان ظاهره يخفى باطنه . انه على درجة كبيرة من الثقافة ، واثيق اللبس ، يعرف كيف يعامل النساء ويحاول التأثير على زوجتك . واننى واثق من ذلك .

— اشكرك لاخبارى ، ولكن الواقع اننى واثق من زوجتى .

وود لو ببتسم شيئا ما ولكنه لم يستطع .

وقال جاويل بلهجة ود كارتر ازاءها أن يهجم عليه رغم جدار الزجاج :

— انت وشأنك . ولنتكلم الآن فى موضوع أهم . سيصرف لك دريكسل مائة دولار أسبوعيا من أصل مرتبك وانت فى السجن وبأثر رجعى . وسوف يستمر الدفع طوال مدة عقدك . كان لى حديث طويل معه بخصوص ذلك مساء يوم الجمعة .

دهش كارتر . كان الفونس دريكسل رئيس شركة تريومف
للانشاء ، وقد احتفظ بحياد بارد اثناء قضية كارتر ، وعندما
شددوا عليه الضغط لاصدار بيان قال اقل ما يمكن في صالحه :
« انه ، بقدر ما أعرف أنجز أعمالاً طيبة ، في حدود ما طلبت
منه . واذا اردتم رأيي فيما اذا كان قد اختلس كل او بعض
النقود فأننى أقول لا أعرف شيئاً على الاطلاق ، وهذا كل شيء » .

قال كارتر :

— هذا جميل منه . وماذا كانت نتيجة ذلك الحديث ؟

— انا على الأخص الذى تكلمت .. اقنعت دريكسل تقريبا
بأن اللص الوحيد في هذه المسألة هو والى بالمر . واذا اردت
المزيد فأننى أحسسته بأنه لم يبذل ما فيه الكفاية اثناء المحاكمة
للافراج عنك ، انت البريء ، وهو يشعر الآن بالذنب نحوك .
واذ يدفع لك جزءا من المرتب فذلك للتكفير عن هذا الذنب
بعض الشيء . ومهما يكن فقد اقترحت عليه ذلك . واظن انك
بحاجة الى ذلك المبلغ .

تساءل كارتر ان كان الأمر بسيطا ومباشرا هكذا . من
الواضح ان جاويل اراد ان يبدو وكأن له الفضل في ذلك .
ولكن لماذا ؟ .. الا انه كان هو الآخر مذنباً كبالمر ؟ ولكن كارتر
لم يكن واثقا من ذلك فلم تكن هناك صداقة متينة تربط بين
الاثنين ، غير ان ذلك لا يثبت شيئا . لاشيء اثبت شيئا فيما عدا
بعض الشيكات والكروت المصرفية المتداولة بينهما .

قال :

— شكرا جزيلا . هذا الخبر سوف يسعد هازل هي

الأخرى .

تمتم جاويل :

– ولم تكن هذه أول مرة أتحدث فيها عن ذلك مع دريكسل .

ونظر الى ابهامي كارتر المضمدين وهز رأسه وأردف :

– ان زوجتك تقول ان ابهاميك لا يزالان يؤلمانك .

اجاب كارتر :

– نعم .

– هذا امر سيء ، ثم ان هناك خطر الادمان .

– اعرف ذلك . قال لي الدكتور انه سيعطيني شيئا آخر . .

ربما اقراص ديموريل .

هز جاويل رأسه وقال :

– هناك في كل قصة كبش فداء ، ويمكن القول انه انت في

هذه المناسبة .

قطب كارتر جبينه وهو ينظر الى منفضة السجائر التي امامه . ما معنى كل هذا ؟ هل يرى دريكسل الان انه برىء تماما ام ماذا ؟ .. نصف برىء .. ولماذا لم يكتب له بذلك . ولكن لعله يخشى ان يعترف بشيء على الورق . وأدرك فجأة ان دريكسل يذكره بجيفرسون دافيس ، صديق قديم ، متقدم في السن ضعيف الارادة وحاد المزاج . وقال جاويل :

– من الخير ان هازل سترحل لبضعة ايام ، فلا ريب انها

قضت اوقاتا عصيبة في هذه الشهور الأخيرة .

– سترحل .

– الى فيرجينيا . مع سوليفان ، في عيد الميلاد . ألم تقل

لك ذلك ؟ .. انها زارتك اليوم ، اليس كذلك ؟

عصف به انفصال مؤلم .. مزيج من الغيرة والغضب ،
واحساس سخييف بأنه استبعد من شيء ما .

— نعم ، زارتني . ولكن كان لدينا الكثير لتبادل به حيث
لم تحدثني عن ذلك .

نظر جاويل اليه في اهتمام وقال :

— نعم . ان لسوليفان اصدقاء هناك ، اصدقاء لهم بيت
كبير .. قصر ملحق به اسطبل وحوض سباحة وغير ذلك ..
آل فينورز .

لم يسبق لكارتير ان سمع بهذا الاسم ، ولعل هازل لم تشأ
ان تحدثه عن هذه الرحلة اشفاقا من ان يسبب له ذلك بعض
الازعاج وهو سجين ، وتساءل هل يمكن ان يكون هذا الاحتمال
صحيحا .

— ان سوليفان يشملها بكل المجاملات ، ولا اعتقد ان له
حظا كبيرا معها ، ولكنني اظن انه يعشقها حقا ، والواقع انه ليس
من الصعب الوقوع في حبها .. هل تذكر تلك الليلة التي سكرت
فيها وغازلتها . أرجو أن لا تكون حاقدا على يا فيل ، وأنت تعرف
أنني لم أحاول إعادة الكرة أبدا .

— نعم ، انني أعلم ذلك .

وقال جاويل وهو يضحك :

وانا واثق ان سوليفان يضيق عليها الخناق بطريقة
حاذقة .

حاول كارتير ان يبدو كأن كل ذلك لا يزعجه على الاطلاق .
ولكنه تلمل في مقعده وتملكه التوتر ، فان سوليفان معسول
القول ، ومتحضر جدا ، ولا ريب أن له طريقة ماهرة في ممارسة

الغزل . . ثم ان له صفات كثيرة تروق لهازل ، وهى الآن وحيدة ولا أحد بجوارها ، ومن الجائز ان لها علاقة خفية مع سوليفان خاصة وانها تعرف كيف تكون كتومة ، ويمكن تماما ان لا تطلع زوجها على شىء لأنها تعرف ان ذلك قد يودى به ، وقال لنفسه انهما لم يضيعا الوقت لأنه لم يدخل السجن الا منذ ثلاثة شهور ، ومثل هذا الأمر يجب ان يبدأ فوراً او ان لا يحدث على الاطلاق .

انتهت الزيارة واذ رأى كارتر الحارس يقترب نهض مرة واحدة ، ونهض جاويل هو الآخر . وتفكه فى غباء فقال انه سيأتيه فى المرة القادمة بملف لكى بدرسه وأشار اليه بيده ثم انصرف وغادر كارتر غرفة الاستقبال مسرعاً .

وعندما بلغ العيادة كانوا يقدمون العشاء ، وكان بيت ينقل الأطباق كلما صعد بها المصعد ، فقد كان الطعام يأتي من بعيد ، وكان بارداً جداً .

تساول كارتر عشاءه وهو جالس على حافة فراشه لأن العيادة لم يكن بها مائدة كبيرة تسع كل الأطباق . ووضع كتاباً مفتوحاً فوق الفراش ، متكئاً على مرفقه الأيسر . كانت رواية تاريخية ضخمة ، متوسطة الجودة لم ترق له فى البداية . ولكنه لم يلبث ان أدرك أنها تساعد على قتل الوقت لأنها كانت ، من موقف الى آخر مثيرة ، وقد حيرته تماماً . وراح ينظر الى الكتاب الآن بين قضمتين دون ان يرى كلمة واحدة مما هو مكتوب . وكان طعامه مكوناً من هامبورجر تفوح منه رائحة فاصوليا حامضة ، وبطاطس مهروسة تسبح فى صلصة رمادية شاحبة تعلوها طبقة من الشحم المتجمد . ولم يكن الطعام يقدم فى أطباق وانما فى صينية ، والجزء الوحيد الصالح للأكل هو الخبز ، وهو عبارة عن كسرتين مع قطعة صغيرة من الزبد . وأكل كارتر بملعقة ، فلم يكن مسموحاً للمساجين الحصول على سكين او شوكة ،

وازدرد القهوة جرعة واحدة من فنجان من البلاستيك ، ثم حمل الصينية الى الطرقة ووضعها على الأرض بجوار المصعد . وسينقلها بيت فيما بعد الى المصعد مع غيرها من الصواني والملاعق .

وعاد كارتر الى فراشه ، وأخذ من فوق المنضدة قلمًا وامسك بالخطاب الذي كان قد سبق وكتبه لهازل وأضاف اليه ما يأتي :

« حبيبتي هازل ، أحسست بانطباع طيب نحو ماجران كما قلت لي . ويوسفني جدا اننى كنت كئيبي اليوم ، وأرجو أن تصفحني عنى . . انك كنت على حق عندما قلت لي ان ابهامي يؤلماني (فلم أشأ ان اتعاطى حقنة قبل قدومك) وهو ألم يكاد يكون كالم الأسنان الذى يهد الأعصاب . ولكن الأمر أصبح محتملا الآن .

جاءنى ج. جاويل بأنباء طيبة . قرر دريكسل أن يدفع لى مائة دولار أسبوعيا وذلك بأثر رجعى وطوال فترة العقد . وقال لى ج. أيضا انك سترحلين فى عيد الميلاد مع دافيد ، وهذه فكرة طيبة حقا . فليباركك الله يا حبيبتي . اننى أحبك وافتقدك ، ولم يعد هناك مكان فى الورقة لكى أكتب لك المزيد » .

والواقع ان الورقة كانت قد امتلأت حقا بحيث لم تسع أكثر من الحرف الأول من اسمه . وراح كارتر يتقلب فى فراشه ثم غلبه النوم وقد دفن رأسه فى الوسادة لفرط ما لقيه من تعب لكى يكتب ، ولرثائه لنفسه بالذات . أحس بالبطولة لقوله انه مسرور لأنها راحة مع سوليفان ، ومع ذلك فقد كان من الواضح تماما انه ليس بطلا ، بل كان على النقيض من ذلك . فأية بطولة فى ان يسدى خدمة لهاتكى فى رغبته الواضحة فى ان يكون على علاقة ودية غامضة مع مجرم شقى . اما كان فى امكانه أن يشك

فى ان هاتكى يدبر له لعبة قسرة عندما طلب منه المضى بعلبى السجائر ؟ كان غباء منه ان لا ىرقى الىه اى شك ، ولكى يعود الى ابعء من هذا الم يكن غباء منه ان يوقع على شىء لم يقراه او يتحقق منه ، كايصالات التريومف . كان من الممكن ان ترتفع الاسعار عند توقيعها ، وما كان فى مقدوره ان يعرف الفرق . ولكى يعود الى ابعء من هذا ايضا الم يكن من الاهمال بحيث اجلب على سؤالين فقط من ورقة الامتحان لانه لم يقرا الاسئلة بعناية او لانه لم يقلب الورقة . لقد كانت النتيجة انه حصل على درجة متوسط وهى درجة لا تؤهله الى الكثير فى الواقع . ولكن احد اساتذته زوده بتقرير فى صالحه لكى يحصل على وظيفة . ومع ذلك فقد كانت تنتظره وظيفة حتى قبل حصوله على المؤهل . كان كل شىء سهلا بالنسبة له . وسره طوال حياته ان ينال كل ما يشتهي المرء من سعادة وعيش وغيد .. حتى الآن .. مات ابواه .. ماتت امه بعد شهور قليلة من ولادته ثم مات ابوه عندما بلغ الخامسة من عمره . وتكفله عمه جون واحبه لانه لم ينجب اولادا ، كما احبته زوجة عمه ادنا هى الاخرى كما لو كان ابنا لها . واستثمرا ثروة ابويه فى مشروع من اجله انفقا عليه من ريعه فلم ينقصه شىء ، وابتاعا له سيارة عندما بلغ الثامنة عشرة ، ولم يبخلوا عليه بالنقود للخروج مع الفتيات والانفاق عليهن ، ولم يضطر ابدا للعمل اثناء الصيف ، وكانت له صديقات كثيرات بعد تخرجه من كليته ، وبعد ان حصل على شقة خاصة به فى مانهاتن . وكانت له علاقات كثيرة بدت له الآن صبيانية جدا ، وأدرك انها لم تكن لها اى جدوى الا تغذية غروره ، ثم التقى بهازل اولكوت ، وكانت مخطوبة وقتئذ لمزارع شاب يدعى دان ، له مزرعة فى البرازيل . التقى كارتر بها فى حفلة اقامها احد اصدقائه فى نيويورك ، ولفتت نظره على الفور وسأل صاحب البيت عنها ، وعرف عندئذ وجود المزارع الشاب ، وكان هو الآخر فى الحفلة ..

شباب في الثلاثين من عمره ، كله ثقة ، وفي نفس الليلة سأله هازل
ان كان يريد ان يحضر حفلة عيد ميلاد أهدتها لأمها ، وقبل كارتز
بذكائه العادي الدعوة وهو يقول لنفسه ان الخطيب سيكون
موجودا هو الآخر ، وأمها كذلك ، وأصدقاء أمها . وتلت الدعوة
دعوات لم يكن الخطيب موجودا فيها لأنه كان يبدو كثير المشاغل
رغم ان الزواج كان مفروضا ان يتم في أغسطس . ثم جاء شهر
يولية ، ورغم انه أحس ان هازل تشجعه فقد خشي ان يعترف
لها بحبه لأنه أحس لأول مرة في حياته بان الحظ لا يتسم له .
ثم انه قال لنفسه ان هازل قد تستهجن اعترافه هذا ما دام
يعرف انها مخطوبة . وفي آخر يولية قال لنفسه انه ليس هناك
ما يخسره ، وتمتم لهازل بأنه يحبها ولم تستهجنه أبدا وإنما
قالت له : نعم ، اننى أعرف ولكن لا يزعجك الأمر فقد فسخت
خطبتى لدان منذ ثلاثة أسابيع . . يا للسهولة العجيبة . .
ويا للمعجزة ! . . وأحس عندئذ ولأول مرة في حياته بأنه سعيد ،
ودامت سعادته بالذات سبع سنوات وشهرين . حتى اليوم
الذى وقع فيه بالر من فوق صقالاته .

كان كارتز وادنا يتراسلان مرتين كل سنة . الآن . فبعد ان
مات العم جون أنتقلت العمه ادنا الى كاليفورنيا للاقامة مع اخت
لها . ولم يكتب لها كارتز منذ ان بدأت القضية . بدا بأن قنال
لنفسه ان هذا الكابوس سوف يزول ، وان الأمور لن تلبث ان
تنصلح بطريقة ما ، ولم يشأ ازعاج عمته بأمره فقد تجاوزت
السبعين الآن . ولكن الكابوس ظل جالما ، وقال لنفسه ان الوقت
قد حان الآن لى يكتب لها . كان كثيرون من أصدقائه قد قرأوا
في الصحف ما حدث له وكتبوا اليه كلمات رقيقة ، ود لو يرد
عليها ، ولكنه لم يفعل ، وكان التفكير في الكتابة اليهم الآن
بفيضا ، ومع ذلك فقد أدرك انه ان لم يفعل فسوف يكون ذلك
بمشابة اعتراف بذنبه .

استيقظ كارتر متوترا وقلقا لأنه رأى حلما . وقام نصف قومة في فراشه ، ونظرا إلى الساعة فوق الباب . العاشرة والدقيقة العشرون ، فعاد النوم من جديد ، وقد غطي العرق وجهه وتسارعت أنفاسه ، وابتلع ريقه ، ومد يده ليتناول كوب الماء ورأى أنه فارغ .

لفتت نظره حركة في ركن الغرفة . نهض الدكتور كاسيني من مقعده ، واقترب منه وهو يبتسم وقال كارتر :

— كلا لست بحاجة إلى حقنة أخرى .

— لم أقل أنك بحاجة إليها . هل رأيت حلما بغيضا .

نطق كارتر بهمة غير مفهومة ، وغادر فراشه لكي يأتي بكوب من الماء ، وعاد به وهو ممسك به بين أصبعيه الصغيرين وسبابته ، وهي طريقة لم تعد تثير طرب أي أحد . وكان أصعب شيء بالنسبة له هو تزيير قميصه وبنطلونه .

بقى الدكتور كاسيني واقفا بجوار فراشه وقال :

— اظن أنك تستطيع العودة إلى عنبر الزنزانة غدا إذا أردت .

أحس كارتر بشيء من التحدى في كلماته . كان من الواضح أن الدكتور كاسيني يرى أن حالته قد تحسنت جدا الآن . وراح الطنين يدوي في رأسه بسبب المورفين .

— وربما تستطيع البقاء هنا إذا شئت أن تساعدنا ، فانت ترى أننا بحاجة إلى مساعدين . حتى بدون إبهامهم .

نظر الدكتور كاسيني إليه كما لو أنه يرى من الأهمية أن يتخذ كارتر قرارا ، واستطرد يقول :

— لا أعرف أى عمل سيعهدون به اليك فى عنبر الزنانات ..
ربما عمل زراعى .. أو صناعة الأحذية أو النجارة .. كل ما يخطر
لى على بال مستبعد بسبب ابهاميك . ومن ناحية أخرى قد
نستطيع أن نلتقط لك أشعات أخرى بعد أسبوع . يجب أن يزول
الالتهاب أولاً ، وقد يكون من الخير لك البقاء هنا .

أحس كارتير لحظة بالغثيان .. رائحة المطهرات والقصارى
والبواسير والفتاق .. كل ذلك عاد الى ذهنه مرة واحدة ..
ثم .. ثم الخوف من الإدمان على المورفين لأن الحصول عليه
فى العيادة أمر ميسور .

وقال الدكتور كاسينى فى هذه اللحظة بالذات :

— لا يمكنك الحصول على ما تريد من مورفين بسهولة كما
تعرف .

— أعلم ذلك . وقد قلت لى أنك ستعطينى شيئاً آخر ..

عقد الدكتور ذراعيه وابتسم وقال :

— لن تكون له فائدة كبيرة .

خطر لكارتير أن الدكتور نفسه قد يكون مدمناً ، وقد واثته
هذه الفكرة قبل ذلك ، ولكنه لم يكن متأكداً . ولم يكن هذا
ليهمه على كل حال ، ولكن بدا له كأن الدكتور كاسينى يدفعه
دفعاً للاستمرار فى تعاطيه والاعتیاد عليه ، ربما مثله .

قال كارتير :

— أستطيع أن أجرب على كل حال .

وجلس فى إفراشه .

ـ حسن جدا . غدا صباحا سأعطيك الأقراص . ويمكنك
ان تمضى الى الغابة اذا أردت .

وابتعد ، ولكنه استدار فجأة وقال :

ـ اذا واجهتك مشاكل فى العمل الذى يعهدون به اليك
فاخبرنى ، فقد أستطيع مساعدتك .



هبط كارتر في صباح اليوم التالي الى العنبر رقم ١ وفي جيبه دسنة من الأقراص ، وأغراضه مربوطة في قميص . وكان الدكتور كاسيني قد ضمد له ابهاميه بحيث يكونان في مأمن من كل شيء ، وكانت الساعة قد اشرفت على التاسعة والمساجين يباشرون أعمالهم . ونظر الحارس الى تصرّيح كارتر ، وألقى نظرة الى ابهاميه ثم مضى به الى زنزانه القديمة . وكان الحارس جديدا بالنسبة لكارتر ، والزنزانة يشغلها رجلان حاليا ، وقد أدرك كارتر ذلك وهو ينظر الى الحزامين المرقمين المطلقين بالبلب والمنشفتين . وكان هانكي لا يزال مقيما بها وقد عرف كارتر ذلك من الصورة الملونة للشقراء الموضوعة فوق المنضدة والخاصة بهانكي .

وقال الحارس :

لعله يجب وضع سرير تقال هنا .

كان كارتر يعرف ان العديد من الزنزانات يقيم بها ثلاثة رجال رغم انها مبنية في الأصل لاقامة سجين واحد . واشفق من ان يتواجد من جديد مع هانكي والرجل الآخر ، خاصة وان كلا منهم يمكن ان يصطدم بالآخر عند أقل حركة ؛ فقال :

— اليس هناك زنزانة أخرى ؟

قال الحارس وهو يلوح بتصريح كارتر :

— اذا قيل الزنزانة رقم ٩ في الزنزانة رقم ٩ . انتظر هنا .
ومضى نحو القفص .

كان كارتر يعرف ان الانتظار سيطول ، فاجتاز الطريقة
وتهالك فوق مقعد خشبي ، وانتظر نحو خمس وأربعين دقيقة
قبل أن يعود الحارس . ونهض عندما رآه . وقال الحارس :

— سيأتون بسرير نقال بعد دقائق ، فادخل .

عاد كارتر الى الزنزانة رقم ٩ . ولما لم يكن هناك فراش
خاص به فلم يعرف أين يضع أغراضه فوضعها فوق الأرض
ثم تمدد في الفراش السفلى تاركاً قدميه يتدليان نحو الأرض .

وجاء السرير النقال . جاء به سجين لم يسبق لكارتر أن
رآه . وحاول أن يساعده في اعداده ولكنه لم يستطع بسبب
إبهاميه المضمدين . وقال له السجين :

— « لا تراع » واعد السرير في ثوان ، كما لو كان قد فعل
ذلك مرارا ، وكان شابا اسمر الشعر يبدو ايطالي الجنسية
ومسأل :

— هل علقوك من إبهاميك ؟

— نعم .

لقى الشاب نظرة سريعة حوله من خلال باب الزنزانة
المفتوح ثم قال :

— جميل ان ضمد هؤلاء الأوغاد أصابعك . أرجو أن يكون
زميلك ظريفا لكى يعاونك في اعداد الفراش .

- شكرا .. شكرا جزيلا .

- اسمى جو زوك .

- وانا اسمى كارتو .

ووضع قرصا في فمه وانحنى فوق صنبور الحوض وامتنص الماء الذى تجمع في كفيه ثم استلقى فوق السرير النقال في انتظار ان يقوم المسكن بمفعوله . ومضت عشر دقائق دون ان يلحظ اى تغيير في المـه ، وشك في ان الدكتور كاسينى قد خدعه واعطاه اقراصا لا مفعول لها ، ولعنه كارتو في سره ، وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة وخمس دقائق ، وسيعود الرجال بعد عشر دقائق لقضاء ربع ساعة من الراحة قبل الغداء ، وكان الدكتور كاسينى قد قال له :

- اذا رايت انك بحاجة الى حقنة فاطلب من أحد الحراس تصريحاً لكى تصعد الى العيادة ، ولكنه لم يعطه شيئا كتابة . وابتلع كارتو قرصا آخر كيفما اتفق ، ثم خرج من الزنزانة .

كان الحارس المنوط به الحراسة في تلك الساعة هو شرنيفر ، ولم يكن هناك احد غيره . ونظر الى كارتو بعينين متسعيتين لفرط الدهشة ، ربما لأنه رآه يخرج من زنزانه كان يعتقد انها شافرة ، او ربما لأنه تصور ان كارتو يخرج من القبر . وقال له كارتو :

- اريد تصريحاً للذهاب الى العيادة .

- ماذا بك ؟

- اننى اتالم . قال لى الدكتور كاسينى انه يستطيع ان يعطينى حقنة عندما احتاج اليها .

ارتسمت على وجه شرنيفر النحيل تقطبية قد يكون سببها الاشغزاز أو الدهول ، وقال :

— اذن فقد عدت الى الغاية .

— نعم يا سيدى . ولكن مسموحا لى ان امضى الى العيادة
وقت الحاجة .

كشف شرنيفر عن أسنانه دليلا عن عجزه ، ومضى نحو
المقص . وأدخله ، ومر امام الحارس الثانى واختفى خلف متاهة
القضبان المزدوجة .

وانتظر كارتر . كان يقف فى منتصف الطريقة تقريبا . وكان
فى مقدوره ان يمضى حتى نهاية العنبر وان يستدعى المصعد ،
ولكنه لم يكن متاكدا ان فتى المصعد سيمضى به الى العيادة بدون
تصریح ، حتى ولو كان الالم يعصف بكل كيانه . عاد الرجل
زوافات من المصنع ، وهو ينتظر بحيث لم يستطع ان يرى اذا
كان شرنيفر عاد ام لا ، او اذا كان هانكى وزميله دخلا الزنزانة
رقم ٩ ام لا . وخشى ان يرى هانكى اغراضه ويعرف صاحبها
او ان يرى السرير النقال ويملكه الغضب بسبب الوافد الجديد .
فى مقدوره تماما ان يطوح بالأغراض او بالكتب وبخطابات هازل
وصورتها بعيدا وان تقع فى يد أى شخص . وامضه الالم وارهقه
واوشك ان يفقد رشده . ضاع كل أمل له فى الحصول على
تصریح ، ولا ريب ان شرنيفر كان مشغولا باحتساء القهوة من آلة
التوزيع فى صالة الانتظار .

قال له بعضهم فى صوت مرح :

— اهلا يا كارت . ولكنه عندما نظر الى الجهة التى صدر
منها الصوت لم ير غير ظهور تتحرك . وألقى نظرة حوله يبحث
من حارس آخر ، وتشبث بقضبان زنزانة كانت مفتوحة ، وراى
زنجيا داخل الزنزانة يقول له شيئا لم يسمعه ثم اغمى عليه .
وعاد الى وعيه فوق سرير النقال . وكان هانكى ينظر اليه

وقد وضع قبضتيه الضخمتين حول خصره ، وسجين آخر أسود
ينظر اليه بعينين متسمعتين بياضهما يبرق بطريقة غريبة .
وأجس كارتر بأن جبينه مبتل وكذلك شعره ، ربما من العرق
أو من ماء القي عليه . وقال له هانكى :

— إذن فقد عدت .

سمع كارتر سؤاله ولكنه لم يستطع أن يعرف المعنى الذي
يقصده . وأفلح في الوقوف وهو يقول :

— يجب أن أمضى إلى العيادة . وتقدم بضع خطوات في
مشقة بالغة ، وتراجع الزنجرى خطوات وكذلك سجين آخر كان
يقف ويراقب ما يدور . وسار كارتر وهو يترنح إلى الطريقة
وتحول في طريقه إلى المصعد . كان هناك جسد يندفع الآن نحوه
لأن الرجال كانوا في طريقهم إلى قاعة الطعام ، وتقع على يسار
القفص . واصطدم بعضهم به ، ودفعوه بمناكبهم ، فارتد إلى
الخلف واصطدم بغيرهم ، وصاح بعضهم :

— ايه يا انت ! . هل انت سكران ؟

— واين اجد ما اسكر به ؟

ضحكات .

— انت لا تسير في الطريق الصحيح .

لم يكن أمامه إلا بضع خطوات لكي يصل إلى المصعد .
سينطلب من الدكتور كاسيني أن يهبط إليه إذا لم يتمكن هو من
الصعود .

— ايه يا كارتر ...

— انه كارتر .

وبصاح أجد الحراس في صوت مرتفع :

— انت يا كارتر !

وهوت على رأسه بعد ذلك مباشرة مطرقة ، دوى رنينها
كرنين الجرس . وفي اللحظة التي وقع فيها ارتطم شيء يبطنه
ولم ير غير السواد بعد ذلك ، وسمع هديرا عاليا كما لو أنه في
بحر خضم ، ودوت صفارة ، ومشوا على إبهاميه ، ومشوا على
كل جسده ، ولم يؤلمه شيء في الواقع غير إبهاميه . ولم يلبث
أن جرت به بعض الأيدي وتركته بجوار بعض القضبان ، وهناك
انهار فوق الأرض .

انطلقت صفارة ثلاث مرات . وصاح الحراس خلال الصمت
المفاجيء ، وراى كارتر من خلال عينيه النصف مفتوحتين المساجين
يبطئون ويتفرقون ثم لم يعد هناك غير ديبب الأحذية على
الأرض . كان هناك حارس طريح في الطريقة ، على بعد عشرين قدما
منه . وكان وجهه مخضبا بالدماء وقبعته على الأرض على مقربة
منه . واقترب حارسان شاهري السلاح نحو الحارس الملقى
على الأرض ، وراحا ينظران الى المساجين الذين بداوا يتقهقرون .
وصاح أحد الحارسين :

— من فعل هذا ... من الذى لمس هذا الرجل ؟

وقف ثلاثمائة مسجين مكانهم صامتين بحيث بدا أنهم
لا يتنفسون !

— عودوا الى زنزاناتكم ... جميعا ... عودوا ... هل
تسمعون ؟

ارتفعت همهمة في الخلف ، اعقبها ضحكة حادة قوية .
وعادت الحياة ببطء الى المساجين . وعادوا الى زنزاناتهم وهم
يجرون اقدامهم في صوت واحد .. ونظر أحد الحارسين الى
كارتر في شيء من الجذ ، ثم انحني فوقه كزميله الذى كان جاثيا

على ركبتيه بجوار الجسد الممدد على الأرض . واستطاع كارترا أن يرى عندئذ أن الحارس الممدد هو شرنيفر بالذات .

صدر صرير من باب العنبر ، ودخل أربعة حراس جدد مدججين بالسلاح ومروا مسرعين أمام المساجين الذين بدأوا يعودون إلى زنزاناتهم في جماعات صغيرة . وشهر الحراس الأربعة مسدساتهم ، ودوت أحذيتهم على الأرض . وقال أحدهم :

— انه شرنيفر .

— وهو ميت .

— من فعل هذا ؟

— اوه .. الجميع .. الجميع بلا استثناء . كان العنبر يزخر بهم .

وارتفع صوت من بين صفوف المساجين قائلا :

— هذا صحيح . وكان يمكن أن تكون أنت . وأمقت تلك العبارة فهقهات وهتافات وقال أحدهم :

— القوا به حيث تلقون قمامتكم .

راح الحراس الأربعة يجرون في كل ناحية من العنبر ، شاهرين مسدساتهم وهم يسبون المساجين وصاح أحدهم :

— اصمتوا .. اصمتوا وكفوا عن بداءاتكم والا ستلقون الرصاص من خلال القضبان .

وصاح حارس آخر بصوت جهورى :

— أغلقوا أبوابكم .. أغلقوا كل الأبواب .

أغلقت الأبواب ، وراح الحراس يجيئون ويذهبون وفي عيونهم

نظرات التهديد نحو الزنانات ، وسرعان ما ارتفع طنين أشبه
باقتراب جيش من النحل أو بهبوب ربح عاتية ، ورائى كارتز
وهو ينظر الى الزنانات التى تواجه كل الرجال .. وقوفا خلف
القضبان ، مطبقين أفواههم ، والهدوء مرتسم على وجوههم ،
ولكن الطنين استمر يرتفع فى نظام وبقوة من جميع الزنانات .

صاح أحد الحراس :

— كفوا عن هذا الهدير والا القينا بكم جميعا فى الجحور .
ولكن الهدير ازداد ارتفاعا .

حمل الحارسان الجسد الهامد نحو القفص . وتعثر أحدهما
وأوشك أن يقع فراح أحد المساجين يضحك فى جنون .

اصطفقت بعض الأبواب ، ثم غيرها وغيرها ، ولم تلبث أن
سرت ضجة آلية كما لو أن آلة ضخمة أصابها التلف . وجاء
حراس آخرون وراحوا يركضون فى كل ناحية من العنبر وهم
يصرخون ، ولكن أحدا لم يتمكن من سماع ما ينطقون به . وانطلقت
رصاصة فجأة ، ولم يعرف كارتز من من الحراس أطلقها ، وفجأة
أطلق جميع الحراس الرصاص الى أعلى نحو السقف ، وارتفع
الدخان من مسدساتهم ، ورأى صمت تام بحيث أن كارتز أصبح
يسمع أنفاس الحراس اللاهثة ، كانت عيونهم جاحظة ، يرددون
البصر فى كل مكان لكى يروا أن كان هناك من يجرؤا من المساجين
على القيام بأية حركة .

تقدم حارسان ، مونا ورجل آخر ، فى ببطء ، كل منهما
من إحدى ناحيتى العنبر ، شاهرين مسدسيهما . وإذا رآيا أن
الهدوء قد عاد سارا حتى آخر القفص ، وارتفعت عندئذ همهمة ..
همهمة جماعية ، وأدرك الرجال الذين خلف القضبان أنهم
سيحرمون من الغذاء .

قال أحد الحارسين وهو يقترب من كارتر :

— من هذا ؟ .. من أنت ؟

— كارتر ... ٣٧٧٦٥ .

— ما الذى وقع لك ؟

واذ رأى كارتر ان الحارس منفلعل ويوشك ان يضربه بذل
جهدا كبيرا لئلا يقف ، وتشبث بباب اقرب زنزانه ، واحس بيد
أحد المساجين تساعد ، أخرجها صاحبها من بين القضبان وساعده
على النهوض . وكانت يدا سوداء .

— يجب ان أمضى الى العيادة .

سأله الحارس :

— أين تصرحك ؟

جفف كارتر سيلا من شيء يجرى على وجنته ، وادهشه انه
دم وقال :

— كنت فى طريقى لطلب تصريح ، ولكنهم أوقفونى .

— من أين أنت ؟

أجاب كارتر أوتوماتيكيا وهو يرفع إحدى يديه قليلا :

— من العنبر رقم ١ ، زنزانه رقم ٩ . قال الدكتور اننى
أستطيع ان آخذ حقنة كلما احتجت اليها .

قال له الحارس :

— تعال ... وتقدم نحو القفص .

أفلح كارتر فى ان يتبعه وهو يتشبث بكل ما تقع عليه يده

من قضبان الزنزانات التي يمر بها . وارتفعت منها همسات التشجيع ، وكذلك بعض عبارات السباب ضد الحراس ، ودخل الحارس الذي يتقدمه القفص ، وخرج بعد قليل ومعه تصريح وأشار اليه وتقدم كارتير نحوه بضع خطوات ولكن قواه خذلته ووقع . وصاح الحارس :

— ادى ... فرانك ... هلمنا ساعدانى .

وامسكوه من ذراعيه ، ودفعوه نحو آخر العنبر الذي بدا له الآن وكأنه استطال الى خمسة عشر كيلو مترا ، وعندما بلغوا المصعد حمله الحراس الثلاثة تقريبا ودخلوا به وهم يتمتمون ان شرنيفر لقي حتفه لهذا السبب .. بسبب ابهاميه : « يا لها من حياة قدرة لا تساوى ما يدفعونه لنا .. أولاد العاهرات .. واذا حدث وقتلنا واحدا عرضا ... آه ... » وانفتح باب المصعد .

اقبل بيت وعلى وجهه إمارات الدهشة ، وعينه الوحيدة مفتوحة على اتساعها . وقال له أحد الحراس :

— ضربه بعضهم .

سار الى فراشه القديم بمعاونة بيت وهو يحمى ابهاميه حتى النهاية .. حتى اللحظة التي استلقى فيها على ظهره واستطاع أن يمدد يديه تحت الفطاء . وسأله بيت وهو يعد الحقنة :

— ما الذى حدث ؟ ... يا الهى .. ان حاجبك وادم .. انتظر لحظة .

لم يكن المورفين قد بدأ مفعوله بعد ، وتصوره كارتير يسرى بقوة خلال عروقه ، يبحث عن الألم يمينا ويسارا ويجده ..

وينازله مسرعا كالنمر الذى ينقض على فريسته . وكان بيت
يمسح جبينه بالحكول .

— ماذا حدث ؟ .. سمعته يقولون ان تمردا وقع . تناهت
الضجة الى آذاننا . هل جرح أحد الحراس ؟ .. لقد استدعوا
الدكتور تحت .. هل ضربوك ثانية .

لم يكن فى صوته أى ود ، وانما مجرد فضول . وقال
كارتر :

— قتل شريف .

أسرع بيت يقول :

— الى حيث القط . ولكن من الذى قتله ؟ هل رايته ؟

اجاب كارتر فى صوت ناعس :

— الجميع يا بيت .. يجب ان استرد اغراضى من الزنانة
رقم ٩ .

— حسنا . سأهبط وآتيك بها .

الذى كارتر نفسه مع الأحلام التى فى رأسه . رأى هازل
بثوب الاستحمام الأزرق والأبيض ، وبقبعة ، كما تبدو فى
الصيف .. أين ؟ .. أين ؟ .. رأى شاطئاً
طويلاً مشمساً ، وتيمى على الشاطئ فوق الرمال ، والسما
الزرقاء تمتد فوقهم الى مدى البصر .. مضوا بعد ذلك الى
مطعم واكلوا سمكا ، ثم استقلوا السيارة وعادوا الى القللا التى
استأجروها . ورفعت هازل وشاحها وتركت الريح تصفر خلال
شعرها .. تذكر كارتر الآن .. كان ذلك فى نيوهامبشاير ، منذ
سنتين .

وفيما بعد ، ومن غير أن يستيقظ تماما راح يتقلب في فراشه لأن الألم عاوده ، ورأى بيت منحنيا فوقه . وبدأ له وجهه ورأسه كبيرين . ورغم أنه كان يتجنب دائما النظر الى عينه الفارغة فإنه لم يستطع أن يحول بصره عنها ، كما لو كان واقعا تحت مغناطيس . كان بيت يبتسم مسرورا وفي شيء من الطرب وهو يرى أن كارتير لا يستطيع تحويل عينيه عن هذا التجويف .

ثم استيقظ كارتير تماما ، ونظر الى عين بيت مباشرة وصرخ . وصرخ مرة أخرى وراح يتقلب لكي يتخلص من يدي بيت اللتين تشبثان بيديه . واقبل الدكتور كاسيني فكف كارتير عن الصراخ فجأة . كان متكئا الآن على أحد مرفقيه ، واحد ابهاميه المضمدين في عينه هو بالذات .

واعطوه حقنة أخرى . وقال الدكتور في مرجح :

— ليس هذا بمورفين على الإطلاق ، وإنما هو مسكن أكثر فاعلية . . يا له من يوم يا فيليب . . هاها . . لقي السيد شرنيفر حتفه (ونطق بهذه العبارة الأخيرة في ارتياح) .

وفي الأيام التالية كان مصرع شرنيفر والهدير والمهمة حديث الدكتور كاسيني وبيت والكس في العيادة ، واتفقوا على أن ذلك الهدير وذلك التمرد لم يكن لهما من سبب أن لم يكن سببا تافها كرداءة الطعام . كان مقتل شرنيفر حادثا تافها ومن كثرة الحديث عنه بدا لكارتير أنه حادث تافه وتافه جدا .

كان لزاما على كل سجين يستطيع السير حضور قداس يوم الأحد الذي يقام في الساعة العاشرة صباحا . وقد حضره كارتير ، وحياته بعض المساجين في صمت . ولم يكن قد سبق لهم أن حيوه في السجن . ومع ذلك فلم يكونوا أكثر من عشرين أو ثلاثين سجينا من المائة الذين حضروا القداس . وتكلم الواعظ بعد الصلاة

والتراتيل عن الحارس توماس شريف الذي لقي مصرعه يوم
الاثنين أثناء قيامه بواجبه ، وطالب الرجال أن يفسلوا قلوبهم
من كل ذنب وان يغفروا للذين من بينهم الفارقة قلوبهم في الجهل
والذين حادوا عن الطريق القويم وارتكبوا هذا الاثم ، وان يصلوا
لروح توماس شريف . واحنى كارتير رأسه مع الآخرين ، وكان
يجلس في آخر الكنيسة تقريبا ، وسمع بضع همهمات وضحكات
لم يستطع أصحابها كتمانها .

- ٦ -

التقى كارتر بماجران مرتين خلال الشهر الذى تلا مصرع شريف ، وكان يعيد الاجراءات التى سبق ان قام بها توتنج ، ولكن بطريقة اكثر عمقا ، فوجد شاهدا .. موظف بالبريد يدعى جوزيف دودى تذكر انه اجر صندوقا بريديا لوالاس بالمر فى يولية الماضى فى مدينة تعرف باسم بونتدهيل ، على بعد مائة كيلو متر من فريمونت . وتذكر دودى ، عندما رأى صورة بالمر انه اجر له صندوق بريد باسم آخر غير اسمه . وقيل الكثير اثناء نظر القضية عن صندوق بريد رقم ٤٢ بأوجيلفى وآخر برقم ١٩٥ بسوتيررايد ، وكانا مدونين على بطاقة بحافظة بالمر ، ولكن لم تصل أية رسالة الى هذين الصندوقين بعد موته . وقد اتضح أن الموردين الذين تدفع لهم شركة تربومف من أموال مجلس ادارة المدرسة لا وجود لهم ، وان بالمر اخلق هذه الشركات والمعدات التى توردها وتسلم المال نيابة عن الشركة فى مختلف صناديق البريد التى اتخذها باسماء مستعارة . وقد سأل كارتر بماجران اذا كان يظن أن جاويل قد تسلم مالا من بالمر فأجابه بكل هدوء :

— هذا ممكن فان ذلك المال ذهب الى مكان ما .

ومن ناحية اخرى فان دافيد سوليفان ، وكان قد اتى لزيارة كارتر مرة اخرى فى ذلك الشهر ، وهى زيارته الثالثة أو الرابعة له وهو فى السجن كان يبدو مقتنعا تماما باشتراك جاويل ، ويزعم

أن في استطاعته اثبات ذلك ، وقال انه تحدث كثيرا مع ماجران ؛
وانهما يتعاونان معا في محكمة النقض ، غير أن سوليفان كان
محاميا مدنيا ليس من حقه المرافعة في القضايا الجنائية ، ثم ان
كارتر لم يدفع له . وكان لدى كارتر احساس غامض بأن جاويل
على حق وأن سوليفان يحاول الظفر بانطباع حسن لديه لازالة
الاستياء الذي قد يشعر به لكثرة رؤيته لهازل .

وجاء عيد الفصح ومر شهر . ورأى كارتر ماجران يوم
الأحد ، وكان قد أخذ حقنة من المورفين قبل قدومه . وكان
يحقق نفسه بنفسه الآن ممسكا بالحقنة بين أصابعه ويدفعها
بكفه . وساهم المورفين وجدية الحديث في رفع معنوياته وفي ازالة
الحزن الغامض الذي يعصف به بسبب عدم قدوم هازل في ذلك
اليوم . وفيما بعد استطاع وهو مستلق على فراشه بالعيادة أن
يبتسم وهو يفكر فيما يمكن أن تفعله هازل في ذلك الوقت . لعلها
تأخذ حماما شمسيا وهي تجرع كأسا بجوار حوض سباحة
مضيفها وتثرثر مع سوليفان وآل فينورز وتستمع الى الاسطوانات
وهي تدور . سيتخذون بعد ذلك أماكنهم أمام مائدة كبيرة عليها
مفرش كبير فوق أطباق بها أشهى الأطعمة . ولعل سوليفان
سيطرى هازل بمجاملاته ويشملها بنظراته الوالهة عبر المائدة ..
أوه .. لم يهتم كارتر بذلك على الإطلاق ، فان هازل تحب
المجاملات .

وفي ليلة الأحد من عيد الفصح لم يستطع النوم رغم كل
المورفين . كان ينهض من وقت لآخر وهو يترنح ليرد على شكوى
أو نداء يهمهم به بيت . أحس بأنه متواضع جدا تلك الليلة .
والواقع أنه أحس بأنه لاشيء على الإطلاق ، أو كان مقصا خفيا
قطع في تلك الليلة من عيد الفصح ما يربطه بهازل . كان يستطيع
أن يتصورها بكل وضوح كمادته . ولكنه لم يشعر بأي تأثير

عندئذ . كان الأمر يبدو كما لو أنهما غير متزوجين ، وكما لو أنها لا تحبه وأنها لم تحبه على الإطلاق وبدأ له ذلك عجيبا لا سيما وأنه قال لنفسه في اليوم السابق بالذات لاشيء يمكن الاضرار بي حقا لأن هازل ملك لى ولأنها تحبني .

ولكنه عندما عاد الى فراشه توهم بأن سوليفان وهازل يرقدان في الفراش معا ، ربما بعد أن مارسا الحب . كلا . ان سوليفان حري به أن يعود الى غرفته على أطراف أصابعه لأنهما في بيت آل فينورز ، وراح يتقلب في فراشه . لم يصدق هذا الوهم طبعاً ، أو لعله صدقه ، وإذا لم يكن قد صدقه فلماذا يخطر له ذلك ، أو اذا كان لا يخشى ذلك في الواقع فلماذا يفكر فيه ؟ انه يخشى ذلك بالطبع ، وقد أقر به منذ وقت طويل .

تقلب كارتر في فراشه مرة أخرى ، وحاول أن يطرد هذه الأفكار البغيضة . كان لابد له أن يصل الى قرار سليم ، قرار فيه الأمل واخذ الأمور بجدية في نفس الوقت ، فهناك أناس يفقدون أيديهم في ماكينات السجن . ولكن من الصعب أن يصل الى قرار سليم في الوقت الذي لم تصل فيه خطابات ثم ان الخطابات التي حملته على كتابتها للمؤسسات القانونية لم يكن لها من نتيجة الا افادة وجيزة باستلامها ولاشيء أكثر . وفكر في الشاهد الجديد الذي اكتشفه ماجران : جوزيف دودي ، وتسائل أي نوع من الرجال هو . ثم تذكر شاهدة الاثبات وأحس فجأة بتوتر شديد . امرأة تدعى لويزماكفى ، تعمل صرافة في فيرست ناشيونال بنك ، تذكرت ان كارتر أتى الى البنك ليصرف شيكا بمبلغ ١٥٠٠ دولار مسحوبا على التريومف لصالح والاس بالمر ومظهرا باسمه . لقد احتاج بالمر الى نقود سائلة في ذلك اليوم ، وطلب كارتر أن يمضي لاستلام قيمة الشيك نيابة عنه . واستغل المدعى العام هذه النقطة ، وقال ان كارتر صرف

الشيء واحتفظ بالنقود لنفسه . وبدأ الأمر أمام القاضي كما لو
أن كارتر ضالغ في مسألة الاختلاس .

كانت هناك جلبة عند المصعد ، وأصوات تنادى الدكتور
كاسيني . وجلس كارتر في فراشه ورأى حارسين يقفان في
الطريقة مع سجين ينزف ويكاد يفمى عليه .

كان الجريح شاباً أشقر مجعد الشعر تلقى طعنة خنجر في
عنقه وبرأسه قطع ينزف منه الدم بكثرة . وخاط الدكتور جرح
الرأس في غرفة صغيرة مجاورة يطلقون عليها غرفة العمليات .
وقال أن طعنة الخنجر لم تمس الشريان . ولكن الدم كان ينبثق
من فم الشاب باستمرار . . . تسبب سكين مثلوم في جرح العنق ،
وهو ثانی جرح يراه كارتر . كانت تلك السكاكين تصنع من معالق
قاعة الطعام . وقال الدكتور كاسيني أن الزنزانات تزخر بها
رغم الجهود التي يبذلها الحراس لكي يعيد كل سجين ملعقته مع
الصينية . وخاط الدكتور كاسيني جرح العنق كذلك ، وكان
كارتر يعاونه في تثبيت الخيطة .

ونقل الشاب الى فراش وحقن بحقنة مهدئة ، ولكن ما أن
عاد كارتر الى فراشه حتى هب الشاب جالساً وراح يصرخ وهو
ينازل أعداء غير منظورين وصاح كارتر :

— دكتور كاسيني ! ..

وعاد الدكتور كاسيني وهو يربط حزام منامته ، وتدمر
قائلاً :

— آه ! .. اللعنة .. ألا سبيل للنوم ! .. أين الإبرة .

أمسك كارتر والحارس بالشاب . الحارس من رأسه
في حين جلس كارتر فوق قدميه . وصاح صوت من أحد الأسيرة :

— يا الهى .. كيف السبيل الى السلام والهدوء .

ورد الدكتور كاسينى يقول :

— اذا لم يرق لك الامر هنا فعد الى العنابر واجعلهم يقطعون عنقك كما فعلوا مع هذا الشاب .

بدا الجريح يهدأ ، وراح يلهث اخيرا . ونهض كارتر ، واتى الحارس بحركة صغيرة من يده ، وعاد كارتر الى فراشه وبقي واقفا بجواره مطبق العينين ، وهو يقول لنفسه ان النور الباهت الأصفر المنبعث من خلال الباب هو انسب نور لحالته الذهنية ، كما لو كان فجرا كاذبا عتيلا .

وربت الدكتور كاسينى على كتفه وهو يضحك فى هدوء ، وتراجع كارتر . بدا كأن الحالات العاجلة والألم والدم وضعت الدكتور كاسينى فى مزاج بهيج غريب وقال الدكتور :

— سبق ان رأيت هذا الشاب قبل اليوم ، اسمه ميكى كاستل ، وهو أكبر سنا مما يبدو ، ولكنسه يعرف كيف يحتفظ بشبابه . وهو يصاب بجرح كل بضعة شهور . يا له من سجن هريب !

زُمجر صوت من بين السرر وقد أزعج صاحبه دردشة الدكتور ، وتهالك كارتر فوق فراشه . وعاد الدكتور الى غرفته فى آخر الطرفة . وكانت الساعة قد بلغت الثالثة وعشر دقائق ، ويبدو أن الليلة لا نهاية لها .

ارتفعت صيحة حادة جعلت كارتر يرفع رأسه من فوق الوسادة . كان ميكى قد وقف من جديد . هبط من فراشه وهو يترنح ، وراح يضرب الهواء بيديه وهو لا يزال شبه ناهس . ومضى كارتر اليه وقال :

اهدا يا ميكي .. انت في العيادة ، ثم اسرع الى آخر الطريقة
لاستدعاء الدكتور كاسيني والحارس ، ولكن هذا الأخير لم
يكن مكانه ، ولا ريب انه مضى الى دورة المياه . وكان ميكي قد
سار في اثره ، فوقف كارتر وانتظره . وعندما اقترب منه تنحى
عن مكانه فاصطدم ميكي بالباب في عنف ووقع على الأرض .
وكانت القاعة كلها الآن في حالة من الاضطراب . واقبل الدكتور
كاسيني مسرعا .

تمكن الحارس والدكتور من اعادة ميكي الى فراشه .
وأغشى على الشاب هذه المرة نهائيا . وقال كارتر :

— انه ينزف من عنقه من جديد .

قال الدكتور :

— اوه .. ان الأمر ليس خطيرا .. سأهتم به صباح الغد .

صباح الغد .. اى بعد ثلاثة ارباع الساعة بالتدقيق . ولهذا
لم ينطق كارتر بشيء ، وعاد الى فراشه . وخطر له بضع دقائق
ان خياطة ميكي ربما انفتحت تحت الضمادة التى حول عنقه .
وقال لنفسه انه لو لم يحم ابهاميه لاستطاع ايقاف ميكي قبل
ان يصطدم بالباب . ولكن اذا كان ميكي لم يلق حتفه بهذه الطريقة
فسوف يلقاه بطريقة أخرى ، وليس مطلوبا من اى احد في هذه
الدنيا ان يكون ملاكه الحارس وحاميه .

كان ميكي ميتا في الصباح . لحظ كارتر ذلك قبل الجميع .
كانت الأغشية والفراش غارقين في الدم ، منعته الملاءة الكاوتشوك
التى تحته من تلويث المرتبة . وأثار المنظر أعصابه ، فان رفع
الأغشية بمشابة كشف عن جريمة قتل ، ولم يكن الأمر غير ذلك
في الواقع .

وهاج الدكتور كاسينى وصب لعناته على الحراس وعلى
المساجين سواء . واستيقظ كل من فى العيادة وأصفوا اليه
وأهاجهم أن واحدا منهم قد قتل وكان من ضمن ما قال :

— ها هو رجل آخر يموت . وما فائدة الحراس اذا لم
يكن لتجنب ذلك ، ولكن كيف يمكن تجنبه اذا كنتم تتصرفون
جميعا كعصابة من الكلاب المسعورة .

أصفى كارتر اليه كالأخرين وقد تجمد مكانه . وعادت
صواني الطعام من غير أن يلمسها أحد . ولم يحاول كارتر وبيت
رفع الأغطية والملاءة لأن الدكتور كاسينى كان يشير الى الفراش
والجثة وهو يصخب ويلعن . كان بين ما يقول أشياء بدت نبيلة
وصادقة ذكرت كارتر بالكلمات الأولى التى سمعها من بين شفتى
الدكتور نفسه عندما جىء به الى العيادة مغمى عليه . ولكن هذا
السخط النبيل للدكتور لم بدم طويلا . كان فيه شخصان على
الأقل ، وقد يوقظ المورفين فيه أشخاصا آخرين مع الزمن . تأكد
كارتر الآن أن الدكتور يتعاطاه لأنه رأى انه يحتفظ بكمية احتياطية
منه فى غرفته .

عجز كارتر عن الكتابة لهازل فى تلك الليلة . كان مهزوزا
جدا . ليس بسبب موت ميكي فحسب ، وإنما بسبب كل شيء .
هل يمكن الوثوق بالدكتور كاسينى بما يكفى لكى يقوم بالتشخيص
طبقا لصور الأشعة ليديه . شك كارتر فى ذلك الآن . وهل يمكن
الوثوق به لأجراء عملية ؟ أمضته هذه الفكرة بالذات ، وحقق
نفسه بالمورفين للمرة السابعة قبل أن يأوى الى فراشه .
لم تآله رسالة من هازل وهذا طبيعى اذا كانت قد رحلت يوم
السبت مع سوليفان لأنها لم تجد الوقت لكتابة رسالة ، ولكن
كان فى مقدورها أن ترسل بطاقة بريدية .

وفى منتصف الليل واثته فكرة أزعجته كثيرا ، فقد أحس

بأنه يجب أن يقترح على هازل أن تنتقل للإقامة في مدينة كبيرة
اثناء المدة المتبقية له في السجن . سوف تحتج طبعاً وتقول أنها
لا تريد المضي إلى نيويورك ولا إلى أى مكان آخر لكى تستطيع
المجيء لزيارته . ولكنه رأى أنه لابد له من الإصرار على رأيه
مدركا أنها إذا انتقلت إلى نيويورك فسوف يبعدها ذلك عن
سوليفان . وتنهد . لم يكن هذا هدفه الرئيسى طبعاً .

وحدثها في ذلك يوم الأحد التالى فقالت :

- نيويورك ! .. ثم لزمت الصمت بضغ دقائق ، ولكن
كارتر رأى من ملامحها أنها سبق أن فكرت في ذلك . وعادت
تقول : كلا يا فيل .. لا تكن أحمق . وماذا أفعل في نيويورك ؟

- بل ماذا تفعلين هنا ؟ .. اننى أعرف مدى ملل هذه
المدينة ، منذ أن أقمنا فيها منذ سنة . ولا أذكر أننا وجدنا فيها
ما يستحق الذكر .

- كتبت لك في الأسبوع الماضى اننى قد أقبل اقتراح
السى بافتتاح بوتيك معا . انها لا تطلب منا رأسمال كما تعلم ،
وانما تريد أن أعمل معها بجد .

- انها تجاوزت الخمسين ، وانت التى ستقومين بكل العمل
تقريباً .

- ان المدينة بحاجة إلى محل جديد للفساتين .

- وهل يوجد بها من لهن ما يكفى من الذوق لشراء هذه
الفساتين ؟ هل بدأت تميلين إلى هذا البلد القذر ؟
- ما دمت أعيش فيه .

- لا أريدك أن تعيش فيه يا حبيبتي . لا أريد أن تعيش
فيه شهراً آخر ، بل ولا حتى أسبوعاً .. أريد منك أن ...

قال أحد الحراس وهو يتقدم نحو كارتر :

— هدوء . هل تظن أنك وحدك هنا ؟

نطق كارتر بكلمة نابية من أربعة حروف ، ونظر الى هازل وراى انها سمعتها فقال :

— معذرة . اردت ان اقول ان حقيقة وجودك على بعد ثلاثين كيلو مترا من هنا لن تغير من الوضع الراهن ولن تخرجنى قبل الاوان بيوم واحد يا حبيبتي .

والقى الى الساعة نظرة سريعة وقال :

— باق ست دقائق .

— لا اريد الحديث فى هذا الموضوع ثانية يا فيل . اننى اريد ان اراك كثيرا بقدر ما تريد انت ان ترانى .. هذا كل ما لدينا فى الوقت الحاضر .

هوى كارتر بأطراف أصابعه على المسائدة فى يأس لكى يقول شيئا .. قلت لى انك استمتعت بوقتك فى عيد الفصح ، اليس كذلك ؟

— لم اقل اننى استمتعت بوقتي ، وانما قلت اننى قضيت وقتا لا بأس به .

تساءل لماذا غضبت منه . اسبب الكلمة النابية التى نطق بها ام بسبب اقتراحه فى ان تقيم فى نيويورك ؟ كان الوقت قصيرا لا يسمح بتسوية الأمور ، وقال :

— لا تفضبى منى يا حبيبتي ، فأنا لا اطيق ذلك .

— لست غاضبة منك .. انت لا تفهم .

قالت ذلك ونظرت الى الساعة هي الأخرى ، كما لو أصبحت تتلف على الانصراف بمجرد أن ينتهى الوقت .

ذهب كارتر فى تلك الليلة الى السينما . كان قد ذهب الى سينما السجن مرارا رغم أن أفلامها ليست من تلك التى يزعج نفسه لرؤيتها وهو طليق . وأدرك انه لم يستمع فى طرب الى الدعابات المتوسطة والقذرة التى يرويها له الكس ، عامل القمامة من وقت لآخر . ولولا السينما بل ولولا القصص القذرة التى تبدو كدعابات لأصبح مجنوننا ، فان أولئك الذين يرفضون حياة السجن ويديرون ظهورهم للسينما وللمرح يصيبهم السعار والهياج كالحيوانات الضارية خلف قضبان الأقفاص فى حديقة الحيوانات ، وقد سمع كارتر الدكتور كاسينى يتحدث عن حالات كهذه . . رجال يأتون بهم الى العيادة وليس بهم من علة غير الجنون ، ولا يمكن علاجهم الا بترحيلهم الى مستشفى المجاذيب ، ولكن هذه الأخيرة تفتقر الى الأماكن لاقامتهم . ورأى كارتر أن الذين يمكنهم التعايش فى السجن هم الأصحاء الذين لا أهل ولا أقارب لهم يتدخلون فى حياتهم . هؤلاء الرجال لا يتركون فيلما واحدا يضيع منهم ، ويشتركون فى كل مباريات كرة القدم ، بل أن الحراس انفسهم يحبونهم ، وعندما يلقي عليهم السؤال يردون بأنهم على استعداد لاعادة الكرة ، مهما كان السبب الذى جاء بهم الى السجن .

اعمل الخير واعرف الله وتعلم مهنة وصل لكى تصبح افضل ، واعلم ان الوقت الذى تقضيه فى السجن ربما يكون وقتا سعيدا

لأنه يمدك بوقت للتفكير في أخطائك ، وهكذا دواليك ، كما تقول
جريدة السجن ، وهي جريدة من أربع صفحات يشترك جميع
المساجين في تحريرها ، فيما عدا العمود المخصص للمأمور والذي
تجد فيه العديد من الأخطاء اللفوية والنحوية ، وغالبا ما يلقي
كارتري بها في صندوق القمامة برسوماتها العجيبة ومداعباتها
السمجة المستهجنة .

شاركت هازل السى مارتل فى مغامرة بوتيك الثياب النسائية، وزخرت خطاباتها فى مايو بوصف ديكورات المحل والوان هذه وتلك ، بل انها راحت تصف بعض الفساتين والتايورات التى يعرضانها ، رغم انها كانت تعرف ان كارتر لم يكن يهتم بالثياب النسائية كثيرا ، وتذكر كارتر انه سمع هازل تقول له مرة « انت لا تحب الفساتين الا حين اكون انا فيها » .

قالت له فى خطابها ان المحل يقع فى الشارع الرئيسى ، بجوار الصيدلية الكبرى تقريبا . هازل شريكة فى بوتيك للثياب بالشارع الرئيسى بمدينة فريمونت . كان الامر يبدو غريبا وغير معقول ، ولكن الشئ الذى بدا حقيقيا حقا هو تلك الواقعة التى ذكرتها فى احدى رسائلها وهى ان دافيد سوليفان مر بسيارته فى الساعة الثامنة مساء ذات مرة ، وانه مر بعد ذلك كثيرا بينما كانت تقوم بلصق الأوراق الملونة على الجدران وتعليق الستائر لكى يدعوها لتناول العشاء معه ، وانه دعاها هى والسى معا « وهذا كرم منه » ولكنه دعاها وحدها ثلاث مرات « وهذا من حسن حظى حقا لانه لم تكن بى اية رغبة فى العودة الى البيت واعداد اى طعام ، ولا اظن انه استغرب امرى ، فقد كنت مرهقة حقا لكى ارقص » . وقد عادت فى تلك الليالى فى الساعة السادسة لاعداد عشاء تيمى ، وميللى ، وهى فتاة تقيم غير بعيد منهم ، تجالس تيمى اكثر الاوقات . « وليس هناك ما يخشى عليه

منه بعد الظهر فان أوتوبيس المدرسة يوصله حتى باب البيت ويدخل بمفتاحه الخاص ويلقه بدوارة حول عنقه ، ويتناول عشاءه الذي أتركه له في الثلاجة .

كان كارتر في أوقات فراغه يجدد معرفته باللغة الفرنسية . وكانت هازل قد أرسلت اليه قاموسها الفرنسي ومعهم مجموعة رواياتها الكاملة عن فولتير ، وجاءته من نيويورك بالرواية الأخيرة الفائزة بجائزة جونكور . كان قد درس اللغة الفرنسية خمس أو ست سنوات في المدرسة ثم في الكلية وقد أصبح الآن قادرا على قراءتها بأكثر مما كان في الكلية ، أما التحدث بها فهذا أمر آخر ، إذ لم يكن هناك لسوء الحظ من يتمرن معه على ذلك .

وبدا يتعلم الجودو والكاراتيه كذلك مع الكس . قال له هذا الأخير فجأة ذات يوم : اليس لك رغبة في أن تتعلم الجودو ؟ يجب أن تفعل لأنك لن تستطيع ، مع ابهاميك ، الدفاع عن نفسك ضد أي أحد . وقال كارتر لنفسه ان الكس على حق فما من أحد يدرى متى يكون من الضروري أن يدافع عن نفسه . ولهذا ، ولقضاء بعض الوقت بدأ كارتر يتلقى دروسا من الكس ، وكان هذا الأخير أقصر من كارتر ، ولكنهما كانا في نفس الوزن تقريبا ، وكان يحرص على أن لا يلمس ابهامي كارتر في معاركهما الصورية . كانا يستخدمان الرواق لمراتهما ، على مرأى من الحارس الذي كان يطربه الأمر . وكان الكس قد وجد في مكان ما حصيرتين قذرتين ، كان يفرشهما على الأرض . وبعد ثلاث جلسات من المرات كتب لهازل يقول « ان الكس يعلمني الجودو . تعلمه هو في الجيش ، ويبدو أنه يجيده . ولكن هل يمكن أن تجدى لي كتابا في هذا الموضوع . يجب أن تطلبه من المكتبة » وأراد أن يضيف أنه لا يجيد استعمال قبضتيه بعد بسبب ابهاميه . ولكنه يعرف كيف يلقي ضربات عنيفة بحد يديه ، إلا أنه

راى أن لا يقول ذلك لأن هازل رقيقة جدا ولا تحبذ العنف .
واحدى الضربات التى علمها له الكس عند مقدم العنق كانت
قاتلة . وحصلت هازل على الكتاب ، ولكن رقيب السجن رفض
تسليمه لكارتير وأعادها اليها . ومع ذلك فقد استمرت الجودو ،
تحت مرأى وبصر الحارس . وتمرن كارتير على الضرب بحد يديه
فوق الخشب ليكتسب خشونة ، ولكن ابهاميه كانا يتلقيان الكثير
من الضربات بحيث لم يلبث أن عدل عن ذلك .

والصيف فى الجنوب طويل وقاظم . ورغم أن السجن قائم
على أرض مرتفعة ، فلم تكن هناك تقريبا أية نسمة . وإذا اتفق
وحدث ذلك فإنها تكون ساخنة هى الأخرى ، ويعتدل الرجال فى
الحقول عندئذ لتلقيها ، ويخلعون قمماتهم متحددين الشمس
الحارقة ، ويتركون النسمة المتحركة تلمس جباههم التى تتفصد
بالعرق . وطوب وأحجار السجن القديم تمتص أشعة الشمس
أسبوعا بعد أسبوع ، وتحتجز الحرارة ، كما تحتجز البرد فى
الشتاء . وفى أغسطس تتحول الزنزانات الى أفران ساخنة
وخائقة ، حتى فى الليل ، وتفوح برائحة البول وعرق البيض
والسود .

وقالت هازل فى أغسطس أن فريمونت تكاد تكون خالية ،
وأن القليل من الناس المتبقين فيها يلزمون بيوتهم احتفاء من لسعة
الحر . ورحلت الى نيويورك مع دافيد سوليفان . وكان لهذا
الأخير أصدقاء فى نيويورك ، هم آل كنولتون ، ويقيمون فى شقة
بالشارع الثالث والخمسين غرب ، أمام متحف الفن الحديث .
وقد عرضوا شقتهم ، وهى مكيفة ، على سوليفان للإقامة فيها فى
أغسطس لأنهم سيرحطون الى أوروبا . واستاء كارتير فى بادئ
الأمر لمجرد فكرة رحيل هازل ، ثم تملكه الغضب ثم صعق أو لعله
هزم . وأحس بتلك المشاعر المتتالية طوال الأيام الثلاثة التى

تلّت تلقيّة لرسالة هازل التي تخبره فيها بهذا النبأ . وصحيح
ان ابنة كنولتون البالغة من العمر اثنتين وعشرين سنة ستقضى
معهم عطلة نهاية الاسبوع لأنها تعمل في الصيف في شاطئ قريب ،
وصحيح ان تيمى سيكون هناك مع هازل ، ولكن الشقة الكبيرة
في نظر كارتر شقة خاصة ومشبوهة ، وبمعنى آخر كفندق
يسجلان فيه نفسيهما كزوج وزوجة . وكتب لهازل يقول :

— الا نملك ما ندفعه للإقامة في فندق ؟

وأجابته هازل :

— هل تعرف ان الإقامة في فندق في نيويورك باهظة التكاليف
وانه يجب أن نتناول فوق ذلك كل وجباتنا في الخارج نحن وتيمى
أيضا . سأراك يوم الأحد ، وسوف نتحدث في ذلك بهدوء .

وفي يوم الأحد قالت له :

— اننى مولعة جدا بديف يا حبيبى ، وهذا صحيح .
ولكننى أقسم لك أنه بالنسبة لى كحذاء قديم .. نعم ، كحذاء
قديم .

قال كارتر من غير أن يبتسم :

— لا أعتقد أنه يظن نفسه كحذاء قديم لك .

نظرت هازل اليه وقطبت جبينها وقالت :

— هل تريد ان تقول انك لا تريد ان أمضى الى نيويورك
مع دافيد ؟ .. هيا .. ان لك الحق في ان تقول ذلك .

تردد كارتر . يستطيع دافيد طبعاً ان يرافق هازل الى
أماكن لا يمكنها أن تمضى اليها بمفردها ، وفوق ذلك ستمرح
كثيراً مع سوليفان ، ولا يستطيع أن يحرمها من هذا المرح .

— كلا . كلا . لم أقصد ذلك .

بدا الارتياح على هازل شيئا ما وابتسمت وقالت :
— هل تعتقد انه لا يمكن ان يكون هناك حب افلاطوني بين
الرجل والمرأة ؟

ابتسم كارتر بدوره وقال :

— أظن أنني أعتقد ذلك حقا .

— أستطيع ان أؤكد لك ان ذلك ممكن بالنسبة للمرأة .

— بالنسبة للمرأة نعم ، ولكن محال بالنسبة للرجل .

— أوه ، هذا هراء .. وقرار مجحف .

— ربما بالنسبة للنساء المسنات وغير الجميلات ، ولكنك
جميلة ، وهذا هو الأمر .

ومع ذلك فقد رحلت . وكان شهر اغسطس قاسيا بالنسبة
لكارتر ، رغم البطاقات البريدية والرسائل التي تلقاها من هازل .
وأحب تيمى متحف التاريخ الطبيعى واصطحبه دافيد اليه ذات
يوم في حين مضت هازل لشراء بعض الأحذية واشترت ثلاثة أزواج
منها بسبب متانتها .. « ماذا قال الدكتور كاسيني عن الأشعة
الآخرة ؟ .. » .

كان الدكتور كاسيني قد تكلم كثيرا ، ولكن أهم ما قاله هو
ان الجزء الثانى من الفصل قد انفصل كثيرا ولا يمكن اعادته
الى وضعه ، وان العملية لاعادته الى مكانه تتجاوز بكثير قدراته
وأنه لا ينصح بإجرائها . وود كارتر ان يستشير طبيبا آخر ،
أخصائيا في عظام اليد ، ولكنه قال لنفسه انه قد يغادر السجن
بعد قليل ، في الخريف أو في ديسمبر ، بعد جلسة محكمة النقض ،

ولهذا عدل عن استشارة اخصائي في أغسطس ، فقد كان لابد له من تصريح من الدكتور كاسيني لذلك ، وان يعين المأمور حارسا مسلحا لمرافقته اذا اضطر الى الخروج من السجن لاستشارة ذلك الاخصائي . صفوة القول .. كم من اجراءات كان مجرد التفكير فيها يضمنه ويرهقه . وكان ورم ابهاميه قد خف كثيرا ، ولم يعد يربطهما بأية ضمادات . غير ان لونهما كان يتحول الى اللون الوردى ويلمعان عند اقل ملامسة . والواقع انهما فقدتا كل قوة ، واصبح لا فائدة منهما تقريبا ولولا خوافه من العملية لبتريهما . وكان يأخذ أربع حبات من المورفين يوميا ، واصبح ذلك ضرورة .. بدأ بحبتين ، وازداد ادمانه .

غابت هازل ومعها تيمى ثلاثة اسابيع ويومين . وعادوا يوم السبت لكي تستطيع هازل زيارته في اليوم التالي . وفي ذلك السبت ، وهو يوم شديد القيظ بحيث جرى الى العيادة بسبع حالات من الهبوط والانهييار ، تلقى كارتر خطابا من لاورنس ماجران يخبره فيه بأسفه الشديد ان محكمة النقض رفضت اعادة النظر في القضية .

كان رد فعل كارتر غريبا . جلس في الفراش والخطاب في يده . لم يشعر بأية صدمة أو أية مفاجأة أو خيبة امل رغم انه كان قد اقتنع منذ شهر تقريبا . بأن المحكمة العليا ستعيد النظر في القضية ، فقد اهتدى ماجران الى ثلاثة شهود جدد رأوا بالمر يتسلم شيكات ، واكتشف مصرفين جديدين غير الثلاثة التي سبق اكتشافها ، حيث كان بالمر يودع نقوده . ورأى كارتر ان كل ذلك يكفي لفتح القضية من جديد ، وكان هذا رأى ماجران هو الآخر ، رغم ان المبالغ المودعة في تلك البنوك كانت اقل من خمسين ألف دولار . وقال ماجران في خطابه انه دهش جدا لقرار المحكمة وانه سيأتى لزيارته ذلك الأحد والأحد الذي يليه .

ونفض كارتر ومضى الى النافذة في آخر العيادة وقال لنفسه ان هازل لم تعرف هذا النبا بعد . كانت مستقلة الطائرة ويجب ان تهبط في المطار في الساعة السابعة وعشر دقائق ، وانها تعود الى البيت لكي يستقبلها هذا النبا .

وقال كارتر :

— لقد محا السجن كل احساساتي .. وأغضبه ذلك .

وفي الساعة السابعة والنصف كانت أفكاره قد تغيرت تماما ، وكان يجلس امام الآلة الكاتبة يكتب رسالة للاورنس ماجران . كتب يقول ردا على رسالته :

لم اعد ارى الآن اى امل فيما عدا ان دافيد سوليفان قد يفلح في اثبات الحقائق التى تدل على وجود علاقة بين جورج جاويل ونشاط بالمر ، فهناك أمور يمكن ان يكتشفها دافيد ، هذا اذا كان لها وجود .. ودائع اودعت في مختلف البنوك مثلا . وانا اعرف تماما ان ذلك لن يقلل من ذنبى الا بعض الشيء . ولكن لايزال في مقدور سوليفان ان يجد شهودا جددًا ، فان زوجتى تقول انه لايزال مهتما بقضيتى ، فهل اذا عثرنا على ثمانية او عشرة شهود يكون لهم وزن أكثر من الشهود الذين لدينا الآن ؟

اوى كارتر الى فراشه رغم ان الساعة لم تتجاوز الثامنة . احس بالاحباط وعدم القدرة على الحركة ، حتى لكى يحقق نفسه بالمورفين كما يفعل عادة قبل النوم . كان ابهاماه يؤلمانه الما خفيفا ، بما يكفى لاثارة جزعه ، وربما لاجباره على السهاد . ولكن عندما اصبح الألم لا يحتمل في الساعة الواحدة اضطر ان يحقق نفسه . بدا له المورفين عدوا آخر .. هل سيقهره هذا العدو كما قهره السجن ؟ .. ان المورفين عدو غريب .. صديق وعدو في نفس الوقت .. مثله في ذلك مثل دافيد سوليفان ، ومثل

القانون الذى يحمى الناس فى بعض الحالات ويضطهدهم فى اكثر الحالات .

عندما اقبلت هازل لزيارته يوم الأحد كانت تعرف النبأ .
ادرك كارتر ذلك بمجرد ان دخلت قاعة الزيارة . فقد كانت تتكلف
الابتسام ، ولم تكن بذلك التالى الذى ينساب منها عادة ويأسر
قلوب الجميع ، حتى المساجين . قالت ان سوليفان اتصل
بماجران تليفونيا فى الصباح ، وان ماجران اخبره بالنبأ فاتصل
بها على الفور . وقال كارتر :

— اننى آسف يا هازل .

فكر فى الخطابات العديدة التى كتبتها .. خطابات غاضبة
وساذجة ، كتبتها بكل صبر .. خطابات والتماسات أرسلتها الى
نيويورك تايمز والى الجريدة المحلية والمحافظ ، وبعثت اليه
بصورة من كل منها لكى يقرأها .

قالت :

— دافيد هنا ، ويريد ان يراك .

بدت مرهقة بحيث بذل كارتر جهدا كبيرا لكى يتمالك
أعصابه .

— قال ماجران ذات يوم انه ليس هناك قانون يمنع ان يلجأ
المرء الى محكمة النقض مرة ثانية . تذكر ذلك . ألم يقل لك انه
سيزورك الليلة ؟

— كلا . لا أدري .. ربما قال ذلك لدافيد .

وبدلا جهدهما لكى يتكلما عن نيويورك ، وعن الأشياء
الجميلة التى قامت بها هى وتيمى .

سألها :

— ألم ينزعج تيمى لعودته الى فريمونت ؟

— اوه يا فيل !

واحتت رأسها فجأة ودفنت وجهها بين يديها .

كانت رأسها وشعرها المتألق على مقربة من يدي كارتر ،
يفصلها عنه لوح من الزجاج فحسب . وقال محاولا أن يضحك :

— لا تبكى يا عزيزتى .. مازالت لدينا ثمانى دقائق .

رفعت هازل عينيها اليه ، واستندت على مقعدها من جديد
وقالت فى هدوء :

— انا لا أبكى ، ولكن عينيها كذبتاها .

أفلحا بعد ذلك تقريبا فى التحدث عن نيويورك حتى انتهت
الزيارة . وقالت وهى تنصرف :

— سأكتب لك الليلة . ابق يا حبيبى من أجل دافيد .

دخل سوليفان القاعة . وقال كارتر وهو يشير اليه :

— لدى زائر .

تحقق الحارس من تصريح سوليفان . وجلس كل منهما امام
الآخر .

كان دافيد سوليفان فى الخامسة والثلاثين من عمره تقريبا ،
وكان أطول من كارتر ببضعة سنتيمترات ، وهو نحيل أصلا ،
ولكن كارتر فقد ثمانية كيلو جرامات منذ أن دخل السجن . وعيناه
زرقاوان كعيني كارتر شيئا ما ولكنهما صغيرتان تعبيران دائما عن
الهدوء والأناة والالتزان . ولم يضع الوقت فى كلمات اشفاق

لا جدوى منها بخصوص رفض المحكمة اعادة نظر القضية وقال :
- يمكنك ان تعيد الكرة بالطبع ، وأنا واثق ان هذا
ما ينويه ماجران ، فلا تعتبر الأمر كأنه هزيمة يا فيل . سنعود
بحقائق جديدة ، وسيكون لدينا الوقت لكى نجعلها .

كانت مشاعر كارتر غامضة .. وافكاره كذلك . كان لديه
احساس بأن حالته أصبحت نوعا من المواضيع المفضلة لسوليفان .
ولو أن هذا الأخير كتب مذكراته بعد بضع سنوات فسوف
يكرس فيها صفحات لقضية كارتر المثيرة للحيرة والغضب ..
زوجة كارتر أصبحت زوجتى .. تغلب كارتر على افكاره الضالة ،
وحاول ان يصفى .

- وأنا افعل نفس الشيء مع جاويل .. اعنى .. ما حاول
توتنج ان يفعل مع بالمر . اننى اقوم بالتحري والاستقصاء قبل
الذين يوردون اليه الخمر ، وارجو ان تعلم انهم كثيرون ، وذلك
لأببات مقدار ما يستهلكه منها . وسوء الحظ ان أكثر هؤلاء
التجار لم يحتفظوا بفواتيرهم .

وتوتر جبين سوليفان الذى لوحته الشمس وبرز حاجباه
وهو ينحنى ليسحق سيجارته فى المنفضة واستطرد يقول :

- التقى بالمر بجاويل فى نيويورك مرتين على الأقل ، وقد
توخى كل منهما الحرص والحدر فلم ينزلا فى نفس الفندق ولم
يستقلا نفس الطائرة . وهذا ما توصلت اليه جزئيا . وقد
تحريت فى عشر أو عشرين فندقا ، واقتضى كل ذلك وقتا ، وأعرف
انه ليس من المستحب أن تطول اقامتك فى هذا المكان البغيض .
وردد البصر حوله ونظر الى السقف وأردف :

- كان يجب ان يهدموا هذا المبنى فى بداية القرن ان لم
يكن قبل ذلك .

قال كارتر :

— او ان لا يبنوه على الاطلاق .

ضحك سوليفان وقال :

— هذا صحيح .

كانت أسنانه جميلة ، دقيقة بعض الشيء كفه .

كان كارتر يعلم انه يجب ان يتكلم عن وجود جاويل في نيويورك ، في نفس الوقت الذي كان بالمر موجودا فيها . كانا يتقاسمان الفتيات طبعاً فقد كان جاويل زئير نساء شأنه في ذلك شأن بالمر نفسه . ولكنه لم يستطع ان يهتدى الى الكلمات المناسبة وقال :

— قالت لي هازل انكما استمتعتما بوقتكما في نيويورك .

— اوه ، أرجو ان تكون استمتعت بما فيه الكفاية . كانت وحدها في أغلب الأوقات فيما عدا الأمسيات . قدمتها الى اصدقائي القدامى وقدمتني الى اصدقائها بحيث ان امسياتنا كانت على العموم اجتماعية . وكان تيمى يرافقنا دائما تقريبا لأننا كنا نكثر من زيارة أناس يمكن ان يستضيفوه للنوم اذا ما ظبه الناس .

— وكيف احتملت هازل كل هذا .. في رايك ؟ .. ان في استطاعتك ان تقضي معها وقتا اكثر منى انا .

ارتسمت امارات الجد على سوليفان ، وانتظر كارتر وهو يأمل ان لا يكون قد ألقى سؤاله بكآبة واستكائة كما قد يخطر لسوليفان .

— اظن انه من الخير لها انها اهتمت بمحل الثياب ، فانها

بذلك تجد شيئًا تفعله ، مع أنها ليست بحاجة الى ان تفعل اى شيء . ولكن هذا كفيل بتغيير افكارها . ان فيها الكثير من القوة والارادة . اذا اردت الحقيقة .

— انها تقول انها مولعة بك كثيرا .

قال سوليفان فى صدق :

— اوه ، نعم .. ارجو ذلك .

— وانا واثق انك تحبها انت ايضا ، والا ما قضيت معها كل هذا الوقت .

طرفت عينا سوليفان ، وبدا عليه الجذ ، ولكنسه استمر يتسم محتفظا بهدوئه وقال :

— فيل . لو ان نواياى سيئة نحو زوجتك فهل تظن اننى كنت ازورك فى السجن .. هل تظن اننى استطيع ان اكون منافقا الى هذا الحد .

كان جاويل قد قال ان سوليفان فى الواقع منافق الى ابعد حدود النفاق . وقال كارتر وقد احس بالضيق فجأة :

— لم اقل ان لك نوايا سيئة .

— ان هازل اكثر النساء اللاتى التقيت بهن فى حياتى اخلاصا ووفاء .

ايقول ذلك لانه اختبرها وصدته ؟ .. واستطرد سوليفان :

— يبدو ذلك فى كل تصرفاتها ، فهى لا تتحدث الا عنك ، وتكتب لك وتأتى لزيارتك ، وعندما نخرج فى نزهة بالسيارة فى ضواحي فريمونت ترينى الأماكن التى كنتما تنزهان فيها .

وهز كتفيه وأردف :

— وهى تتحدث عما سوف تفعله عندما تخرج .. تريد ان تمضى الى أوروبا . انكما ذهبتما اليها مرة ، اليس كذلك .

— نعم . قضينا فيها شهر العسل ، وكان ذلك هدية العم جون والعمة ادنا .

وسأله كارتر :

— هل تحبها ؟

اصطبغت وجنتا سوليفان ، وارتسم على وجهه تعبير محايد وهادئ في نفس الوقت وأجاب :

— لا حق لك طبعا في ان تلقى على سؤال كهذا .

ابتسم كارتر ابتسامة خفيفة وقال :

— ربما لا حق لى .. ولكنى اقيه عليك مع ذلك .

— لا اظن ان لذلك اية أهمية .

— بل له كل الأهمية .

قال سوليفان في هدوء وفي لهجة مهنية :

— حسن جدا . مادمت تسألنى ذلك . الواقع اننى احبها ، ولا يمكن لأحد ان يمنعنى من حبها ، ولن أحاول استغلال حبنى لها .

— اوه ، وهل قلت لها ذلك ؟

— نعم ، وقد قالت ان .. هذا مستحيل ، وانه يحسن ان اكف من رؤيتها . كانت حزينة ، وكان ذلك واضحا . وقد احزننى أنا الآخر اننى قلت لها ذلك .

راح كارتر يحدد فيه مليا ثم قال :

— اننى فاهم .

ولكنه لم يكن فاهما على الاطلاق . كان كل ما يفهمه ان هناك موقفا خطرا يوشك على الانفجار فى وقت من الأوقات .

— اظن اننى قلت لها ذلك منذ ستة شهور ، ولكننى لم اعاود الكرة بعد ذلك .

ونظر الى كارتر فى هدوء وهو متمالك لنفسه تماما كما لو انه قام بعمل نبيل ، وسأله كارتر :

— هل تحب ان تعذب نفسك ؟

اجاب سوليفان وعلى شفتيه ظل ابتسامة :

— لا اعتقد اننى اعذب نفسى . اننى اؤثر ذلك على ان لا اراها على الاطلاق .

اوما كارتر براسه وقال :

— هل كنت تقول لها ذلك لو لم اكن فى السجن ، بل هل كنت تقع فى حبها ؟

فكر سوليفان لحظة ثم اجاب :

— لا ادرى .

قال كارتر فى شيء من البذاءة :

— بل تعرف .

ورأى سوليفان يتلقى اللطمة ، كما لو انها اصابته فى الصميم . ودفع سوليفان مقعده الى الخلف قليلا وعقد ساقيه ثم قال :

أنت على حق في الواقع ، فهناك صلة بين الأمرين فلم أكن
أدرى الام تبقى في السجن وكذلك هازل ، فهي الأخرى لا تعرف
ذلك ، وللرجل الحق في القاء السؤال اذا ما أحب . اليس كذلك ؟
هذا كل ما حدث .

شدد كارتر الضغط بإبهاميه على مشط الكبريت الذي
أمامه على المنضدة وقال :

— ظننت انك قلت لها ذلك ولم تسألها المزيد .

— لم افعل . قلت لها اننى احبها ولم ازد .

لم يصدق كارتر قوله ، ولكن بما ان هازل لا تزال تداوم على
رؤيته ، فمعنى ذلك ان ما قاله لها لم يسبب لها أى ضيق
أو استياء ، كان كارتر يعرف هازل جيدا ، فهي لن تقضى وقتها
مع رجل يزعجها ، وكان هذا على كل حال اهم ما في الموضوع .
— ولكنك تضر نفسك بحبك لهازل ومحاولتك اخراجي من
السجن .

ضحك سوليفان ضحكة عالية وقال :

— لا تكن احمق . ان فرصتى مع هازل واحدة سواء
خرجت من السجن أو لم تخرج . ولك ان تعلم ان حبي لها يدفعني
الى ان اعاونها في الحصول على ما تريد ، وما تريده هو أنت
بالذات .

وضع كارتر مرفقيه فوق المائدة وابتسم . ومرت بذهنه
بعض العبارات القذرة التي سمعها في السجن في هذا الصدد
وقال :

— اننى لا أومن بالحركات النبيلة .. لم أعد أومن بها .

— بل اعتقد انك تؤمن بها ، فانى اعرف ان حياة السجن لا يمكن ان تغير مبادئك ، طبقا لما تقوله هازل عنك .

لم ينطق كارتر . وسأله سوليفان وهو ينحنى الى الامام :

— هل تظن اننى اتيباً فيما يتعلق بجاويل ؟ . . اننى اتحرى أعماله السابقة فى نيو اورليانز وفى بتسبورج وهنا . وهو يعلم ذلك . وحتى لو كان بريثا ، اعنى فيما يتعلق بقضية تريومف فماضيه حافل بما يشين ، ودريكسل يعرف ذلك . ويمكنه ان يطرده بسبب الشكوك التى ولدتها انا عنه ، بل كان يجب ان يطرده ولكنه خشى اثاره الشكوك حول موظفيه اثناء نظر قضيتك .

ونظر سوليفان اليه كما لو كان يتوقع تعليقا منه ، ولكن كارتر لم ينطق فاستطرد يقول فى لهجة تنطق بالغضب والحيرة :

— بل اننى ازيد واقول اننى اخشى اذا اصبحت بعض النجاح فى تحرياتي ان يحاول جاويل التخلص منى .

— وكيف ذلك ؟

— بأن يقتلنى ، او بالأحرى بأن يعمل على قتلى .

— هل تعتقد ذلك حقا ؟

— كان يصاحب بعض اصدقاء السوء فى نيو اورليانز . وقد وقعت هناك جريمة قتل ، بقى جاويل بعيدا عنها طبعاً . وحذا جميع اصدقائه حذوه ، فان رجلا يدعى بوشان ، كان موظفا فى المجلس التشريعى ، وحريصا على تنفيذ القانون ، وجد غريقا فى نهر ، وثبت من التحقيق انه مات مخنوقا . وبعد مقتله استطاعت الشركة التى كان جاويل يعمل بها ان تنجز مشروعاتها البنائية ، وقد تبدو لك هذه النقطة واهية فى نظرك ، ولكننى واثق ان

جاويل له يد في تلك الجريمة ، وان لم يكن بطريقة مباشرة .
اقبل الحارس في هذه اللحظة وألقى يده على كتف كارتر
فنهض الأخير وقال :

— معدرة .

ونهض سوليفان بدوره وقد انبسطت ملامحه واستعاد
هدوءه ووقاره من جديد وقال :

— سأعود لزيارتك قريباً يا فيل ، فلا تدع الاحباط يتغلب
عليك .

ثم استدار وانصرف مسرعاً .

كان كارتر ينقل من وقت لآخر العقاقير والأقراص الى مختلف
عنابر المساجين . وكان هناك ستة عنابر أسواها جميعا العنبر
الثالث ، كما قال الدكتور كاسيني . جدرانها أشد قذارة من
جدران العنابر الأخرى ، ويبدو معتما دائما لأن به مصابيح
كهربية كثيرة تالفة ، والمساجين الذين يشغلونه يبدون أكبر سنا
وأكثر هدوءا ، ومع ذلك فالجو الذى يخيم عليه أكثر عداء من
العنابر الأخرى . وكانت ذكرى مقتل شرنيفر لاتزال حية فى ذهن
كارتر ، وربما فى ذهن الجميع . وفى مقدور المساجين المرور فوق
رجل كالطوفان ، وفى مقدور أى حشد منهم أن ينقض ويوجه
ضربته فى ثوان ثم يعود الطوفان ويتراجع ، بريثا فى مظهره ،
هادئا فى تصرفاته ، ويبقى المذنبون مجهولون لايمكن معرفتهم لأنهم
كلهم مذنبون . وتسأل كارتر ماذا كان يحدث له لو أنه فى صحة
جيدة ، ولو أن يديه محتفظتان بقوتهما العادية ، وماذا كان يفعل
لو أنه وجد نفسه قريبا من شرنيفر ذلك اليوم . . نعم ، كان يمكن
أن يوجه اليه ضربته هو الآخر ، دون أن يشجعه أى أحد لأنه
هو نفسه أضر منه .

كانت العنابر الستة بالسجن متصلة ببعضها البعض .
وكان السجن غاصا فى تلك الساعة ، وهى ساعة الغداء بحيث
انه كان من المعتذر أن يتناول جميع المساجين غداءهم فى وقت
واحد ، ولهذا اضطر الحراس الى تقسيمهم الى ورديتين .

وكان هناك ، في العنبر الخامس رجل ضخم في الخمسين من عمره بأذنه اليسرى جرح بشع عالجه الدكتور كاسيني في العيادة ، وأعادته الى زنزانه ووصف له نوعا من المراخم . وكان كارتر ماضيا اليه بعلبة منه في ذلك اليوم ، ووجد الرجل بمفرده فسأله أين زميله الذي يشاركه في الزنزانة فرد عليه يقول :

— ان ذلك الوغد محظوظ . مضى الى بيته ، فقد ماتت أمه .

— الى بيته ؟

— نعم . في شيكاغو . . سيقضى هناك يومين . . لكى يرى زوجته .

وغمز له بعينه غمزة لها معناها ثم اندفع يتكلم . رافقه حارسان وكانت الأصفاد في يديه حتى وهو يصعد الى القطار . ولكنه سيقضى ليلتين مع زوجته .

غرق كارتر في ذهول ، كما لو أنه يستمع الى قصة خيالية عن شخص يختفى بطريقة غريبة او يتبدل او يمر من خلال ثقب الباب . وهز رأسه فجأة وقد اثاره اتساع افكاره بالذات ، وقال في صوت أوتوماتيكي :

— يا له من محظوظ !

رماه الآخر بنظرة غاضبة لأنه قطع عليه كلامه ، ودهش كارتر اذ رآه ينهض فجأة ويلوح بقبضته في الهواء ، فتقهقر واجتاز عتبة الزنزانة وخرج الى الممر .

نطق الرجل بسبة ، والقى ببرطمان المرخم الى ابعد ما يستطيع . وارتطم البرطمان بالحائط وانفتح وتدحرج فقلقه مصدرا صوتا أشبه بزمجرة غبية قبل أن يتوقف على الأرض .

بعد أربعة أيام من ذلك قام كارتر بحيلة ما وحصل على
أذن من كلارك وعاد الى الزنزانة رقم ٢٧ بالعنبر الخامس ، لا شيء
الا لكى يرى سويبي . وكان معه برطمان جديد ، وكانت
الساعة قد تجاوزت الرابعة بقليل والمساجين ينتظرون فى زنزاناتهم
رنين جرس العشاء . لم يكن الرجل الضخم موجودا تلك المرة
ولكن سويبي كان جالسا وسماعته على أذنيه ، يستمع ويتحرك
فى مقعده ويفرقع بأصابعه وهو فى منتهى النشوة والاستمتاع .
وقال يستقبل كارتر :

— طاب يومك ايها الطبيب . اية خدمة استطيع ان
أقدمها لك ؟

— اننى جئت ببرطمان آخر لزميلك .

— حسن . حسن . سوف أخبره .

هبطت نظرة كارتر من شعر الرجل الداكن الى حذائه ثم
عادت وارتفعت :

— سمعت انك ذهبت الى البيت .

— نعم . ولم استمتع كثيرا على كل حال . ماتت أمى .

وكان لا يزال يبدو عليه الاستمتاع بالموسيقى ، كما كان
واضحا انه يريد ان يعيد السماعتين الى أذنيه . وقال كارتر فى
فطاسة :

— اذن . . رايت زوجتك على الأقل .

وكان مستعدا للانصراف ، بل انه لم يدخل الزنزانة ، واكتفى
بان القى بالبرطمان على السرير السفلى . ولكنه لم يستطع
الانصراف . وقف يحدق بعينية فى سويبي محاولا ان يكتشف
فيه اية علامة سحرية . وقال سويبي وهو يضحك :

— نعم . وقد أسعدنى ذلك كثيرا . . مات أبى ، ولم يبق
على قيد الحياة غير أختى ، وهى فى أحسن صحة . ووضع
السماعتين على أذنيه وعاد الى فراشه وهو يقول :

— شكرا من أجل جيف .

وانصرف كارتر .

وبعد شهرين أو ثلاثة ، فى عيد الشكر ، تعرف كارتر
بماكس سمبسون . وكان هذا الأخير فى العنبر رقم ٢ ، حيث
قدم كارتر بدواء للسعال ، ولم يكن الدواء لزنزانة سمبسون .
ولكن كارتر رآه أثناء مروره يقرأ كتابا باللغة الفرنسية ، وكان
يجلس بمفرده ، فتوقف بجوار الباب المفتوح وقال :

— معذرة .

رفع الرجل عينيه عن الكتاب فسأله كارتر :

— هل أنت فرنسى ؟

ابتسم الرجل . كان وجهه يطفح بالبشر والهدوء ، وكان
شاحبا جدا ، ويبدو بجبينه العريض أبيض تقريبا تحت شعره
الخفيف المتعرج .

— كلا . وإنما يحدث لى أحيانا أن أقرأ بالفرنسية ، وهذا
كل شيء .

— وهل تتكلمها ؟

ابتسم الرجل وقال :

— كنت ومازلت . لماذا ؟

كانت تلك الابتسامة بالذات مصدر سعادة لكارتر ، لأنها

كانت شيئًا نادرًا في السجن ، لم يكن هناك غير تكثيرات
وزمجات .

— سألتك لأنني أدرسها .. وحدي .. هل تتكلمها حقًا ؟

— نعم .

واتسعت ابتسامة الرجل وكشفت عن أسنان قوية بيضاء ،
أشد بياضا من وجهه .

أخذ كارتر يثرثر معه نحو عشر دقائق إلى أن دوى رنين
الجرس للغداء . وكان على ماكس أن ينصرف .. تكلم باللفة
الفرنسية والانجليزية . وأحس كارتر بالانفعال والسعادة .
وعندما كان يتردد في البحث عن الكلمة التي يريد التعبير بها كان
ماكس يسرع ويزوده بها إذا استطاع أن يخمن ما يريد أن يقول .
وكان يملك عشرين كتابا مصفوفة في زنزانته ، ونصفها باللفة
الفرنسية ، وكان من الكرم بحيث أرغم كارتر على قبول كتابين
عن الشعر الفرنسي في القرن الثامن عشر وكتاب تأملات لباسكال .
كانت اعادة طبعها إلا أن ماكس قال له أنه لا يتمجل ردها . وعاد
كارتر إلى العيادة بإحساس أنه تبدل تماما . كان ماكس أول
شخص يلتقى به في السجن اغتبط بمعرفته وأحس أنه يستطيع
مصادقته ، وكان ذلك أمرا رائعا . في تلك الدقائق العشر التي
قضاها في الحديث معه عرف أنه من مواليد ويسكونسن ، وأن أباه
أمريكي وأمه فرنسية ، وأنه عاش مع أمه في فرنسا منذ أن
كان في الخامسة من عمره وأنه مضى إلى المدرسة وبقي بها حتى
أصبح عمره أحد عشر عاما . وعندما ألقى كارتر عليه السؤال
أجابه في غير اكتراث بأنه دخل السجن منذ خمس سنوات ،
ولكنه لم يقل لماذا ، ولم يهتم كارتر بمعرفة السبب .

قال له ماكس أنه تراهن مع سجين آخر في العنبر رقم ٢ ،

وان الرابع منهما من يفلح في أن يكون أكثر شحوبا عن الآخر حتى يوم عيد الميلاد . وكان الرهان على ست علب من البن . وقال ماكس انه هو الذي سيربح ، رغم أن منافسه كان أشقر ، وبسبب ذلك الرهان راح يحمي وجهه أثناء فترات الاستراحة في ساحة السجن . وعينت لجنة من ستة من المساجين الممتازين لاختيار الرابع ، وقال ماكس بفرنسيته البطيئة الواضحة : « كنت شاحبا دائما ، كان من الواضح في وقت مبكر من حياتي انه مكتوب على أن أقضيها في السجن » .

وتواعدا على اللقاء في زنزانة ماكس في اليوم التالي في الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين .

وفي الضوء الفضي لصداقته الجديدة بدا آخر خطاب تلقاه من هازل حزين وكئيبا ، فقد كتبت تقول :

حبيبي ، انظن ان القدر فرض علينا هذه القضية الفظيعة ليختبرنا ؟ أرجو أن تصفع عني أن بدوت لك متشائمة فهذا راجع الى ما أعانيه الليلة .. وهو احساس أعانيه كل ليلة على كل حال ، وطريقة لتأمل الأمور ، فان الحياة البشعة التي نعيشها والتي تقول ان الله يختبرنا بها قد اجتزناها حتى الآن ، فلنستمر اذن حتى نرى نهايتها ، ولاشك أنني أقول ذلك بعد أن تأثرت بالحديث الذي تبادلته تليفونيا بعد ظهر اليوم مع ماجران .

ذلك ان ماجران قال لها انهم يستطيعون اللجوء الى محكمة النقض مرة ثانية قبل منتصف يناير بسبب الأجازات . ولم ير كارتر ما يدعو للتشاؤم وأجاب :

انك تسأليني دائما لماذا لم اتق بشخص محترم في هذا المكان ، وكنت أقول لك دائما ان السجن ليس به اناس محترمون ، ولكنني أسحب كلامي اليوم وأقول لك أنني تعرفت

صدفة برجل ظريف جدا يعرف الفرنسية . يقرأها ويتحدثها بطلاقة ، وعليه فلدى الآن رجل أستطيع ان اتمرن على الحديث معه ، اسمه ماكس سمبسون ، يناهزنى سنا تقريبا . وهو طويل القامة ، وشعره أسمر وشاحب جدا . سأقول لك المزيد عن هذا الشحوب عندما أراك . انه فى العنبر رقم ٢ ، ولكننى أستطيع ان أراه كلما أردت .

وأدرك كارتر انه ليس لديه مايقول عن ماكس اكثر من ذلك ، لأنه لا يعرف عنه شيئا آخر ما لم يكن ان امه فرنسية .

وفى الأيام التى تلت لم يعرف كارتر عنه المزيد . ولكنه كان يقضى معه فى زنزانته عشرين أو خمسا وعشرين دقيقة كل يوم . وكانت تلك اللقاءات لحظات سعادته ، فان زميل ماكس كان زنجيا بسيطا لا يعرف من لفتهما الفرنسية أكثر من كلمة نعم ، ولكنه كان يأوى الى فراشه العلوى كلما اقبل كارتر لكنى لا يزعهما ، ويقرأ رواية مصورة قديمة أو يضع السماعات على أذنيه للاستماع الى الراديو . وكانت خطابات كارتر تزخر الآن بالحديث عن ماكس ، وكان يحدث هازل عنه عندما تزوره يوم الأحد . ودهش عندما رآها تبدى سخطها من هذا الصديق الجديد .

قال لها :

.. ظننت انك أردت ان أجد شخصا يروق لى فى هذا الجحر .

قالت فى استياء واضح وهى تبتسم :

.. الا تدرك انك من عشرين دقيقة تكلمت عنه أكثر من عشر دقائق .

— معذرة يا حبيبتي .. ان الحياة هنا مملة . هل تفضلين مثلا ان احدثك عن الوغدين اللذين اوشكا ان يصابا بالعمى لأتھما شربا كحول ورشة اصلاح الآلات الكاتبة .

وضحك . وكان يضحك بسهولة أكثر منذ ان التقى بماكس،
وأردف :

— أود أن تتعرفى بماكس .. انه .. اعتقد انه بالنسبة لامرأة يجب بالحري أن يكون وسيما .

ولكن هازل لم تتعرف بماكس على الاطلاق . كان يكفى أن تطلب رؤيته ذات يوم أحد ، وما عليها الا أن تزعم انها قريبة له . وقد فكر كارتر فى ذلك ، ولكن ماكس رفض وقال له بالانجليزية :

— كلا . اظن ان من الأفضل ان لا أراها فان هذا مجلبة للنحس . ولم يعاود كارتر اقتراحه ، ولم يعاوده لهازل كذلك لأنه أحس أنها سترفض هى الأخرى . ولم يقدر لهازل أن ترى ماكس على الاطلاق ، ولا حتى فى أيام الزيارة لأن ما من أحد كان يأتى لزيارته فقد كان وحيدا فى الحياة ، لا أهل له ولا أقارب . والشخص الوحيد الذى أقبل لزيارته ذات مرة كان صاحب البيت الذى يسكن لديه . وهو رجل اجر له غرفة قبيل دخوله السجن بالذات ، وأقبل لرؤيته مرتين ، ولكن كان ذلك فى السنة الأولى . وقال كارتر لنفسه ان من الخير لماكس ان زاره صاحب البيت مرتين ، ولكنه لم يلق عليه أى سؤال عن ماضيه ، ولم يلق ماكس عليه أى سؤال هو الآخر ، غير انه لاحظ ابهامى كارتر ، وعرف الظروف التى أصيبا فيها ، واكتفى بان قال باللفة الفرنسية فى استكانة :

— ان السجن مكان قاس حقا .

كانا يمضيان الى السينما معا مساء أيام السبت والاحاد .

راق لكارتير أن يكون بجواره رجل يرى مثله أن الأفلام التي يعرضونها دون المستوى . ولاحظ بعض الحراس وكثير من المساجين صداقتهما ، وافترض البعض انهما من اللوطيين ، واخذوا يتحدثون في ذلك تحت سمعهما وبصرهما . ولم تؤثر تلك الأحاديث على كارتير ، وإنما أزعجته شيئاً ما . فان بعض المساجين كان يروق لهم أن يتحرشوا بالرجال الذين يمارسون الشلوذ الجنسي ويوسعونهم ضرباً . وكان كارتير يتلفت دائماً خلفه حين يمضي الى عنبر ماكس بعد الظهر خوفاً من أن ينقض عليه أحد . وكان باب زنزانه ماكس يبقى مفتوحاً دائماً عندما يزوره كارتير . ومهما يكن فقد كان في مقدور أي شخص أن يلقي نظرة ويراها من خلال القضبان ، ثم ان الزنجي ، زميل ماكس كان دائماً موجوداً هو الآخر . وادرك كارتير أنه لم يلمس ماكس أبداً ، بل لم يصادفه بيده أبداً .

سأله الحارس بعد ظهر يوم وهو يسمح له بالمرور :

— هل تتمرّن على تزييف النقود .

— تزييف النقود ؟

أوما الحارس برأسه نحو زنزانه ماكس وقال وهو يبتسم :

— أراكما أحياناً تكتبان . ان ماكس مزور بارع ..

بارع جداً .

أتى كارتير بحركة غامضة من يده ، وحاول أن يبتسم هو الآخر واستمر في طريقه . فكر في كتابة ماكس البطيئة والواضحة التي رآها في مذكراته ، فقد كان ماكس يكتب يومياته ، ويدون من وقت لآخر مقطوعة شعرية بالفرنسية . كان خطه يبدو غريباً .. تزييف النقود ! .. كانت صدمة بغيضة لكارتير كما

لو أن احدا انتزع ثياب ماكس وراه عاريا . وقال يواسى نفسه :
- على كل حال لم يسجن من اجل جريمة قتل .

ونام قليلا تلك الليلة . وأخيرا . واذ أمضته افكاره
واعتبته ، تناول قرصا . وباشر عمله في اليوم التالى وهو بارد
الشعور متبلد الذهن ، ولم يتناول افطاره ، وأعد لنفسه في
الساعة الثالثة من بعد الظهر فنجانا من القهوة من علبة النسكافيه
التي اهداه ماكس اياها في عيد الميلاد ، فقد ربح رهانه لشدة
شحوبه واقتسم الجائزة مع كارتر .

وعندما بلغ زنزانه ماكس جلس على الفراش السفلى وأخذ
وجهه بين يديه ، وراح يبكى بدون خجل ، ومن غير أن يكثرث
بالزنجى الجالس بجوار ماكس والذي ذهل وهو يرى رجلا
يبكى . وقال ماكس يسأله بالفرنسية :

- اننى أعرف .. انه رد محكمة النقض ، اليس كذلك ؟
أوما كارتر برأسه بالإيجاب . وسمع السجين كلمتى محكمة
النقض وفهم فتمتم يقول :

- رحماك يا الله ! .. وخرج بخطوات ثقيلة وتركهما
وحدهما .

اشعل ماكس احدى سجائره وناولها لكارتر ، وروى هذا
كل شئ عن عمله في شركة تريومف للانشاءات ، وعن الالاس بالمر
وعن القضية والحكم بسجنه في سبتمبر ، ذلك الحكم الذى لم
يصدق ، كما حدثه عن جاويل وسوليفان وعن سوليفان وزوجته .
وقال وهو يهوى بقبضته على فخذيه دون أن يعبا بابهامه :

- يجب أن أعمل على رحيل هازل الآن . يجب أن تعود الى
نيويورك .

قال ماكس في صوت هادئ رزين :

— لا تأخذ أى قرار اليوم .

لزم كارتر الصمت لحظة ، وراح ماكس يتكلم بالفرنسية قال انه رحل الى فرنسا وهو في الخامسة من عمره ، و تحدث من طفولته . وعندما مات أبوه وانقطعت النفقة عادت به امه الى ويسكونسن حيث ولد . كان لهما هناك بعض الأقارب من ناحية أبيه . وتزوجت أمه من جديد . ورفض زوجها أن يدعه يتم دراسته ، ولهذا ترك المدرسة ووجد عملا في إحدى المطابع ، تعلم فيها المهنة . وتعرف بأنيت وهو في الحادية والعشرين في حين كانت هي في التاسعة عشرة من عمرها . « وقد انتظرت ، ولكننى كنت سعيدا مع ذلك لأننى كنت عاشقا » وبعد زواجهما بسنة مائت أنيت . كانت أم ماكس في زيارة عندهما ، ووقعت أنيت من فوق جرف وهى تسوق سيارة ، وكانت أمه في السيارة هى الأخرى ، وقال شاهد عيان ان أنيت حادت عن الطريق لمقادة وعمل ظهر فجأة فانقلبت السيارة . وكانت أنيت حاملا . وعلى أثر ذلك راح ماكس يشرب ، وفقد عمله ، وجاء الى الجنوب . وفى ناشفيل ارتبط باصدقاء السوء وبينهم بعض الهاربين من السجن ، يحترفون التزييف . وتعلم كيف يزيف النقود . وراح كل اللصوص والنشالين يأتونه بشيكاتهم السياحية ، كل ما يجب التوقيع عليه . « كنت أعلم اننى مجرم ، ولكننى كنت وحيدا فى الحياة لا احد يهتم بى ، فلم أعبأ بأى شيء . وكانت العملية مربحة للجميع » . وظن ماكس أن وضعه فى العصابة مأمون ، ولكن ذات مساء هجم شرطيان على مقرهم ، وقتل ماكس أحدهما أثناء المعركة التى نشبت . والقى القبض عليه بتهمة التزييف والقتل وصدر عليه الحكم بالسجن سبعة عشر عاما . « وأنا

الآن فى السادسة والثلاثين ، وهى حياة عجيبة . ان الحياة غريبة ، اليس كذلك يا صديقى ؟

تنهد كارتر واحس بالاعياء . ووقف ماكس ، ودفع كارتر برفق فوق الفراش وهو يقول :
- استجم ايتها الصديق .

انهار كارتر فوق الفراش السفلى ، ورفع ساقيه فوق الغطاء بمشقة . وكان الفراش فراش ماكس ، ولكنه نهض فجأة فسأله ماكس :

- ما الخبر ؟

- هذه ساعة رنين الجرس للعشاء ، ولا اريد ان انام .
راح ماكس يذرع ارض الزنزانة وهم يضم راحتيه . كان وجهه هادئا وعيناه السمر اوان نشطتين وماكرتين تقريبا ، وبدا فى ذلك اليوم كما هو دائما تماما . لم تؤثر فيه الأحداث التى ذكرها . ووجد كارتر فى ذلك عزاء له .

وعاد ماكس يقول :

- ان الحياة غريبة حقا . يجب ان يرى المرء نفسه كما هو وان لا يرى نفسه كما هو فى نفس الوقت . ويجب ان يقوم المرء بالشئتين فى نفس الوقت ، وهذا صعب . انك تتألم كل الألم وانت ترى نفسك كما انت .

وتوقف عن المشى واخذ كتابا وقال :

- اقرأ بعض هذا الكتاب الليلة .

وما أن فرغ من عبارته هذه حتى دوى رنين جرس العشاء
في صوت حاد مثير للأعصاب . اشد حدة عشر مرات كما يجب
أن يكون ، وراح ماكس يبتسم لكارتير في مرح حتى انقطع الرنين
ثم قال وهو يدفع بالكتاب في يده :
— هلم بنا نأكل .

عرفت هازل مرة أخرى النبأ قبل أن يخبرها به كارتر ،
فقد اتصل ماجران بها تليفونيا في نفس اليوم الذي كتب فيه
لكارتر ، وتلقى هذا الأخير رسالة منها بدت فيها شديدة الإحباط ،
وان كانت متمالكة لأعصابها . ومع ذلك فقد صدم عندما رآها
يوم الأحد . كان في عينيها يأس جعلها تبدو مستسلمة كما لو كانت
واقعة تحت تأثير مخدر .

- لابد أن ترحلى . . يجب أن ترحلى الى نيويورك .

لم يكن يرى حلا آخر . ولكنها لم تجب على الفور وإنما
قالت بعد لحظة :

- انك تقول ذلك بكل برود . . انك تغيرت كثيرا يا فيل .

- كلا . اطلاقا (ولكنه كان يعرف انه تغير) اننى اقول
لك ذلك منذ شهور ، وتوجد الآن اسباب اكثر لكى ترحلى الى
نيويورك ، وليس هناك من سبب واحد لبقائك فيها .

- انك لا تقول شيئا عما يجب ان تفعل في الوقت الحاضر . .
قال ماجران اننا نستطيع القيام بدفوع أخرى ، فما معنى ذلك ؟

- لا ادري ، فهو لم يتكلم بوضوح تام في خطابه لى .

- بل تكلم بكل وضوح . قال اننا يجب أن نبحث بخطابات

الى بعض المسئولين ، وان هناك لجنة في نيويورك لا اذكر اسمها ولكنها تهتم بحقوق الانسان .. قال لى ذلك فى التليفون .

تنهد كارتر وقال :

- انك تعرفين يا هازل اننى لست الوحيد فى مثل هذا الموقف . انتظنين انهم يهتمون كثيرا لاطلاق سراح الآخرين . هؤلاء ايضا يكتبون لهم ، فمن الذى يملك الوقت لمساعدتهم . بل من الذى له المقدرة على ذلك قبل كل شيء .

قالت هازل فى اصرار :

- ولكن هناك لجان لمثل هذا الشيء بالذات .

وتوترت يداها فوق المنضدة وهى تستطرد :

- ويقول مستر ماجران ان المفروض ان تكتب لهم انت ايضا .

- حسن . اذكرى لى اسماءهم فاكتب لهم دون تأخير .

نظرت هازل الى الساعة وقالت :

- لا اعتقد ان علاقتك بماكس فيها خير لك يا فيل .

قطب كارتر حاجبيه وقال :

- لماذا ؟

- انك تغيرت منذ ان التقيت به .

- حقا ؟ .. حسنا . انه يجعل الحياة هنا اكثر احتمالا

يا هازل .

- ذلك لأنه يحتملها هو بالذات خيرا من اى احد آخر .

انك قلت لى انه هنا منذ خمس سنوات . انه مجرم عريق فى
الاجرام يا فيل . قلت لى انه خير فى تزييف النقود . . انه معتاد
على حياة السجون ، ولعله لا يعرف ماذا يفعل عندما يخرج .
اننى قرأت الكثير عن اناس من نوعه ، وهم عاجزون عن التأقلم
مع الحياة العادية ولا يتحملون المسؤولية او الاضطلاع بأى عمل .
ويخامرني احساس بأن العدوى قد تنتقل منه اليك بما يكفى لكى
تتقبل الوضع ، وما أن تتقبله حتى يكون فى هذا نهايتك أنت
بالذات . أوكد لك انك تحملنى على الاحساس بانك لا تجد أية
مخاضة فى هذا المكان ، واذا كان هذا حقاً فسوف يكون نهاية
كل شيء .

وكانت كلماتها بمثابة تحدٍ بينهما .

أصغى كارتر اليها فى صمت وفى شيء من الاستياء . كان
الهجوم على ماكس بمثابة هجوم عليه هو بالذات ، وقال :

— اردت أن تلتقى به ، ولكن يبدو انك لا تريد ذلك .
كتبت لك عما حدث له . ماتت زوجته بعد زواجهما بشهرين .

— هناك أشياء كثيرة تقع لاناس كثيرين ولا تجعل منهم
مجرمين

— انه هنا لأنه ارتكب غلطة ، وليس كما لو انه ارتكب
العديد من الجرائم . انه رجل مثقف اذا قورن بكل الأوغاد
والمجرمين الذى هنا . وانا سعيد باننى التقيت به . ولعله يوجد
غيره قليل فهنا ستة آلاف نزيل ولكننى لم ألتق الا ببضعة
مئات منهم .

لم يكن جميلاً من هازل أن تقول انها هى الوحيدة التى لم
تشأ أن تلتقى بـماكس ، فهو الآخر رفض ان يلتقى بها ، ثم هناك
واقعة هى ان ماكس كان قد طلب منه منذ ثلاثة شهور أن ياتيه

ببعض المورفين وكان كارتر قد قال له انه موجود في دولاب عليه قفل . وهذا صحيح ولكنه لم يقل له ان مفتاح القفل معه ، فقد فتشه أحد الحراس مرتين وهو ذاهب اليه ، ولو انه وجد مورفينا معه لساء موقفه ، ولم يدهش كارتر من طلب ماكس ولكنه لم يذكر تلك الواقعة لهازل . « حبيبتي ، انت تفهمين علاقتي بماكس . لاننى اراه نحو عشرين دقيقة فحسب في اليوم . . ومع ذلك فانا لا اراه يوميا انما مرتين في الأسبوع . والمساجين يذهبون الى الورش في ذلك الوقت من بعد الظهر ، واعرف ماذا تقول الكتب عن السجون وعن المجرمين ، فلدينا بعض الكتب ، في المكتبة هنا ، وقد قرأتها كلها » .

— انت تعرف ما أعنيه ، فاحرص ان لا يقع لك ذلك .

كان كارتر متوترا على مقعده . وحدث بعينه في يديه ، وأدرك فجأة الصورة التي يقدمها من خلال الزجاج . كان يرتدى قميصه الأبيض الخاص بأيام الأحاد ، بكمين قصيرين ، ولم يكن يشعر فيه بالفناء أو الحماقة وانما بالأناقة اذا قورن بقميص السجن العادى ، ولم يعد شعره القصير يزعجه رغم ان القصة ، وهى اجبارية كل اسبوع كانت تبعد عن الجودة والجمال . كان فى صدغيه بضع شعيرات رمادية تكاد لا تلاحظ ، ولكن لا ريب ان هازل لحظتها لأنه لا يغيب عنها شيء . وكانت خطوط جبينه التى تفصل حاجبيه أشد عمقا ، وكان شاحبا . وهى صورة غير جميلة لكى يقدمها لهازل . وقال :

— اننى . . اننى أعمل منذ أيام فى ورشة النجارة .

— أوه ، حسنا . هذا شيء جميل . . وماذا تفعل ؟

— أساهم فى الوقت الحالى فى أعمال الورشة . . رفوف للمفصل مثلا . لا أستطيع بعد انجاز عمل كامل وحدى ، ولكننى أقوم بالأعمال الدائرة .

تكلما في الدقائق الأخيرة عن تيمى كعادتهما ، وسألها عن المحل رغم انه كان يعرف انه في ركود وانه لا يدرأى ربح . كانت هازل تحصل على سبعة وخمسين دولارا في الأسبوع نظير عملها زائد عمولة عن مبيعاتها ، وهو مبلغ لا يستحق الذكر ، ولكنها كانت تشغل وقتها على كل حال .

لم يمض كارتر لزيارة ماكس بعد ظهر ذلك اليوم ، فان كلمات هازل أمضته وانتظر في قلق خطابها الذى يجب أن يأتيه يوم الثلاثاء ، فهى لم تعد تكتب اليه يوم الأحد ، كما كانت تفعل من قبل ، بعد أن تراه بالذات . وسيأتيه منها خطاب يوم الثلاثاء ستقول له فيه ما اتفقت عليه هى وماجران ، عندما تراه يوم الاثنين .

وعندما جاءه الخطاب كان بلهجة هادئة لم يتوقعها . زودته هازل فيه بأسماء اللجان الأربع والمنظمات ، ورجلين من المسؤولين في واشنطن ، كان المفروض أن يكتب لهم . وعرف كارتر اسمين من تلك الأسماء ، فقد سبق أن كتب لهما منذ شهر ، وأحدهما لم يفكر حتى في الافادة باستلامه الخطاب .

وداوم على زيارة ماكس ، أربع او خمس مرات اسبوعيا . وراح يكتب مواضيع بالفرنسية يأتى بها الى ماكس ، وكان هذا الأخير ، كالمدرس في مدرسة ، يراجعها في المساء ويتناقش معه فيها في الجلسة التالية . وكان عنوان أحد هذه المواضيع « يومى » وهو قصة عجيبة عن يوم كارتر في العيادة منذ صحوه حتى نومه . وكان هناك موضوع آخر بعنوان « اليوم الذى أحب أن أحياء اذا استطعت » وهو قصة خيالية فيها حديث عن البيت وعن هازل وتيمى وعن الطعام الذى يتناولونه والنزهة في السيارة ، وصيد السمك بعد الظهر ، وشوى الدجاج على نار الحطب في المساء ، وقضاء الليل في خيمة ، والمسجل يصدح بموسيقى

شوبيرت وموتسارت ، ثم كانت هناك آراؤه في السجن وعن حياته فيه .. ويعود بمواضيعه المصححة الى العيادة ويعيد كتابتها في اوقات فراغه مصححة ، بحيث انه أصبح لديه في النهاية نحو خمسة عشر أو عشرين موضوعا مكتوبة باللغة الفرنسية كان يزهر بها كثيرا رغم بساطتها وسذاجتها .

كتبت هازل .

حبيبى ، اين انت من المورفين . لم تحدثنى عنه منذ قرون . قلت لى آخر مرة انك تداوم عليه ، وانك ستستمر فى تعاطيه بالضرورة وقتا آخر . الا يمكن ان تستبدله بشيء آخر . اننى قرأت مقالات كثيرة عن المورفين ، وهو العنصر القلوى الأساسى للأفيون . واذا تصورت اننى لا أعرف ما هو القلوى فأنت واهم . أرجوك أن تحرص .

أحس بضميره يوبخه فى غموض وهو يقرأ ذلك الخطاب . وحاول ان يقلل . كان يمكنه ان يكتفى بثلاث حقن بدلا من اربع يتعاطاها يوميا . ولكنه لاحظ الفرق فى مزاجه الدهنى . كان يغدو اقل مرحا واقل حبا للحياة . وطلب من الدكتور كاسينى ان يعطيه اقراص ديمورال او اى مسكن آخر . واعطاه الدكتور شيئا هذه المرة .. شيئا حقيقيا ، خفف من ألمه . ولكنه لم يلبث ان أدرك ان مفعوله اقل بكثير من مفعول المورفين ، فقد كان لهذا الأخير طريقة مريحة فى تغيير الأمور واحتمالها بسهولة أكثر . وكف عن تعاطى المورفين أسبوعين ثم راح يخطط الجراحة فيجعل نصفها مورفين والنصف الآخر اقراصا .

كتبت له هازل فى يولية انها قررت الرحيل الى نيويورك مع تيمى . وقالت انها وجدت مشتريا للبيت ، وهو رجل دلهما دافيد عليه .

« أسهل على أن اكتب لك هذا من أن أخبرك به من خلال ذلك الزجاج البشع والذي يعطيني الاحساس بالرغبة في الصباح والصراخ مع أن ذلك غير صحيح . أنت تصرف اننى لا أريد مفارقتك ، ولكن كما قلت لى أنت نفسك مئات المرات ، فان مواسم الصيف هنا فظيعة ، ثم هناك الضجر والملل ، وكل ذلك كفىل بأحالة المرء الى الجنون ، ونحن الآن فى عز الصيف مرة أخرى . وكنت أظن ، منذ أسبوعين ، اننى أستطيع احتمال صيف آخر فى فريمونت ، ولكن حتى المحل سنغلقه شهرا » .

قالت انه يمكنها الإقامة هى وتيمى مع فيليس ميلن بنيويورك الى أن تعثر لها على مسكن ، وهو يذكر أن فيليس ميلن امرأة فى نحو الثامنة والثلاثين ، وتعمل على الآلة الكاتبة فى إحدى شركات الدعاية وغير متزوجة ، عرفها هو وهازل وتيمى لا يزال رضيعا .

حسن ، قضى الأمر الآن . لن تزوره هازل يوم الاحاد ، ولا ريب انها قررت الرحيل منذ وقت طويل ، لأن من الواضح انها تلقت ردا من فيليس بأنها تستطيع الإقامة معها . كانت تعرف ذلك يوم الأحد الماضى ، ولكنها لم تقل له شيئا مع ذلك . فهل كان من الصعب أن تخبره بذلك من خلال الزجاج . أو انها أحست بأنها لا تستطيع أن تقول له ذلك مواجهة .

أردف كارتير الى الخطاب الذى كان يكتبه لها :

— سررت جدا إذ عرفت من خطابك أنك راحلة الى نيويورك .. ستكونين هناك أكثر سعادة ، وساكون أنا كذلك فى نفس الوقت .

كان لاورنس ماجران قد تقاضى أتعابه عن المحاولتين اللتين قام بهما أمام المحكمة العليا ، غير أنه قال انه سيعمل الآن بصفة

غير رسمية ، كما أخبرته هازل . وشعر كارتر في غموض بالاستياء لأن ماجران تحدث مع هازل وليس معه هو ، فهل معنى هذا أنه اعتبر كارتر هالكا ، وأنه مستعد رغم ذلك أن يقوم ببعض المحاولات لاتخاذ جثمانه .

راحت هازل تكتب اليه كل يوم خلال الأسبوع الذي سبق رحيلها ، كما لو أنها أحست بالذنب لذلك . وكانت مشاعره هو الآخر متناقضة .. غضب من هازل ، وذلك خصوصا اذا احس بالتعب أو الألم .. واحساس بالسرور والسعادة من أجلها . وكان يحرص على أن لا يكتب لها الا وهو مستريح البال .

« صحيح اننى قد ابقى في هذا السجن أربع سنوات أخرى على أسوأ تقدير ، ولكننى على الأقل افضل من ٩٩٪ من الرجال المضطرين الى البقاء في زنزاناتهم نصف الوقت . فكرى في ذلك على كل حال اذا ما فكرت في » .

كانت تبدو جميلة على الخصوص يوم الأحد الأخير الذى رآها فيه . كانت ترتدى ثوبا جديدا من القماش ، وردى اللون بدون اكمام ، وشاحا من الحرير الأخضر حول عنقها تربطه بيروش قديم من الذهب سبق أن أهدها اليها في العيد الثالث أو الرابع للذكرى زواجهما ، على شكل تنين ملفوف حول نفسه بعين من الياقوت . وكانت قد غسلت شعرها على الأرجح ، لأنه كان جميلا براقا ولكنها لم تكن تبتسم كماداتها . ولأول مرة لاحظ كارتر تجعيدة بوجهها .. خط رفيع أفقى يعترض جبينها . واقلقته هذه التجعيدة دون أن يفهم لماذا . وقالت :

— ذلك اننى احتسيت الآن لتوى كأسا من الويسكى .

ابتسم كارتر وقال :

— وددت لو اتيتنى ببعض منه من خلال أنبوبة .

ولم يلحظ اى تأثير للويسكى . . ولا دمة واحدة ولا اية عاطفة . وبدل كل منهما جهده لكى يبدو مرحا ومبتهجا ، ولكنهما كررا اشياء سبق ان ذكراها فى خطابتهما ، واكد كل منهما للآخر ان ماجران لم يتخل عن القضية ، وانه مازال واحدا من خيرة المحامين الجنائيين .

وقال كارتر :

— لعل الضجر يأتى من اننى لست مجرما . . وضحك كل منهما .

كانت قد تسلمت ٨٠٠٠ دولار كدفعة اولى من ثمن البيت الذى باعته باثنى عشر الف دولار . وكان كارتر يعرف ذلك . وسينتقل الشارى ، ويدعى ابراهول ، اليه فى اول اغسطس مع زوجته وولديه الصغيرين وكلب اسكتلندى .

ونجح جهدهما فى التظاهر بالمرح ، وعندما نهضت للانصراف ابتسم كل منهما . قالت انها ستدير امرها لكى تاتى لزيارته على الاقل قبل عيد الشكر ، وعندما بلغت الباب استدارت وارسلت اليه قبلة ، ولم يفارقها بعينه حتى اختفت عن نظره .

سار وهو مطرق الرأس الى الأرض . لم يكن هناك اى خطر من دموع فى عينيه ، فهل كان يتبدل الى حجر كارض السجن وكالسجن بالذات ؟ وهل تبكى هازل الان . وتوقف ، ونظر الى الخلف كما لو انه يستطيع ان يراها خلف قضبان القفص ، وكما لو انها مترددة فى الانصراف . ولكن لا . . ان سوليفان ينتظرها فى سيارته فى الخارج بالطبع .

كانت الخطابات التى تلقاها منها بعد ذلك مفعمة بالحياة ، زاخرة بأوصاف المباني الجديدة التى شيدت اثناء الصيف ،

حينما كانت في نيويورك . وحدث أخيرا ما توقعه كارتر ، فان « سوليفان سيأتي في الأسبوع الأخير من أغسطس لبعض الأعمال، وسيمكث في نيويورك شهرا تقريبا ، وسيقيم في شقة كنولتون التي سبق له الإقامة فيها » . وهازل نفسها لها شقة الآن ، في الشارع الثامن والعشرين شرق ، في بيت صغير من غير مصعد . ثلاث غرف ومطبخ وغرفة استحمام . وكان كارتر قد شك في ان سوليفان سيذهب الى نيويورك ، وقد أحس الآن بالاطمئنان والارتياح اذ كتبت له هازل ذلك صراحة .

لم تات هازل لزيارته قبل عيد الشكر . كانت تتلقى دروسا في علم الاجتماع في المدرسة الجديدة بالشارع الثانى عشر ، وبرنامج الدراسة لا يسمح باى تخلف قبل عيد الميلاد . وكانت قد سبق ان حصلت على دبلوم في علم الاجتماع اثناء دراستها العليا ، ولكنها ارادت ان تحضر تلك الدروس لانعاش ذاكرتها ، ولكى تشغل وقتها فحسب . وعادت لزيارته في عيد الميلاد ، عندما دعاها آل ادجرتون لقضاء اسبوعين هي وتيمى بفريمونت . وكان يبدو انها أصبحت نحيفة بعض الشيء رغم انها اكدت العكس . وزارته مرتين خلال اعياد الميلاد ، واهداها كارتر مجموعة من الرفوف صنعها في ورشة النجارة . . صنعها من خشب شجر الكرز ، بحيث يمكن تعليقها بالحائط . سلمها لها عبر لوح الزجاج كما هي من غير ان يلفها . وحتى اذا كان قد فعل فان الحارس ما كان الا ليزيل اللقافة ، واعطاها ايضا صندوقا متوسط الحجم ، محفورا على غطائه الحروف الاولى من اسم تيمى ، من صنعه كذلك ، وعلى البطاقة الخاصة التى اعدتها لتيمى كتب يقول :

« اننى اعرف الآن انك كبرت وانه لا بد من اهدائك بعض اللعب . وقد فهمت من والدتك انك تحب النظام والترتيب ، وعليك اذن ان تحتفظ بأدواتك الرياضية داخل هذا الصندوق » . ورجلت هازل مرة اخرى واعدة بانها سوف تعود في عيد

الفصح . وزاره آل ادجرتون مرة وأرسلوا اليه بضعة خطابات وجيزة أرادوا ان تكون مرحلة ، تحدثوا فيها عن حديقتهم وقطعهم التي وضعت صفارا . وكتب سوليفان اليهم هو الآخر وقال ان جاويل ، بعد ان طردته شركة تريومف عاد الى نيو أورليانز ، وانه يشتغل الآن في شركة لصنع الخيام . ولم يكن لكل ذلك أهمية بالنسبة لكارتير ، وحدث نفسه فقال انه يسمع عن ترك جاويل شركة تريومف او طرده منها منذ سنة ، وعزا سوليفان ذلك الى التحقيقات التي كشفت عن نفقات جاويل في الوقت الذي تم فيه اختلاس ارصدة المدرسة . واذا كان ذلك صحيحا فلماذا لم يتهم جاويل بشيء . قد يكون جاويل مذنباً ولكنه حر طليق ، افالخير أصبح شرا والشر أصبح خيرا . وكل شيء مصنوع من ورق . . الأحكام والعفو والشكاوى والملفات المشينة واللوم وأدلة الاتهام ، ولكن يبدو انه لا أدلة اطلاقاً على البراءة ، وقال كارتير لنفسه انه لولا الأوراق لانهار الجهاز القضائي كله وتلاشى .

وفي كل مكان في السجن ، وحتى في العيادة ، كان الرجال يكتبون الخطابات ، مستعينين بكتب القانون وبمرافعات المحامين وبالقواميس ، يتكلمون فيها عن الحضور ، والمثول أمام المحكمة ، ويذكرون آلاف الشكاوى والتظلمات . وكانوا يأتون الى كارتير في اغلب الأحيان ، ويطلبون منه مراجعة تلك الخطابات ، ولكنه لم يكن يستطيع شيئاً ازاء أسلوبهم الشنيع الذي يكتبون به والذي زعمه في البداية الى حد انه راح يعيد صياغة الكثير منها صياغة تامة . ولكن عندما رأى اخيراً ان محاولاتهم لا تثمر ولا تأتي بنتيجة ترك رسائلهم المريعة كما هي . كان بعضها مشوشاً كما لو كان صرخة ترتفع من الأعماق ، والبعض الآخر يصدر من نواحين بطبعهم ، وكتاباتهم المشوشة ما هي الا دليل غباثتهم . وبين هؤلاء النواحين رجال لهم بعض المواهب الأدبية يعرضون خطاباتهم على كارتير لا لكي يصححها وانما لكي يسمعوا منه كلمة مديح او ثناء ،

كانت خطاباتهم متنفسا عما يعانون من مقت وغضب ، وكان أغلبهم من العنبر الذى يقيم فيه ماكس ، كانوا يأتون اليه لأنهم كانوا يرونه يكتب هو وماكس . وكان هذا الأخير يحرر رسالات كثيرة للأمين والسجن يسمح لكل مسجين بأن يكتب رسالتين كل شهر .

وكتب دافيد سوليفان لكارتو :

... لعل الموقف لا يبدو لك مشجعا جدا في الوقت الحالى . ولكن لم يعد أمامنا الا العثور على قليل من الأدلة : شهادات اناس ارتبطوا بالعمل مع جاويل : أين تلقوا منه بعضا من الأموال التى أنفقها بكل سخاء في الوقت الذى اختفت فيه أموال شركة تريومف . كان بالمر وجاويل جد حريصين ، ولكن هناك رجال يستطيعون الادلاء بشهادتهم ، وانا شخصيا تحدثت مع رجلين منهم ، وهازل تعرف اسميهما ، الا ان من الأوفق عدم ذكرهما في هذا الخطاب . ولسوء الحظ ، فان هؤلاء الرجال يخشون انتقام جاويل ، ويفضلون أن يروه خلف القضبان قبل أن يتكلموا . ولكن القانون لا يجرى بهذه الطريقة . ومع ذلك فان التهديد الذى يقع على رأس جاويل يهزه في بطنه ، وهو قد عاد الى نيو اورليانز ، مقر أعماله السابقة ، والرجال الذين يحيط نفسه بهم دائما من رعاى الشعب ، وفي نيتى أن أمضى الى هناك ، وان افعل ذلك متكررا اذا كان ولا بد من ذلك .

راى ماكس وزميله في الزنزانة رجلا ثالثا فوق فراش نقال . ومنذ ذلك الوقت أصبحت الدروس الفرنسية غير مريحة ، فان ذلك الرجل كان يبدى رغبته باستمرار في غسل شعره في الساعة الثالثة والنصف بالذات ، او يحتاج الى المنضدة لى يكتب خطابا . وحتى اذا بقى ماكس وكارتر جالسين فوق فراش ماكس السفلى فان الآخر كان يشكو دائما لأنه يسمعهما يتمتمان مع ان الضجة التى تصدر من الممر أكثر علوا وارتفاعا في تلك الساعة

من بعد الظهر . . لم يتعد الثلاثين من عمره ، واسمه سكوييف ،
نحيل ، اشقر الشعر ، به ندبة تبدأ من إحدى وجنتيه حتى
صدغه . وقال ماكس لكارتير أن سكوييف رد سجون ولكنسه
لا يعلم سبب سجنه حتى الآن . وكانت هذه اقامته الثالثة على
الأقل ، وقد صدر عليه الحكم بالسجن مدة طويلة . وعلى كل
حال فانه يكره الدنيا بأسرها ويكره ماكس بالذات . وكان هذا
الأخير يعامله بكل أدب ، ويحرص على أن يدع بينهما أكبر مسافة
ممكنة ، وكان يسخو في تقديم السجائر اليه . وكان كارتير يرى
أن كل ذلك ما كان الا ليزيد من مقت سكوييف وكراهيته ، وقال
لماكس بالفرنسية ان من صالحه ان يعامله في شيء من الخشونة
ولكن ماكس اكتفى بأن هز كتفيه فقال له :

— يخامرني احساس بأنه يحاول ان يخلق مشادة بينكما .

قال ماكس :

— اوه اننى اكبر منه .

عاد كارتير يقول :

— اعنى مشاجرة قلدة . وكان يعرف أن ماكس يفهم
ما يشير اليه : جرح بالخنجر أو ضربة بالمقعد على الرأس عندما
يوليه ماكس ظهره .

— سوف يساعدنى روى .

وروى هو الزوجى الضخم . وكان كارتير يعرف انه يكره
سكوييف هو الآخر ، ولكن القليل من الزوج ، وفي السجن قلة منهم
يخفون كراهيتهم الشديدة نحو البيض ولا يجرؤون على لمس أحد
من البيض مهما حدث . وعلى العموم كان الزوج يقيمون مع
زوج آخرين ، ولكن اذا لم يكن ذلك مستطاعا كان الحراس

يضعون زنجيا مع رجل أبيض من أهالى الشمال لأنهم معروفون
باعتدالهم وهدوئهم كماكس . ولم يتعرض كارتر بعد ذلك الى
الحديث عن سكويف ولكنه أصبح لا يطيق وجوده ، ولم يجرؤ
على النظر اليه مباشرة خوفا من ان يلمح سكويف نفوره منه
ويشير .

وقال سكويف ذات يوم وهو يتحول عن الحوض ، وكان
يفسل قميصا ، ورش قطرات من الماء على ماكس وكارتر وعلى
أوراقهما :

— هل تتحدثان عنى أيها الماكران الكبيران ؟

قال ماكس مترددا :

— كلا ، كلا . اننا نخلق مواضيع للحديث ، فقيم يمكن ان
تحدث فى هذا السجن .

وبذل كارتر كل جهده لى يبقى عينيه على قاموسه
الفرنسى . بل انه لم يحاول ان يجفف قطرة من الماء سقطت
على الورق .

وتحول سكويف فى بضع نحو الحوض ، ودعك قميصه ،
ثم علقه فى عنف على العلاقة بحيث تنهى الى الاسماع صوت
تمزق . وقال :

— مما يرئى له أيها المثقفان إنكما لا تستطيعان الخروج
والذهاب الى المكتبة .

كان ماكس يتكلم عن « كيهول » الكلب الصغير الذى آواه
المفسل منذ أكثر من شهر ، وكان المساجين يبقونه بعيدا عن العيون
لأن الحيوانات كانت ممنوعة . وقد حصلوا عليه من سائق سيارة
النقل التى تأتيهم بالئون وتدخل ساحة السجن . وكان كلبا

صغيرا ابيض واسود في السنة الأولى من عمره . والسبعون سجيناً الذين يعملون في المفسل على علم بأمره ولكن الحراس وباقي المساجين لا يعرفون عنه شيئاً . ورجال المفسل يأتونه بفضلات اللحم المتبقية منهم ، وما أن يرى أحد منهم حارساً يدخل حتى ترتفع بينهم كلمة السر وهي « كم الساعة » فيسرع الذين على مقربة من كيهول باخفائه في دولا ب حتى ينصرف الحارس . وكان كيهول يقضى الليل في صندوق كبير وبجانبه الطعام والشراب وورق ممزق لقضاء حاجته . وكان سعيداً وازداد وزنه .

وسألها سكوييف متهمك :

— هل تتآمران على الهرب معا ؟

ضحك ماكس وقال :

— كلا . وانت ؟ .. اذا كان الأمر كذلك فأشركنا معك .

قال سكوييف :

— اننى اسمعكما طوال الوقت تسألان عن الساعة .. ولا بد ان هناك كلمة فرنسية تعنى ذلك .

قال ماكس :

— ذلك لأننا لا نريد ان يفوتنا برنين الجرس .

وقال سكوييف :

— آه . حسن .

كان كارتر قد كتب لعمته ادنا رداً على رسالة تلقاها منها عن طريق هازل ، وشرح لها بقدر ما استطاع سبب وجوده في السجن ، ولم يشر الى ابهاميه ، فان صدمة واحدة فيها

ما يكفى . ضرب الرسالة على الآلة الكاتبة لكى لا تلحظ عمته
التغيير الذى طرأ على خطه . وما أن أرسل الخطاب حتى أحس
بالاحباط ، فان ادنا رغم حرصها على الاطلاع على جميع الجرائد ،
ورغم اشتراكها بالتأكد فى جريدة نيو هيرالد تريبون ، وهى
جريدتها المفضلة لم تقرا فيها انه فى السجن . وكان أسوأ ما فى
الامر بالنسبة له رسالة عمته الثانية ، وقد كتبت تقول :

« اننى أصبت بالانهيار عندما علمت بما حدث
هو شىء فظيع لهازل وللصغير ، غير اننى أعرف ان
هازل قوية وصلبة وسوف تعجزاز هذه المحنة كما يجب
ولكن أنت ، هل ناقشت ضميرك حقاً ؟ .. لا يوجد
فى الدنيا برىء تماماً ، ولا يستطيع ان اصدق ان
المحاكم الأمريكية تدين رجلاً غير مذنب .. أنت مهمل
بطبعك يا فيليب وشارد الدهن فى حين انه لابد لك
من توخى كل حرص . اذا أدركت ولو بمقياس
ضئيل أنك أسأت التصرف فان ذلك سوف يزيل
شيئاً من مرادتك ويساعدك على المصالحة مع الله » .

أدرك كارتر ان ادنا تشيخ . كانت فى الخامسة والسبعين
تقريباً ، وصحيح ان هذه السن ليست بسن الشيخوخة اليائسة
لبعض الناس ولكنها كانت كذلك بالنسبة لها . وانتظر بضعة
أسابيع قبل ان يرد عليها ، ثم كتب لها رسالة وجيزة انتقى فيها
كلماته لكى يوضح لها الأساليب التى اتخذها بالمر لاختلاس الأموال
التى عهد بها مجلس إدارة المدرسة الى شركة تريومف . ولم
ترد ادنا على هذه الرسالة أبداً ، وكتبت أختها مارتا فى يولية ،
وكانت تقيم معها تقول لكارتير انها تلازم الفراش بسبب الاستسقاء
وضعف القلب وأن طبيبها لا يرى أى أمل لها فى الشفاء . ثم عادت

وكتبت له في أغسطس تقول ان العمة أدنا ماتت . وكان على كارتر أن يرث ١٢٥٠٠٠ دولار . وعرف أين ذهب النصف الآخر من ثروة أدنا . . الى مارتا ، وكان لذلك ما يبرره في نظره لأن أدنا عاشت أكثر من عشر سنوات معها ، ولم تكن مارتا تملك شيئاً يذكر . ولكن قيل لكارتر وهي على قيد الحياة انه سيكون الوارث الوحيد لثروتها . ولم يغضب كارتر ولم يبتهج كذلك لضياح نصف الثروة منه بل ان ذلك لم يهمه على الإطلاق ولم يشر الى ذلك الموضوع أمام ماكس ، وأراد أن تستغل هازل ذلك المبلغ ، وان تستثمر الجزء الأكبر منه فيما يفيد وان تصرف النظر عن الالتحاق بأي عمل ما . ولكنها أرادت في الوقت الحاضر أن تتبع دروساً لمدة عامين تتيح لها الحصول على دبلوم في علم النفس والاجتماع لا تستطيع بدونه الالتحاق بأية وظيفة لها شأنها .

راى هازل في يولية ، عندما عادت بالطائرة مع تيمى . وأقامت في تلك المرة في مسكن سوليفان بكلايتون ويقع على بعد عدة كيلو مترات من فريمونت . وراض نفسه هذه المرة على أن ترى هازل سوليفان . لم يظن أنهما على علاقة أو أنهما كانا على علاقة حتى الآن . وان ذلك لن يحدث مستقبلاً . خضع حبه لهازل الآن الى تبدل كبير وهو في السجن . أصبح مجرد عاطفة لا دخل للجنس ولا لآية متعة جسدية ، كما لو ان هذا النوع من الحب الذى كان شديد الاتساع من قبل بقى معلقاً في مكان ما . ومع ذلك فان حبه لها ازداد . أحس بأن اخلاصها له كان وسيكون اعظم شيء في حياته . وعندما قالت له في تلك الزيارة « حتى اذا قدر لك البقاء هنا ست سنوات فإن نصف المدة قد انقضت » وأحس عندئذ بالهدوء والقوة ، وكانت هذه الكلمات قبل ذلك . بسنتين تشمره بالمرارة والغضب .

ولم يغير الوعد بالحصول على المائة والخمسة والعشرين ألف دولار بعد التصديق على الوصية قرار هازل الحصول على

دبلوم علم الاجتماع . وقررت الالتحاق بكلية أدلفى فى لونغ ايسلاند
فى سبتمبر .

وكان شهر اغسطس كثير القلاقل والاضطرابات بالنسبة
لكارتر . فقد كان الحر أسوأ منه عن كل سنة مضت . وعاد
سوليفان الى نيويورك من جديد وأقام فى مسكن كنولتون . وهكذا
مضت السنوات ، وفى أحد أيام الأسبوع الأخير اكتشف الحراس
أمر كيهول ، فقد أسرع سجين لاختفائه فى اللحظة التى دخل فيها
أحد الحراس . وفى تسرعه داس على ذيل الكلب فنبج . وأخرج
الحارس مسدسه على الفور ليحمل الجميع على طاعته ، ولكنه
فشل فطلب أن يرى الكلب . وكان كيهول فى صندوق . ولم يتحرك
أحد لإخراجه . وقال ماكس ان المفسل كله ران عليه صمت
مطبق وتوقفت الآلات عن الدوران ، وفى ذلك الصمت غير العادى
نبج الكلب ، واكتشف الحارس مكانه وأخرجه من الصندوق .

روى ماكس قصته بالفرنسية كما يفعل دائما . وكان
سكويف حاضرا فى ذلك اليوم .

ونقل الكلب الى المحشر ، فى مدينة بومان المجاورة . وقال
ماكس ان رجالا كثيرين ينوون ارسال خطاب الى جريدة ايجل
بيومان فى محاولة لإيجاد بيت للكلب ، وأرسلوا الدولارات الثلاثة
التي يطلبها المحشر لإيواء كيهول ، ووقع جميع العاملين بالمفسل
على خطاب الجريدة بحيث لم يتمكن المسئولون بالسجن مساءلة
أحد بالذات لاحتفاظه بذلك الكلب .

وفى صباح اليوم التالى كان السجن كله على علم بحادثة
كيهول ، وقد أطربهم أن وجود الكلب بقى سرا طوال ثلاثة شهور
وأن ستة آلاف نزيل علموا بقصته بعد أربع وعشرين ساعة .
وتملكهم الغضب رغم طربهم . وقال ماكس ان الهمسات راحت

تدور في قاعة الطعام اثناء العشاء في اليوم الذي اكتشف فيه الكلب ، وان الحراس اضطروا الى اطلاق انذار من مكبر الصوت يقول ان اى رجل يضبط وهو يتكلم يحرم من السينما في عطلة الأسبوع .

وكان سكوييف جالسا على المقعد ينظف اظافره بشيء اشبه بالسواك فقال يخاطب ماكس :

- كنت تعلم اذن بقصة الكلب ، ثم انك تعمل في المغسل ، اليس كذلك ؟

اجابه ماكس في هدوء :

- ولكن لو اننا اخبرنا الجميع بوجود الكلب لتكلم احد الأوغاد ولما بقى معنا أكثر من يومين .

قال سكوييف وهو يشير الى كارتر :

- ولكنك اخبرت صديقك بأمره ، وهو لا يعمل بالمغسل . انه طبيب . لماذا اخبرته هو بالذات ؟

وبعد ذلك بيومين قال ماكس ان الخطاب الذي وقعه جميع العاملين بالمغسل اوقف ، فقد عرضه الرقيب على المأمور ، وأعلن هذا الأخير ان كل العقوبات الموقعة ضدهم قد امتدت شهرين وأنهم سيحرمون جميعا من السينما طوال شهر .

غادر كارتر ماكس ، وكان يقف في آخر العنبر رقم ١ في انتظار هبوط المصعد عندما سمع صوت أول هدير . كان صادرا من العنبر رقم ٢ . كان في البداية اشبه بالهتاف ، ولكن لمن يهتفون في السجن . وانفتح باب المصعد ، وسمع الفتى المكلف به الهدير فارتسمت على وجهه امارات التوتر والدهشة . وتوقف جميع الموجودين في العنبر رقم ١ وران عليهم الصمت امام ذلك

الهدير الذى راح يزداد . وخرج آخرون من زناناتهم للاستطلاع،
وصاح احدهم فى صوت اجش :

— لقد بدا الأمر .

وخاطب فتى المصعد كارتر قائلا :

— هلم ، ادخل .

ولكن فى تلك اللحظة بالذات انقض سجين على الفتى وطوقه
بيديه ووقع الرجلان داخل المصعد .

وفجأة راح الجميع يركضون . ودفع ثلاثة او أربعة رجال
بكارتر بعيدا وهم يندفعون داخل المصعد ، ضاحكين ، صاخبين .
ودوت رصاصة داخل عنبر المساجين ، ولكن بدت ضعيفة وسط
ذلك الهدير ، وانقفل باب المصعد . واستدار كارتر ، ورأى ان
الباب الذى يؤدى الى العنبر رقم ٢ مفتوح على سعته ، وان رجلا
من العنبر رقم ١ يندفعون نحوه متجمهرين ، ولم يعرف أية جهة
يسلك ، وفكر فجأة ان يختبئ فى إحدى الزنانات ولكن ما ان
اتجه اليها حتى اصطدم برجل ضخم كان يجرى صدمة عنيفة
قطعت أنفاسه . وتملكه الفيظ والغضب فانطلق الى العنبر
رقم ٢ ، وكان هناك جمع كبير من المساجين حوله ، وأحس كارتر
بجسد رجل تحت قدميه . وراح المساجين يتدافعون بالمناكب ،
ويرتطمون بعضهم ببعض ، ودلف كارتر أخيرا من خلال الباب ،
وكان الرجال يتجهون نحو العنبر رقم ٢ ، هادرين ، صاخبين ،
وتساقط الماء من أحد الطوابق العليا ، وصاح الرجال الذين
ابتلوا وحاولوا الهرب بين ذلك الخضم البشرى ، وكانت زنانة
ماكس على بعد مائتى متر تقريبا ، ولكنها بدت كأنها تبعد مائتى
كيلو مترا . وعدل كارتر عن الوصول اليها واتجه نحو تلك التى

الى يساره ، وتخط رجل مسن خلفه ، وتثبت بقميصه
كالفريق وهو يردد :

اريد ان اذهب الى زنانتى .. زنانتى .

وعندما بلغ كارتر الزنانة فى النهاية ، اعترض طريقه
سجين قائلا :

— ابتعد ايها الوغد ، وكان معه أربعة آخرون اغلقوا الباب
فى وجهه فى قوة ، فاندفع الى زنانة اخرى ، متجها نحو زنانة
ماكس ، وكان الجمع الهائج يندفع نحو العنبر رقم ٣ ، وافترض
كارتر ان ابوابه مفتوحة . وكانت الزنانتان التاليتان مفتوحتين ،
ولكن الحشد اندفع نحوهما وانتزع بابيهما ، والقى بالمرتببات
على الأرض ، وانتزع المرحاض من مكانه فاندفعت منه المياه
كالموج . وفكر كارتر انه اذا انتزعت كل المراحيض وتدفقت منها
المياه فسوف يفرق الجميع . وصرخ رجل من الألم فى زنانة
اخرى . وكان بداخلها ستة او ثمانية رجال يضربونه ويكيلون له
اللكمات . وكان الرجل يصرخ ولكن لم يكن أحد يراه . وتخطى
كارتر عن فكرة الاحتماء داخل زنانة فليست أمامه أية فرصة
اذا كان لدى الجميع فكرة الهجوم والضرب . وراى رجلا وحيدا
يحاول التثبيت بالقضبان عبثا ، ومر مرحاض فوق رأس كارتر
وراح يدور فى الفضاء قبل ان يقع على رجلين ويأخذهما معه .

صاح أحدهم :

— هلموا بنا يا اصحاب . ناولونا اياه .

واخذوا يتناقلون رجلا ممسكين به افقيا بين ايديهم ويمرون
به فوق رؤوسهم وهم يتضحكون ويكيلون له اللكمات ، ولم يلبثوا
ان طرحوه ارضا فى العنبر رقم ٣ واختفى عن الأنظار .

وازداد الغناء :

— اشنقوا المسامير .. اشنقوا المامور .

بحث كارتر عن ماكس . ورأى هانكى يصرخ ويصيح في نفس الوقت وهو يلوح في انتصار بسكين صنعها بنفسه . وتساقط الماء فوق رأس كارتر ، وفوق رؤوس المحيطين به . وفي تعجله للافلات منه وجد نفسه في منتصف الممر . وجرفه الحشد في طريقه بحيث لم يلبث أن وجد نفسه أخيرا على مقربة من زنزانة ماكس فأسرع اليها .

كان فيها نحو ثمانية رجال وقد جحظت عيونهم رعبا ، وتجمدوا في أماكنهم وهم يحتفظون بالباب مغلقا بكل قوة .

صاح كارتر بهم :

— اين ماكس ؟

— من تقول ؟

— ماكس .. هذه زنزانتة .

نظر الرجال اليه في وجوم وجمود . لعلهم لم يسمعه . حاول أن يغطي بصوته على اصوات اكثر من عشرة رجال . ولم يعرف كارتر أيا منهم . وازداد الزحام فجأة امام كارتر . وافلحوا أخيرا في دخول العنبر رقم ٢ .

قال احد المساجين داخل زنزانة ماكس :

— ابتعد يا صاح .

— اننى لا أحاول الدخول ، ولكن هل يعرف أحدكم اين ماكس .

انفتحت أبواب بعض الزنانات ، وخرج منها حشد من الرجال وهم يصيحون ويقهقهون . كانوا قد احتموا أثناء أسوأ لحظة ، واصبحوا على استعداد الآن للتلاحم مع الآخرين .

وقال أحد الرجال من داخل زنزانة ماكس :

— هلموا بنا من هنا .

وانفتح الباب فجأة وتسلسل منه ثمانية أو عشرة رجال .

كان ماكس طريقا على الأرض في آخر الزنزانة .

عندما ادارہ كارتر ورأى وجهه أدرك أنه مات . كان وجهه ملوثا بالدم ومهشما تماما . وأصيب كارتر بفصمة وراح يتنفس في جنون ، ثم أسرع خارج الزنزانة ، وجرى نحو العنبر رقم ٣ للحاق بالرجال العشرة . . أحدهم أو بعض منهم فعل هذا بماكس ، وهم يتدافعون لدخول زنزانتہ . مد رجل مسن يده وحاول ، مراحا ، أن يوقف ماكس ، ولكن هذا الأخير رفع قدمه وركله في بطنه . وتراجع الرجل وهو يترنح ، وارتطم بالحائط ووقع . وانقض كارتر عليه ، وانقض على وجهه وجسده وراح يركله بقدمه . وراح كل من حوله يصفقون ويهتفون ويشجعونه في صوت مرتفع . وأمسك كارتر بياقة قميص الرجل بين يديه وراح يضرب رأسه بالأرض الحجرية .

أمسك سجين زنجي كارتر من يده وقال له وهو يتنسم :

— رويدك يا صاحبي . . هل جنت ؟

حاول كارتر أن يضربه بقبضة يده ولكنہ لم يصبه . وضربه الزنجي بدوره فسقط فاقد الرشده .

وعندما عاد الى وعيه كان الصمت يرين على العنبر فيما عدا صوتين في آخره . وكان هناك سجينان بيد كل منهما مسدس

وسجين ثالث يقف بمفرده وفي يده مسدس هو الآخر ، في الناحية الأخرى من العنبر ، على مقربة من كارتير .

وقال زنجي بجواره :

— حسبتك مت يا صاحبي .

وكان يرقص على كل من قدميه في بطن ، وحاول كارتير أن ينهض مستعينا بأحد ذراعيه ولكن ذراعه تخطى عنه فأدرك أنه مكسور ، واستعان بذراعه الآخر ، وسار مترنحا حتى زنزانية مفتوحة استند على بابها ، وكانت شاغرة فتهاك فوق الفراش السفلى ، على اليايات المعدنية بالدات لأن المراتب كانت متناثرة . فوق الأرض .

رأى من ساعته أنه قضى في تلك الزنزانية أربعاً وعشرين ساعة ، وظلت الأنوار مضاءة طوال الوقت . وكان المساجين هم الذين يقومون بالحراسة الآن ، وكان هناك الكثير منهم ، وأتى اثنان منهم بماء لكارتير وتساءل من أين لأن الحوض كان مكسورا والماء ينساب من المواسير قطرة قطرة . وحتى المواسير نفسها كان معظمها مكسورا وراح الماء يتسرب منها داخل الزنزانات . وتورم ذراع كارتير المكسور ، وطلب أن ينقلوه إلى العيادة أكثر من مرة ، ولكن الحراس اعتذروا بأنهم لا يستطيعون مغادرة أماكنهم طبقاً للأوامر الصادرة إليهم . كانوا يتكلمون الآن في زهو وتيه كما لو أنهم مجندون في جيش يحبونه ويحترمونه . وعد أحدهم كارتير بأن يحاول الحصول له على تصريح لنقله إلى العيادة . وآلمه ذراعه وابهاماه وحن إلى المورفين وبدأ يفرغ من معدته الماء الذي شربه . وكان الرجلان اللذان نقلاه ذوا روح طيبة ، وسكاري بعض الشيء ، ولحظ كارتير أن أنفاسهم تفوح بالكحول . وكان أحدهم زنجياً والآخر أبيض ، وقال له الزنجي : « نعم يا صاحبي . انتظم كل شيء الآن ولدينا نقالات ومحفات وشاش

وقطن وخمر » . وضحك ضحكة عالية . وتعثرا وهما يمضيان
به وقالاه ان المصعد معطل ، وانهما مضطرا ان صعود السلم .
وسأله الزنجى وهو يبتسم :

— هل انت الذى قتلت هوايتى ؟

لم ينطق كارتر . تذكر فى غموض معركة ضارية ، ورأى
نفسه يركل رجلا بقدمه ، ولكنه لم يتذكر أى شىء عن وجه
الرجل ، وما كان ليستطيع ان يقول ان كان نحيفا أم ضخما ،
قصيرا أم طويلا ، أبيض أم أسود .

أصاب الالتلاف العيادة هى الأخرى . وبدأ الدكتور كاسينى
غاضبا ، همهم يحيى كارتر كما لو انه لا يعرفه . . كانت هناك
مناضد محطمة مكومة فى ركن من الغرفة ، ووقف حارسان من
المساجين بجوار النافذة ، وفى جيب كل منهما مسدس . وقال
الدكتور كاسينى :

— كلما اجتاز احد هذا الباب اظن الأمر اغارة . . يا الهى ! . .
اكم من العقاقير يعتقلون لدينا هنا . هذه رابع مرة يأتوننى
بجرحى .

كان مهتما بذراع كارتر ، يتحسس فى كل مكان . وسأله
كارتر هامسا :

— « الديك مورفين » ؟

وابتسم الدكتور كاسينى وردد البصر حوله ثم انحنى
فوقه وقال :

— « لدى كمية احتياطية احتفظ بها . . لكى أعالج حالات
مثل حالتك هذه بالذات . ولدى بنسلين أيضا ، ولدى ما يساعدننى
على اجتياز هذه الأزمة يا عزيزى فيليب » .

أعاد له الدكتور كاسيني ذراعه مكانه بالشد . وأعطاه ،
مكافأة له ، حقنة من المورفين . ورغم ذلك فقد تألم جدا لأن
العظمة الحادة انفرزت في اللحم اللدن . وتذكر كارتر انه كان قد
وعد ماكس بتحمل كل شيء دون تملل وهذا ما فعل . كانت به جروح
سطحية غير ذراعه : قطع صغير في الجبهة كان لأبد من تطهيره ،
وجروح أخرى في أصابعه . وجرح من خمسة سنتيمترات في باطن
ركبته كان لأبد من خياطته ، ثم أن فردة من حدائه كانت قد
امتلات بالدم ، وقد تجمد كما لو كان صمفا ، وكان لأبد من وضعها
في الماء حتى يتحلل وتتحرر القدم . وبعد العملية بخمس وأربعين
دقيقة كان من القوة بحيث راح يسب ويلعن ، في سره في بادئ
الأمر ، ثم صب لعناته علنا وجهارا على قتلة ماكس .

قال له بيت أن ستة رجال لقوا حتفهم ، وربما أكثر . .
وكل سرر العيادة كانت مشغولة ، وكان في الامكان أن يكون سرير
كارتر مشغولا هو الآخر لو لم يحتفظوا له به . وكان هناك رجال
ممددون في طريقة العيادة ، واحتفظ المساجين بستة من الحراس
في العنبر رقم ٣ كرهائن ، وطلبوا أن يقدم لهم البفتيك مرتين في
الأسبوع بدلا من مرة ، وعدم السماح بأكثر من رجلين في الزنزانة
الواحدة ، وقهوة من نوع جيد . وقال الدكتور كاسيني :

— آه . . هم مجانين . . مجانين تماما . ظننت أن التمرد
بسبب ذلك الكلب ولكن اتضح أن نصف الرجال الذين أراهم هنا
لا يعرفون عنه شيئا . لم أذق النوم منذ أن بدأ كل هذا ،
وأخشى أن أنام . يجب أن يأتي الحرس الوطنى الآن ، ولا ريب
أنهم استدعوه . سوف تقع معركة حتما .

لم يهتم كارتر بذلك أى اهتمام ، فسيان لديه أن يأتي
الحرس الوطنى الى العيادة ويقتله هو أيضا . بدأ له كل شيء
بعيدا ، وغير ذى أهمية . وأصغى الى حديث بيت كما لو كان فى

منام . وتحدث بعض الجرحى الذين فى العيادة عن الخطابات التى صدرتها الرقابة ، ولكن لم يعرف أحد ما حدث حقا فيما عدا ان كل شىء بدأ فى العنبر رقم ٣ . انقض رجلان على أحد الحراس واستوليا على سلاحه .

وقال بيت :

— والغريب اننى علمت أن المأمور كان ينوى اللقاء ببيان بقاعة الطعام يقول فيه ان الخطابات الخاصة بالكلب لن تصدر ، ولكنه تأخر بعض الوقت .. عشر دقائق بالكاد ، وهذا غريب ، اليس كذلك .

وقال أيضا ان زعماء التمرد تبادلوا حديثا تليفونيا مع المأمور ذكروا فيه مطالبهم ، وكان يعرف أن أكثرها غير حقيقى ، ولكن أغرب ما سمعه هو انهم طالبوه بأن تكون السينما كل ليلة وان يمنع كل سجين اجازة كل ثلاثة شهور ، وادخال المياه الساخنة الى الزنزانات . وحمل هذا المطلب الأخير بيت على الضحك فى جنون .

وفى نحو الساعة الثامنة من تلك الليلة سمع دوى رصاص ، وعلمت العيادة بعد قليل ان العنبر رقم ٣ عاد اليه النظام بفضل الحرس الوطنى ، وأنه أصبح تحت اشراف الحراس من جديد ، ولم يكن الظلام قد حل بعد ، ولكن الدكتور كاسينى أكد بأنه لن تكون هناك اية معارك حتى الصباح .

وكان هدف الحرس الوطنى هو المطبخ ، وقال الدكتور كاسينى فى ازدياء :

— يكفى تجويع هؤلاء الأوغاد بضع ساعات فيرتدعون ، فهم لا يفكرون الا فى بطونهم .. فى بطونهم وفى الجنس طبعاً .

واستمر الاشتباك فى العنابر الأخرى حتى الصباح .

وحسب كارتر أنه وقد امتلأ بالمورفين سيستطيع أن ينام ، ولكن
الآلم أبقاه مستيقظا ، على أنه لم يهتم بذلك فقد فكر في ماكس
في هدوء وفي مرارة في نفس الوقت . فكر فيه طوال الوقت تقريبا .
لقد قتل رجل على الأقل انتقاما له . ليس الرجل الذي قتل ماكس
بالتأكيد ، ولكنه كان ضمن الجماعة التي اشتركت في قتله ،
والكل متشابهون . كان كارتر واثقا أنه قتل الرجل ، وبدأ له ذلك
قصاصة عادلا تماما .

بعد شهر من الشغب الذى استمر ثلاثة أيام فى سجن الدولة ، والذى كان حديث الجرائد المحلية كلها ، أصبح الأمر بالنسبة لكارتير شيئاً من الماضى ، وكان يمكن أن يكون قبل ذلك بكثير ، ولكن كان لابد من شهر وأكثر للمساجين لتنظيف الفوضى التى قاموا بها ، ولإعادة تركيب المرافق وإصلاح الأقفال المحطمة ، وهذه الأخيرة كان لابد من الاستعانة ببعض الحدادين من الخارج لإصلاحها لأن الحدادة لم تكن من بين المهن التى يعلمونها فى السجن ، ولإصلاح الآلات التى تهشمت فى المغسل ، ولترق جروح المساجين أنفسهم . وراى كارتير كل هؤلاء حوله ، وكانت أشد الحالات حزناً حالة العجوز ماك ، ولم تكن به جراح ، ولكنه نقل الى العيادة لأن الخبل أصابه كما يقول الدكتور كاسينى ، فقد رأى نموذج الصغرى لبأخرته يتحطم ويداس بأحذية المساجين الثقيلة ، كما رأى زنزانته تكتسح ، وعلم كارتير أن ماك كان قد أفلح فى إغلاق زنزانته بالقفل بمساعدة أحد الحراس ، ولكن المساجين حطموا القفل بمطرقة ودخلوا وحطموا النموذج . روى كارتير القصة لهازل فى إحدى رسائله . ونظرا الى أن الشغب لفت الانتظار الى الظروف التى يعيش فيها المساجين ، فقد كانت هناك فرصة فى أن ينقل ماك العجوز الى مصحة عقلية ، وهذا خير له لأن ما من أحد فى العيادة يعرف كيف يهتم به . لم يكن عنيفاً ،

ولكنه لم يكن يدري أين هو . بل انهم كانوا يضطرون الى اطعامه
بالمعلقة .

كان التمرد بالنسبة لكارتير حدثا في حياته ، تلك الحياة التي
اعتبرها تمردا لا ينقطع وعصيانا وحقدا . حاول ان يفسر ذلك
لهازل ، وأحس بأنه عبر بوضوح ودقة عما يجيش بصدوره ،
ولكنها ردت عليه بأنها ترى مجرى أفكاره لا يتعدى السلبية ، وان
عدم خبرته بالطبيعة البشرية ، وبنوايا الموظفين الإداريين بالسجن
سيقوده الى الاحباط والعصبية وكراهيته للمجتمع ما لم يحاول
ان يرى الأمور بطريقة أخرى « يجب ان تواجه الأمور كما هي ،
فما من شيء في الحياة ابيض تماما وما من شيء اسود تماما .
يوسفني اننى قد ابدو لك مبتدلة يا حبيبى ، ولكن كما قال
دافيد ذات مرة فكل الأمور الحقيقية مبتدلة ، وقد قيل ذلك كثيرا
لأن التجربة الانسانية اثبتت صحتها .. واعترف كارتير بأن في
قولها هذا بعض الحقيقة ، ولكنه انتقد نتائج التمرد ، فان رجالا
كماكس قتلوا وأصيب ماك بالجنون ، والمسكين لا يستطيع ان
يرى زوجته الآن لأنه لا يستطيع الهبوط من العيادة ولا يستطيع
أحد ان يرافقه ، وزوجته لا تستطيع ان تراه لأن الصعود الى
العيادة ممنوع ، وأقصى ما هناك ان واحدا من المتمردين وهو
سويدي ، قد حصل رغم قصره وسمار بشرته على ما يريد ،
وهو الإقامة بزنزانته وحده ، والظاهر انه حصل على ذلك لأنه
متمرد مشبوه واسمه مسجل على بطاقة حمراء على باب الزنزانة،
ولكن لم يكن لهذا معنى لأنه كان يختلط كل يوم بغيره من المساجين،
في الورشة او في العنبر . حصل على زنزانة خاصة لأنه طلبها
ولأن المسئولين في السجن ارادوا تفادى اضطرابات أخرى اذا لم
ينزلوا عند طلبه .

ومضى دافيد للإقامة في نيويورك في السنة الرابعة من

اقامة كارتر في السجن ، والتحق بشركة قانونية لها مكاتب في عمارة جديدة بالشارع الأول . ونالت هازل دبلومها من جامعة أدلفي ، وفكرت في بادئ الأمر في قبول وظيفة في أوروبا وارسلت تيمى الى مدرسة بسويسرا ، ولكنها عدلت عن فكرتها هذه لحصولها على وظيفة في لجنة لرعاية الأطفال في وست سايد بمانهاتن . ولم يشك كارتر لحظة في أن قرارها بالبقاء في الولايات المتحدة كان مبنيا على أساس أن سوليفان انتقل للاقامة في نيويورك .

كانت تأتي لزيارته ثلاث أو أربع مرات في السنة ، وتقيم في الفندق الوحيد ببوومان . ولم تكن النفود بمشكلة بالنسبة لها الآن بسبب وظيفتها ، ولم تكن زيارتها أحيانا تتجاوز عطلة نهاية الأسبوع . وكانت تكتب له ثلاث مرات أو أربع في الأسبوع ، وكانت ترفق برسالاتها أحيانا صورا لتيمى ، وأصبح لدى كارتر الآن ألبوم للصور يحتوى على الخصوص على صور تيمى وبضع صور لهازل وبعض أصدقائها الذين تعرفت بهم في نيويورك ، وتحديثه عنهم في رسائلها : آل اليوت الذين يقيمون في لوكاست فالى بلانچ ايسلاند ، وجيريمى سوتر ، وهو رجل التقت به في الجامعة ومتزوج بفتاة تدعى سوزان واناس لا يهتم كارتر بهم ، ولكنه يجمع صورهم ، ومنهم بلانش وايدى لانجواير . كتب له ايدى مرتين في أول سنة له في السجن ، ولم يرد كارتر عليه ، وقد انتقلا أخيرا الى دالاس بسبب عمل ايدى ، ولم يكتب اليه منذ مدة طويلة ، وهكذا الأمر مع غيرهم من أصدقاء نيويورك . خطاب أو بضعة خطابات تعبر عن الاشفاق والمطف ثم الصمت .

أصبح تيمى في الحادية عشرة من عمره الآن . وكان كارتر يتلقى منه رسالتين كل شهر في المتوسط ، ولكنه أحس أن الغلام

كان يبذل كل جهده لكي يجد ما يقول له . وحدث كارتر نفسه فقال ان الأمور سوف تتحسن عندما يلتقيان فيما بعد ، ولن يكون ذلك سهلا في بادئ الأمر . ولكن كارتر كان ينوي ان يكون حازما معه وان لا يترفق به وان يتوقع ان لا يسرع ابنه لمعاينته في اول لقاء .

وكان لكارتر الآن مكتبة مزججة بباب مزود بقفل لأن الكثيرين كانوا يستعرون كتبه دون اذنه . ولكنه كان يعيرها بنفسه لكل مرضى العيادة الذين يطلبونها . كان لديه كتب من تأليف سويفت وفولتير وستانلى وبازاك وغيرهم من الكتاب المعروفين ، وجزء من الموسوعة البريطانية تركه أحد المساجين عند مغادرته للسجن ، وقاموس انجليزى وكتاب لتعليم السباكة . قرأ كل الكتب من أولها حتى آخرها . وكان يحتفظ تحت سريره بصندوق يضم اقلاما وادوات للرسم ، ويقوم برسم الآلات التى يتذكرها وغيرها من ابتكاره . وتقلب على عاهة ابهاميه ، وكتب ذلك لهازل ، وقال انه امر بالغ الأهمية بالنسبة لمستقبله . ولكن هازل كانت لاتزال تفكر فى أن يجرى عملية جراحية وتكلمت عن ابهاميه مع اخصائى فى جراحة الأيدى بنيويورك . بيد ان كارتر لم يعد يهتم بذلك مع مرور الوقت . وكان يعرف ان هازل تعلم ذلك ، فقد اعتاد الآن على ابهاميه ، ولكنه لم يشعر بالحاجة لابلاغ هازل بذلك .

وفى السنة الرابعة لاقامته فى السجن حاول التوقف عن تعاطى المورفين نهائيا ، واصيب بعدة نكسات من جراء ذلك لأنه لم يفكر فى خطورة الموقف . كانت الاعراض اذا ما توقف عبارة عن عرق غزير واضطراب فى اليوم الثانى او الثالث ، ويستمر ذلك

اثنى عشرة ساعة تقريبا . واعتبر كارتر ذلك كنوع من العذاب اللذيذ وأثبت لنفسه أنه يستطيع التوقف عن المورفين لمدة شهرين أو أكثر اذا تناول أقراص الديمووال المهدئة . وخف ألم ابهاميه ، واستغنى خلال السنة السادسة عن المورفين أحد عشر شهرا . وكان لديه هدف يرمى اليه وهو انه اذا ما غادر السجن فلن يستطيع الحصول على المورفين بسهولة ، كما انه اراد ان يكون في مقدوره ان يقول لهازل انه يستطيع الاستغناء عنه نهائيا .

توقف مستر دريكسل عن دفع المائة دولار الشهرية بعد عشرة شهور ، وهو وقت انتهاء العقد الذى بين الشركة وبين كارتر ، وكتب مستر دريكسل اليه يعده بتزويده بخطاب توصية ، ولكنه قال انه سيؤرخه بتاريخ مفادته للسجن حتى لا يصبح قديم المفعول عندما يبحث عن وظيفة . واطرب الامر كارتر ، فان معنى خطاب التوصية ان حامله حديث التخرج من السجن ، وكان المفروض ان يغادره فى ديسمبر ، فقد خفضت شهادته بحسن سلوكه وخدمته فى العيادة ثلاث سنين وبضعة أشهر من المدة المفروض ان يقضيها فى السجن .

ذلك ان الدكتور كاسينى كتب تقريراً كله مديح واطناب فى سلوك كارتر وتفانيه فى خدمة المرضى ، وعرض هذا التقرير عليه قبل تقديمه ، كما كتب عنه دافيد سوليفان كذلك ، ومستر دريكسل هو الآخر ، بناء على طلب كارتر بالذات . وسيغادر السجن فى عيد الميلاد من هذه السنة . وخلافا لغيره من الرجال الذين يجب ان يبدأوا حياة جديدة بعد خروجهم من السجن كان له زوجة وولد وبيت ومال . سيستطيع ان يقدم هدايا لذويه بيديه بالذات ، ويلف الهدايا ولا يعرف محتوياتها غيره هو .

والواقع انه سيكون في اول ديسمبر في مسكن نيويورك مع هازل حرا ، طليقا ، معه تقرير يثبت حسن سلوكه رغم انه قتل رجلا في السجن . وخلال الشهور التي تلت التمرد فكر كارتر كثيرا في ان سجيننا بفيض الوجه يمكن ان يقترب منه في ورشة النجارة ، او في زنزانة يمضي اليها بدواء ، او في اى مكان آخر ويقول له « سمعت انك انت الذى قتل هوايتى » ويصبح عندئذ في خبر كان . ولكن الأمور لم تقع هكذا .

في أول ديسمبر ، يوم جمعة ، اقتيد كارتر في الساعة الثامنة صباحا في سيارة الى خارج السجن . وكان يرتدى البدلة السمراء الخاصة بالمساجين المطلق سراحهم ، أو الذين في أجازة وكان في جيبه ورقة بعشرة دولارات يمنحها السجن للذين يطلق سراحهم . وانزلوه عند موقف أوتوبيس جورني ، وهي بلدة صغيرة على بعد ثلاثة كيلو مترات من السجن ، وقال له الحارس :

— لا تنس ان تقدم نفسك الى ضابط البوليس ، واجابه كارتر :

— لن أنسى .

أقبل الأوتوبيس على الفور تقريبا . كان الجو مشمساً وبارداً . ومشى كارتر في الأوتوبيس وهو يفتح عينيه على اتساعهما، كما سبق أن فعل في سيارة السجن . وطرفت عيناه طوال الوقت وحاول ان يكف عن الحلقة بعينين مستديرتين وان يبقيهما على يديه ، ولكن بعد بضع ثوان الفى نفسه يلصق أنفه بزجاج الأوتوبيس أو يحلق في قبعة من القش الأسمر بها عصافير حمراء ، على بعد بضعة سنتيمترات منه أو يصفى الى شابين واقفين بجواره ويثرثران بلهجة أهل الجنوب ، وكل منهما يبدو في الخامسة عشرة من عمره . وفكر ان تيمى سيكون بعد ثلاث سنوات تقريبا رجلا مثلهما وان صوته سيتغير وسيهتم بالفتيات .

كان هناك ثلاث ساعات انتظار في فريمونت . أرسل كارتر برقية الى هازل يخبرها فيه بموعد وصوله . أرادت أن تأتي الى السجن لكي تراه بمجرد خروجه ولكنه توصل اليها أن لا تفعل . وقضى ثلاث ساعات في التجوال في الشوارع حول المطار .

كانت هازل قد أرسلت اليه حوالة بمائة دولار صرفها السجن من أجله صباح اليوم بالذات ، وانفق سبعة وخمسين دولارا وتسعين سنتا ثمنا لتذكرته ، وفي الطائرة قدموا له الغذاء : صينية صغيرة بها شرائح من اللحم الطازج وبطاطس محمرة ودوائر من البطاطم فوق طبقة من الخس وفنجان صغير به صلصة بلون الكريم ، وفتح كارتر الفنجان بأن سحب اللسان الورقي بأسنانه ، ووجد بعض المشقة في استعمال الشوكة والسكين . كان بفضل أن يأكل بالملقعة ، ولكنه شعر بأن الرجل الجالس بجواره يراقبه ، وأنه قد يبدو له سجينا سابقا غادر السجن لتوه .

وتوقفت الطائرة في بتسبورج ، وفي ويلكس بار ، وهبطت في مطار لاجاردنا في الميعاد تقريبا . وفيما هو يعبر بهوا كبيرا مع غيره من الركاب رأى هازل وتيمى وكذلك سوليفان يطلون من الشراقة . وأشار لهم بيده وأبتسم . وهزت هازل يدها في انفعال . وأجاب سوليفان على تحيته مرة واحدة في هدوء وهو يبتسم ، وتيمى في شيء من الخجل . كل هذا رآه كارتر في لمحة خاطفة .

قبلته هازل في وجنتيه ثم في فمه وهي تبكي وتضحك في آن واحد ، وطرفت عينا كارتر لأن الألوان بدت له ساطعة جدا والألوان براقية في كل مكان .

— كيف حالك يا تيمى ؟

بسط كارتر يده اليه ، ونظر تيمى الى اليد ثم أمسكها
فى النهاية بقوة وهو يقول :

— على ما برام .

كان صوته عذبا جدا فى اذنى كارتر ، وقويا ، وان كانت
تتخلله رعشة خفيفة .. صوت غلام .. كان صوت وليد فى آخر
مرة رآه فيها .

وقالت هازل :

— السيارة معى . هل انت جائع ؟ اعددت لك العشاء فى
المنزل .

وقال سوليفان وهو يخلع معطفه :

— اليك معطفى .

واجبره على ارتدائه ، وكان كارتر يرتعش من البرد فقبل .
واندست يداه فى الكمين المبطنين بالحرير بسهولة .

خرجت هازل من متاهة لاجارديا ، وعبرت كوبرى تريپورو .
كانت السيارة ، وهى من طراز موريس ، معها منذ سنة . واقتربت
انوار مانهاتن من الغروب ، وبدت المدينة كما لو كانت دنيا
كبيرة .. دنيا كبيرة جدا بالنسبة لكارتر .

وقال سوليفان :

— على فكرة ، لن ابقى للعشاء ، انما اتيت لكى اراك
فحسب .

سأله هازل :

— انى تصعد لتناول كأس يا دافيد ؟

وكانوا يقتربون من الشارع الثامن والثلاثين ومن لكسنجتون
فقال :

— كلا . شكرا .

وأردف يقول وهو يهبط من السيارة :

— سارك فيما بعد يا أيل . جميل ان نراك بيننا من
جديد .

وكان يمسك معطفه فوق ذراعه ، فقد أصر كارتر على ان
يسترده .

ثم أصبحوا وحدهم هم الثلاثة . ركنت هازل السيارة
تحت شجرة بالشارع الثامن والعشرين وهي تقول انها محظوظة ،
لأنها وجدت المكان خاليا وانها كثيرا ما تركن العربّة فيه . وتحسس
كارتر جذع الشجر بكفه ثم رأى ان تيمى يجد مشقة فى اخراج
حقيبته من السيارة فقال :

— دعها يا تيمى .. سأخذها أنا .

— كلا . أنا على ما يرام .

لم تكن الحقيبة ثقيلة . كانت تحتوى على أدوات الحلاقة
والبوم الصور والموضوعات الفرنسية ومراة صنع اطارها فى
ورشة النجارة . وكان قد ارسل كتبه قبل ذلك بايام وسأل
هازل ان كانت قد وصلت فأجابته : بالنفى . وأبى تيمى ان يدعه
يحمل الحقيبة حتى فى صعودهم الى الطابق الأخير . وكان البيت
جميلا وخاصة بالسكنى والدرايزون ملما والدرجات تكسوها
سجاجيد نظيفة وجديدة . وفتحت هازل الباب وهي تقول :

— ها نحن قد وصلنا الى مسكننا يا حبيبى .

كانت الأنوار كلها مضاءة . وكان كارتر أول من دخل كما طلبت منه هازل . ولفتت نظره زهرتان من زهور الجلاديول في فازتين كبيرتين ، وزهرة جميلة من الكاوتشوك وكان أحد الجدران مكسوا بالكتب ، وعرف بضع تحف كانت لديهم في فريمونت ، ولكن أغلب ما في الشقة كان جديدا بالنسبة له ، ثم رأى شيشيا قديما أزرق اللون خاصا به أمام أحد المقاعد فأنفجر ضاحكا وقال :

— أما زالت هذه التحفة موجودة ؟

وضحكت هازل هي الأخرى ، ولزم تيمى وحده الصمت . وأخذته ودارت به في الشقة ، وأرته غرفة تيمى ، وغرفتهما ، وغرفة الأصدقاء والمطبخ والحمام . ولم يجد ما يقول غير « هذا جميل جدا » ورأى صورته في المرآة وهو يتسم في قباء فحول عينيه عنها . كان متوترا ، ويبدو متقدما في السن في غموض وقسرا .

— هل أستطيع الاستحمام قبل العشاء .

قالت هازل :

— يمكنك أن تفعل كل ما تريد .

وقبلته قبلة كبيرة ، فأحس بدوار ، وخشى أن ينظر إليها أو بالأحرى لم يستطع ذلك . وفك أزرار سترته التي كان يرتديها في السجن ، وفجأة لم يعد يحتمل ثياب السجن لحظة أخرى . وقالت له هازل :

— هل تريد أن أعلق لك شيئا ؟

ابتسم كارتر وناولها سترته وهو يقول :

ـ بل أريد أن تأخذى هذه الثياب البغيضة وأن تحرقها .

وبعد خمس دقائق ، وبينما كان كارتر فى البانيو ، جاءته هازل بكأس من الويسكى بالثلج والصودا .

وارتدى ثيابه فى غرفة النوم . لبس القميص الأبيض الذى وضعته هازل فوق الفراش ، وكان هناك بنطلون كذلك ، كان اثرا لديه . وكان هناك حذاء قديم ولكنه لم يستهلك ، وكان لايزال يناسبه بخلاف البنطلون ، وكانت هناك فوق الطاولة صورة له هو وهازل ، فى إطار فضى ، التقطت لهما فى حفلة براقصة تنكرية أقامها آل لانجواير قبل ذلك بسنوات . كم سنة ؟ . . سبعا أو ثمان على الأقل . وكان فى الصورة حافى القدمين ومتنكرا فى ملابس هاواى بقميص مشجر وحول عنقه عقد وفوق رأسه قبعة من القش ، وكان يراقص هازل ، ورأى انه يبدو فى الصورة وكأنه فى العشرين من عمره وهازل فى السادسة عشرة ، بتنورتها وشعرها المتطاير ، وكان أطول مما هو الآن .

كانت هازل فى المطبخ تعد العشاء ، وكان قد عرض عليها ان يساعدها ولكنها قالت انه لا يستطيع شيئا لمساعدتها ، وان تيمى يتكفل بذلك ، وكان هذا الأخير لا يكف عن النظر اليه . كانت له عيناه وأنف هازل الصغير الدقيق . وخاطبه كارتر قائلا :

ـ هلا أريتنى بعض انشاءاتك .

بدا الارتباك على تيمى ، ولكنه ابتسم لفرط سروره وقال :

ـ اذا أردت .

ـ الآن .

وكان قد لاحظ أشكالا غريبة مغلقة بالبلاستيك فى غرفة تيمى ، وقالت هازل :

— بعد العشاء فقد فرغت منه . هل لك أن تفتح زجاجة
النبيذ يا حبيبى .

وأردفت فجأة فى شىء من القلق :

— ولكن هل تستطيع ؟

ابتسم كارتر وقال :

— طبعا أستطيع ذلك .

وانتزع السدادة فخرجت سليمة ، وأخذ الزجاجة الى غرفة
المعيشة . وكانت المائدة قد أعدت بجوار المدفأة عندما كان
يستحم ، وفوقها شمعتان مضاءتان فى شمعدانين من الحديد
المشغول ، رآهما كارتر للمرة الأولى .

أكل من البطاطس المهروسة أكثر مما أكل من لحم البط ،
ولم ترقمه هازل ، وقالت :

— أعرف أنه ثقیل على المعدة شيئا ما ، ولكننى أردت أن
أعد لك شيئا جميلا الليلة .

سأله تيمى .

— هل كنت تلعب البيسبول هناك ؟

أجاب كارتر باسم :

— نعم ، قليلا .

ونظر تيمى الى يديه .

وتكلمت هازل عما سيفعلان فى الأيام التالية . منحها
مكتبها أجازة أسبوع مدفوعة رغم أنه مشحون بالعمل ، وأرادت
أن تضى الى متحف الفن مع تيمى وكارتر فى اليوم التالى أو يوم

الأحد . وسيمضيان في الأسبوع المقبل للتسويق وشراء أشياء كثيرة لكارتير . كانت تحب مرافقته عندما يشتري ثيابا ، وكان يسره دائما استطلاع رأيها الى حد أنه لم يكن يحب شراء ربطة عنق دون أن يأخذ رأيها . ثم كان هناك المسرح وحفلات باليه في انتظارهما . وأرادت أن تعرفه بالذات بجيريمي سوتر وزوجته اللذين وجها اليهما الدعوة لتناول العشاء معهما . ودعاها آل اليوت الذين يقيمون في لوكوست فالى لقضاء إحدى عطلات الأسبوع في ديسمبر .

وقال كارتير :

— يجب أن أبحث عن وظيفة ذات يوم .

— لا تفكر في ذلك قبل عيد الميلاد يا حبيبي ، فلا أحد يبحث من وظائف في هذه الفترة من السنة . ثم اننا أغنياء (وتناولت بعضا من السلطة وابتسمت) .

قال كارتير لنفسه انها على حق ، فقد كانوا في بحبوحة من العيش . . أن يكون الانسان في بحبوحة من العيش لا يعنى شيئا ، أما الآن فالأمر مختلف ، فهناك المسجل في غرفة المعيشة والمفروشات والكتب في البيت ، وحرية السفر الى أوروبا اذا أراد ، والحق تيمى بمدرسة اعدادية ممتازة عندما يبلغ الثالثة عشرة او الرابعة عشرة من عمره . ونظر كارتير الى زوجته الجميلة وأحس بفيض من السعادة .

وكانت هازل قد اشترت له بيجامتين رغم أنها أكدت أنها مازالت تحتفظ بثيابه في حالة جيدة . ولبس البيجامة الجديدة الزرقاء ، وأوى تيمى الى فراشه في نحو الساعة العاشرة وهو يتمنى له ليلة طيبة ، ولم يعرب له عن سروره بعودته الى البيت ، واستحسن كارتير تصرفه فقد دل ذلك على أنه غلام خجول

ومرتبك . وكان يعرف أنه تسبب في اغضاب تيمى لأنه لم يجد الوقت لرؤية انشاءاته بعد العشاء اذ استمعوا الى الموسيقى .

وكان هناك كتابان ضخمان فوق الطاولة . واجتاز كارتر غرفة النوم لكى يرى عنوانيهما . كانا من كتب القانون ، خاصة بسوليفان طبعا . ولكن ماذا يفعلان في غرفة النوم . احس فجأة بالخجل لنزوة الفيرة التى اجتاحتها . . واذا كان هناك ما يبرر وجود الكتابين فمعنى ذلك أن بين سوليفان وبين زوجته شيئا . ولكن اذا كان ذلك صحيحا افما كانت تبادر باخفائهما . وفاجأ نفسه وهو ينظر الى الفراش وقال ان سوليفان ضاجع زوجته ، واذا صح ذلك فسوف يسره ان يقتله . وراح ابهاماه يؤلمانه ، وضغط على قبضتيه ومضى الى علبة الأقراص الموضوعة على الطاولة بجوار الفراش . كان كارتر يأخذ منها ستة أقراص كل يوم ، وقد أعطاه الدكتور كاسينى رويشتة لكى يستطيع الحصول على تلك الأقراص عند الحاجة . ولكن الرويشتة كانت عبارة عن ورقة عادية بدون عنوان وان كانت موقعة منه ، وقال له انهم اذا رفضوا اعطائه الدواء فان أى طبيب يمكن أن يكتب له رويشتة ، فلم يكن للدكتور كاسينى اوراقا مطبوعة باسمه أو عنوانه .

سألته هازل وهى تدخل الغرفة .

— لماذا لم تستلق على الفراش .

قال :

— كنت اتفقد المكان .

— الست متعبا ؟

دخل الفراش معها ، واطفات النور . وتالم تقريبا وهو يضمها اليه ، وانهمرت من عينيه الدموع ، كالثلج في طريقه للدويان . . كان قد عاد الى بيته .

- ١٣ -

تقدم كارتر الى شركتين في يناير للالتحاق باحدهما ، ولكنهما . رفضتا طلبه ، الاولى لانه قضى فترة في السجن ، والثانية لنفس السبب كما اعتقد كارتر ، وان لم تذكر له ذلك صراحة وكان يتوقع رفضهما بالطبع ، وكان يعرف انه سيتلقى الرفض من عشر شركات ، بل من عشرين . وارادت هازل ان يحصل على شهادة من الشركة التي كان يعمل بها في نيويورك ، ولكن كارتر كان ضد هذه الفكرة ، فمنطقيا سوف يسأله هؤلاء الناس لماذا لا يطلب شهادة من آخر شركة كان يعمل بها ، واين قضى هذه السنوات الست .

عاد تيمى الى المدرسة بعد الاجازة ، وكانت هازل تخرج في الساعة الثامنة والدقيقة العشرين . يوما لكى تصل الى مكتبها في التاسعة . ويبقى كارتر في البيت ليرد على الاعلانات التي تطلب مهندسين والتي يجدها في التايم والهيرالد تريبون . وكان يمضى مرتين في الاسبوع الى الدكتور الكسندر ماكينسى ، وهو الطبيب الذى يعنى بهازل منذ حدوثها ، وعرف كارتر منذ ان تزوج هازل وقد نصحه بتناول فيتامين من خلاصة الكبد ، وفيتامين سي لانه وجده على درجة كبيرة من الضعف ، وكان قد اصيب بنزلة من البرد في ديسمبر ، بعد مغادرته للسجن ، وقال الدكتور ان ضعفه ناتج من سوء التغذية ، وانه بعد شهر من تناوله هذه الفيتامينات سيزداد قوة وسمنة . وجد له رويشتة البانانود التي

استطاع الحصول عليها مستعينا بالورقة التي أعطاها له الدكتور كاسيني . وسأله الدكتور عن ألم ابهاميه فأجابه كارتر بأن الألم خف خلال السنوات الأربع الأخيرة ، ولكنه لا يزال يلح عليه بصورة مزعجة بحيث يمنع من النوم اذا لم يتناول مهدئا أو مسكنا .

سأله الدكتور ماكينسى :

— وهل تعرف زوجتك ان الألم بهذه الحدة . انها لم تقل لى شيئا من ذلك .

أجاب كارتر :

— اظن اننى لم اقل لها ان الألم بهذه الحدة . ولكنها تعرف اننى مازلت أتناول الأقراص .

— وهل تتناولها منذ مدة طويلة ؟

— منذ سنة تقريبا . تعاطيت قبل ذلك المورفين لمدة أربع سنوات .

قطب الدكتور ماكينسى حاجبيه ومط شفته السفلى وقال :

— رأيت الاعراض وانت تمسك الورقة فى يدك ، ورأيتها أيضا فى عينيك .

تسأل كارتر عندئذ لماذا لم يقل الدكتور ماكينسى شيئا عند زيارته الأولى ، حين وضع ورقتين على ظهر يديه بالتوازن ، او حين فحص عينيه مستعينا بضوء النور وقال :

— ولكننى لم أعد أعطاه .

— كم كنت تأخذ منه كل يوم ؟

— ثماني حبات تقريبا .. وأحيانا أقل .

وفكر : وأحيانا أكثر . كان يأخذ بقدر احتياجه . وكان يعرف ان الكمية اليومية لدمن المورفين اثنتا عشرة حبة يوميا .

— لا عجب اذن ان تظهر عليك بعض اعراض الادمان ، اذ كنت قد استمررت على تعاطيه طويلا .

— نعم ، ولكنها ليست اعراضا حادة . وقد حاولت التوقف مرارا كثيرة . كنت أتوقف شهرين من وقت لآخر . ولم اتعاط اي مورفين اطلاقا في السنة الأخيرة التي قضيتها في السجن .

ونظر الى الدكتور في عينيه فقال هذا الأخير : ولكن هناك افيون في اقراص البانانود ، وهو نفس الشيء .

— ولكن ليس له تأثير المورفين .

ابتسم الدكتور ماكينسي ابتسامة بعيدة عن المرح وقال :

— حاول ان لا تأخذ أكثر من اربعة اقراص يوميا .

ساعدته هازل ليالى كثيرة في نسخ الصفحات الثلاث التي يطلب فيها الالتحاق بوظيفة . كانت أسرع منه في الضرب على الآلة الكاتبة ، وكان لديه الآن خطاب التوصية الذي طلبه من دريكسل ، ويقول فيه هذا الأخير ان كارتر أنجز أعمالا ممتازة لشركة تريومف ، وإن التهمة التي سجن من أجلها لم تثبت عليه أبدا بصفة قاطعة . كان خطابا حريصا كتبه دريكسل كنوع من التوصية لأية شركة يحتمل ان تلحقه بالعمل لديها ، ولكن كارتر لم يطاوعه قلبه على استخدامه . وقالت هازل ان في مقدوره ان ينسخ منه خمسين نسخة وان يضم كلا منها الى كل طلب يرسله لطلب وظيفة ولكنه قال لها :

— ان هذا الخطاب غامض ومبهم ، ولكي اتكلم بصراحة

يبدو كما لو ان دريكسل يعتذر عما وقع لى وينفض يديه عن اية مسئولية .

تحولت هازل الى الالة الكاتبة وهى تقول :
- ولكنك لن تصل الى شىء بهذه الطريقة .

وكان منتصف الليل قد انقضى منذ وقت طويل واحس كلاهما بالتعب . لم يقل فى اكثر هذه الطلبات انه دخل السجن . كان قد ذكر ذلك فى طلباته الاولى ، وقال انه حكم عليه بالسجن بتهمة اختلاس هو براء منها ، قائلا لنفسه ان من يريد استخدامه لابد ان يستعلم عنه ويعرف كل شىء ، وان ذلك لن يكون فى صالحه بالطبع ، او اذا كان يؤمن بفاعلية نظام السجن فانه يمكن ان يقول لنفسه ان السنوات التى قضاها فى السجن قد محت فيه كل اثم وكل خطيئة او كل حافز اجرامى ، وانه احسن من غيره على كل حال . وكانت هازل تستهجن دائما اقل اشارة للسجن . وقال وهو يبتسم :

- كل مخدم يريد ان يعرف آخر وظيفة عمل بها من يتقدم للعمل لديه ، وشركة تريومف لها ثقلها . وكان ذلك منذ ست سنوات . . ماذا فعلت خلال السنوات الست الأخيرة ؟ . . حسنا ، كنت فى السجن . اذا لم اقل ذلك فى طلب الالتحاق فلابد لى من قوله عند استجوابى . واداهن ان كل الشركات الانشائية على علم بما حدث لى ، فكل شركة تحذر الأخرى . . حذار من فيليب كارتر .

- حسنا ، انا لا اقترح عليك اخفاء كل شىء وانما اقول ضم خطاب دريكسل فهو مهما يكن مخدمك الأخير .

- مسحقا لدريكسل .

وهذا ما وقع لدريكسل بالذات فى آخر يناير ، ولم يكن هناك

ثمة داع لكى يكتب المزيد فى صالح كارتر ، فقد اعتزل العمل ومات بالذبحه الصدرية فى بيته ، على مقربة من ناشفيل بتيسى .

وفى منتصف فبراير الحق كارتر نسخة من خطاب التوصية الى طلبات الالتحاق التى أرسلها الى الشركات .

قررت هازل الاحتفاظ بوظيفتها ، لا لأنها بحاجة الى المال ، ولكن لأنها تحب عملها . وقالت لكارتر ان لا يقلق فان اضاءة ستة اسابيع فى البحث عن وظيفة ليست بالشئ المهم .

وبذل كارتر جهده لكى يلعب مع تيمى فى غرفته بعد الظهر ، عندما لا يكون لديه اية واجبات . واخترع نموذجا لمضخة بترول باحدى لعب تيمى القديمة ، واعتقد ان ابنه احبها لأنه لم يفكها بعد اسبوع ، كما يفعل عادة مع لعبه الأخرى . واستمر تيمى متمسكا معه بالشكليات ومتباعدا . وفاجاه كارتر مرارا كثيرة وهو يحدق النظر الى ابهاميه وليس الى اللعب التى يمسكها او التى يحدثه عنها . وأدرك ان هازل حدثته عنهما لأنها كتبت له بذلك ولكن حيث انه مرت سنوات على ذلك فقد نسي كارتر الأمر وسألها فأجابته :

— قلت له انه وقعت لك حادثة فى السجن .

قال كارتر :

— لن يلبث ان يخمن الحقيقة . انه يكبر ، والأجدر ان تقولى له ذلك الآن .

— لماذا يا حبيبى ؟ .. دع عنك ذلك ولا تفكر فى هذا الأمر .

— انه ليس غبيا ، وسوف يخمن الحقيقة .

تنهدت هازل وقالت فى عصبية :

— حبيبى .. أرجوك . لا تقل له ذلك .

كانت تمشط شعرها أمام المراة ، وكانا يوشكان على النوم .
وادر كارتو انه تكلم بلهجة مريرة وندم على ذلك . سيستلقيان
فوق الفراش بعد خمس دقائق ، ولن تكون هازل الليلة نفس
هازل التى يعرفها . كانت عندما تنام كل ليلة بين ذراعيه تعطيه
الاحساس بأنه أهم شىء فى حياتها وانها تعبده . وكان هذا
يبقيه حيا كنبضات قلبه بالذات ، ولكن الأمر لن يكون كذلك
الليلة لأن المراة التى لمستها فى صوته لم ترق لها .

انحنى نحوها ، وطوقها بذراعه وقال :

— انك على حق .. معذرة يا حبيبتى ، لن أقول له .

بعد ذلك بأسبوع تقريبا ، رأى كارتر جريجورى جاويل واقفا فوق الرصيف ، على بعد بضعة بيوت من بيته ، وكان ظاهرا انه ينتظره رغم انه أكد له العكس ، وقد بادره قائلا :

- أهلا فيل .. يا لها من مفاجأة سعيدة .

وقال انه كان يمر بالشارع صدفة وأردف :

- هل تقيم هنا ؟

- نعم .

أدرك كارتر انه عرف عنوانه من دليل التليفون طبعا .

- مر وقت طويل لم ير كل منا الآخر .. متى خرجت ؟

- اوه ، منذ ثلاثة او اربعة شهور .

غيرت السنون جاويل ، ولكن ليس الى الأحسن ، فقد رآه كارتر أكثر بدانة وغلظة ، ولكن ثيابه كانت تدل على انه لا يزال يعيش في رخاء . وربت على كتف كارتر وقال :

- هل نتناول كأسا ؟ .. او فنجانا من القهوة ؟ .. اذا

كان الوقت لا يزال مبكرا للشراب .

قال كارتر وهو يلوح ببعض الخطابات في يده :

— كنت ذاهبا الى مكتب البريد .

— سأرافقك . . ألم تشتغل بعد ؟

اجاب كارتر :

— كلا .

— ربما أستطيع أن أجد لك عملا .

اكتفى كارتر بأن غمغم في حرص ، فعاد جاويل يقول :

— أنا لا أمزح يا فيل ، فأحدى الشركات التى نتعامل معها تبحث عن مهندس ، وأستطيع أن أستفسر عن المرتب الذى . . .

— ليست بى أية رغبة فى العمل فى لونغ ايسلاند .

— أه .

لم يكن كارتر بحاجة الى المضى الى مكتب البريد لأنه سبق أن الصق بخطاباته الطوايع اللازمة . ولكن بما أنه زعم أنه ذاهب الى المكتب فقد اشترى بضعة طوايع من أحد الشبايك . وراح جاويل يتسكع خلفه . وقال كارتر أخيرا :

— حسنا يا جريج . يجب أن أمضى .

— أوه ، لن تفقد شيئا اذا بقيت معى خمس دقائق ، ريثما نتناول فنجانا من القهوة . ان لدى شيئا أعتقد أنه يهمك سماعه .

لم ترق لكارتر فكرة البقاء معه فى أى مكان . ولكن الفضول استبد به وأثر أن يعرف ما يدور فى ذهن جاويل فقال :

— حسنا . لا بأس .

ومضيا الى بار فى الشارع الثالث والعشرين . وطلب كارتر

قدحا من البيرة ، أما جاويل فقد طلب كاسا من الويسكى ، وقال
وهو يدعك انفه الضخم بأصبعه :

— اظن انك مازلت ترى دافيد سوليفان كثيرا ؟

— ليس كثيرا .

— هذا الوغد .. اذا استمر يدس انفه في كل شيء فسوف
يلقى حتفه ذات يوم . انه اقلت بجلده حتى الآن ، ولكنه لن يفلت
الى الأبد ..

وتلعلل جاويل في مقعده وهو يغلى من الغضب ، وقال
كما لو كان يحدث نفسه :

— انه يحشر انفه في أعمالى .

وضحك ضحكة قصيرة ، ونظر الى كارتر وقال :

— هل تعرف قيم افاده ذلك ؟ .. فى لاشيء . لم يستطع
ان يشب شيئا ضدى ، رغم محاولاته ، وقد حاول الكثير .

راح كارتر يحتسى البيرة فى جرعات صغيرة ، فى حين صاد
جاويل يقول :

— اننى لا اطبق تظاهره بانه يريد مساعدتك فى حين انه يدور
حول زوجتك فى الواقع . ولست افهم كيف تطيقه انت .. لست
افهم كيف تطيق رؤية هذا الرجل ومخاطبته .

ونظر الى كارتر فى غضب فقال هذا الأخير :

— دعك من هذا يا جريج .

— ولكنك لاتزال تراه .. اليس كذلك ؟ يا الهى ! انه لاحق
زوجتك حتى نيويورك .

وتملل في مقعده للمرة الثانية وأردف :

- اننى لا ألوم زوجتك .. فان المرأة تشعر بالوحدة أحيانا ، وقد يشعر الرجل بها هو الآخر ، ولكن في حالة سوليفان فهو رجل مخادع .

ما كان كارتر ليتورع من أن يصفعه ، ولكنه قال :

- هلا كفت عن الحديث عن زوجتى ؟

- حسن . ولكن سوليفان كان عشيقها أربع سنوات ،

ولا اظن انك تعرف ذلك . ولكن لابد لك أن تعرف .

- ليس هذا صحيحا .

انحنى جاويل فوق المنضدة وربت بأصبعه فوقها وقال :

- بل هذا صحيح . استيقظ يا فيل .. هل زوجتك ..
لعلها لا تريد أن تقول لك ذلك وهذا طبيعى . وسوليفان لن يقول لك شيئا هو الآخر ، بل سوف يؤكد انه خير صديق لك في هذه الدنيا ، وأى صديق !

احس كارتر بقلبه تتسارع دقاته وقال :

- اهلا هو الموضوع المهم الذى أردت أن تحدثنى عنه ؟

- صراحة ، نعم . اننى اكره ان أبى رجلا يستغل ،
وسوليفان يستغلك . انه يتظاهر بأنه صديقك في حين ان كل
الأسباب تدفعك الى أن تكيل له الضرب حتى يموت .

خائنه المرارة التى شابت صوته ، فقد كان لايمكن أن يكون
سببها أن هازل عشيقة سوليفان أو أن سوليفان صديق مخادع ،
وانما لأنها تسببت في الحاق الأذى به هو بالذات . وقال كارتر :

— افهم انك لا تحب سوليفان كثيرا لأنه كان السبب في ضياع بعض الأعمال منك . اليس كذلك ؟

— آه . انه حاول فحسب . انه تسبب في بعض الضرر وهذا كل شيء .

ابتسم كارتر ابتسامة خفيفة لم ترق لجاويل ، وقال :

— حسنا يا جريج . يجب أن أنصرف الآن . . شكرا لليرة .

— متى أراك ؟ اسمع يا فيل .

وقطب جبينه ، ووقف وأمسك بذراع كارتر وقال :

— هل تظن أنني أذكر لك أكاذيب عن سوليفان ؟ . . وعن زوجتك ؟ . . ربما تظن أنني أبالغ . . طوال الوقت الذي كانت تتلقى فيه دروسا في لونغ ايسلاند كانت تمضي مباشرة الى بيت سوليفان بعد فراغها من دراستها . كنت قد كلفت رجلين بمراقبة سوليفان ، تماما كما فعل هو معي . وأعرف كيف كان يتم ذلك . كان مع زوجتك مفتاح مسكنه ، وكانت تمضي اليه وتنصرف قبيل الساعة السادسة لكي تعود وتعد طعام العشاء للصبي ، دون شك .

وهر جاويل رأسه في اشمزاز ، ثم شدد الضغط على كم كارتر وقال :

— وأستطيع أن أقول لك شيئا آخر أيضا .

قال كارتر :

— هيا يا جريج . . هلم بنا . لنخرج .

وانتزع ذراعه من يده وبدأ يبتعد . وقال جاويل وهو يتبعه :

— ولكن ذلك مازال مستمرا .

أسرع كارتير في خطاه . وعندما ردد البصر حوله أخيرا لكي يرى أين هو ، اكتشف أنه مشى حتى الحى الشرقى فاستدار لكي يعود الى بيته وهو يحدث نفسه ويقول :

— كل هذا ما هو الا كلب وافتراء ولا يجوز حتى على طفل .

كان يوم ١٤ فبراير عيد ميلاد هازل ، وقد دعاها سوليفان لتناول كأس في بيته على أن يذهبوا بعد ذلك الى مطعم ياباني ، مع ثمانية أو عشرة من الأصدقاء . وغادر كارتر البيت في ذلك اليوم بعد هازل وتيمى بقليل ، متعجلا الذهاب للمجئ بهدية هازل ، وهي عبارة عن فرشاة ومشط ومرآة في إطار فضي وآها في أحد محال التحف بالشارع الخامس ، اكتشفها قبل ذلك بأسبوع ، بعد أن جاب المدينة كلها بحثا عما يريد . وقد قيل له ان من الممكن حفر الحروف الأولى من اسمها قبل اليوم الرابع عشر ، وبلغ المحل في منتصف الساعة العاشرة صباحا متوقعا ان يقال له أن يمر بعد الظهر ، ولكنه وجد الهدية معدة والحروف محفورة عليها ، ووضعها البائع في علبة بيضاء وغلفها بعناية ، وعقد فوقها شريطا أحمر ، ثم وضعها في كيس من الورق الأبيض . وغادر كارتر المحل وتسكع في الشارع الخامس ، واشترى دستتين من الزهور الحمراء ثم عاد الى بيته .

وجد في انتظاره بعض الرسائل ، بينها رسالتان جديدتان ، أحدهما من شركة تريب الصناعية ، وداعبه الأمل وهو يفضها ولكن الأمل لم يلبث ان تبخر ، فقد قالت الرسالة ان الوظيفة التي كانت خالية شغلت قبل تلقى طلبه ، وعرض كارتر شفثيه خزيا .

اتصلت هازل تليفونيا بعد الظهر وقالت ان القطار الذى كان يجب ان تستقله فى الساعة الرابعة والدقيقة العشرين سيتأخر عن مواعده ساعة ، وانها نتيجة لذلك لن يسعفها الوقت لى تعود لاستبدال ثيابها قبل الذهاب الى مسكن سوليفان ، وطلبت منه ان يأتيا بثوب أسود حددته له وقالت انها سترتديه فى بيت سوليفان .

— سامضى لاستبداله فى غرفة أخرى ، فلا أستطيع حضور الحفلة بالجونة والبلوزة .

— حسنا يا هازل . سأتيك به .

— والاشارب الأصفر ، وهو اشارب طويل يبدو كالعباءة . لا أدري ان كنت تعرفه . انه اشارب أصفر فاقع ، ستجده فى الدرج الثالث من الصوان .

وقالت ان الطفلين اللذين تنتظرهما فى طريقهما ، وانها لا تستطيع ان تطلب من أحد آخر فى المكتب استقباليهما .

علق الثوب الذى طلبته فى علاقة بجوار الباب لى يتأكد انه لن ينساه ، ثم راح يبحث عن الاشارب . وكان الدرج مملوءا بثياب داخلية رقيقة ، وجوارب ، واشاربات كثيرة مطوية كلها بعناية كبيرة . وفيما هو يبحث عن الاشارب الأصفر لمست يده شيئا صلبا ، ولم يكن غير الرسائل التى أرسلها اليها وهو فى السجن ، وكلها من ورق سميك شبه مطوى طيتين ثم ثلاث لى يمكن ادخالها فى المظاريف الشفافة الخاصة بالسجن . جمعتها هازل فى بضع مجموعات ، كل منها من ثلاثين خطابا يضمها الى بعضها شريط من المطاط . وضعها كارتير فوق بعضها وكان ارتفاعها نحو ستين سنتيمترا وبدأت كأنها رواية كبيرة من عدة أجزاء . كانت تضم وله وحنينه طوال الوقت الذى قضاه فى السجن والذى غيره كل هذا التغير . ونظر الى صورته هو وهازل ، فى ثيابهما

التنكرية ، نظر اليها بحدة ثم أطبق عينيه وتحول عنها ومعه
الإشارب .

لم يشعر بالارتياح وهو ماض الى مسكن سوليفان . كان قد
حلق ذقنه واعتنى بشيابه ليرضى هازل ، فارتدى بذلته الجديدة
ورباط العنق ذا الخطوط الحمراء الذي تحبه ، وقميصا أبيض
وحذاء أسود . كان كل ما عليه جديدا تقريبا ، وكان قد وضع
الثوب والإشارب في الكيس الأبيض الذي يضم هديته ، وأحس
تيمى هو الآخر بالخيبة عندما عاد في منتصف الخامسة وعلم أن
أمه لن تعود الى البيت . وحاول كارتير أن يسرى عنه فقال له
أنه سيوقظه عندما يعود هو وأمّه ، وأنهم سيحتفلون معا . وكان
تيمى قد اشترى لأمه قميصا أبيض مطرزا ، ورأى كارتير أنه هدية
مرتفعة الثمن بالنسبة لغلام مصروفة لا يتجاوز ثلاثة دولارات يوميا
ويعبد الجيلاتى ، وكان قد عرض عليه عشرة دولارات منذ بضعة
أيام ولكن الغلام رفضها ، فقد اشترى الهدية قبل ذلك . ومضى
تيمى الى غرفته بوقار ، وصاد بهديته لأمه ملفوفة ووضعها بجوار
هدية أبيه والزهور ، وكان المفروض أن يمضى لتناول العشاء
وقضاء السهرة في بيت صديقه رالف أندروود .

استقبله سوليفان بالباب ، وتناهى اليه أصوات حديث
دائر في غرفة المعيشة ، وقال له سوليفان :

— أهلا .. ها قد عادت الأناقة تظهر من جديد .. ادخل .
أين هازل ؟

أخبره كارتير عن سبب تأخرها . وأخذ سوليفان منه الكيس ،
ومضى به الى غرفة النوم . وعلق كارتير معطفه بها ثم مضى الى
غرفة المعيشة ، وحيا الأربعة أو الخمسة أشخاص الذين يعرفهم .
كان هناك آل اليوت ، وجيريمى سوتر وزوجته سوزان . وقدمه

هؤلاء الى الآخرين ، ولم يكن يعرف احدا منهم . ولكنه كان واعيا بأن الجميع ينظرون اليه على انه خرج من السجن حديثا . ورغم ان هازل ودافيد كانا قد قالا له ذات يوم ان الناس الذين سيلتقى بهم الآن لا حاجة بهم الى معرفة أى شيء فان الأمور لم تقع بهذه الطريقة ، فقد انتشر النبأ على كل حال .

كانت هذه ثالث مرة في تلك السنة يرى فيها سوليفان . كان يعرف ان هازل لم تعتمد دعوته ، وانها لم تقبل دعوة سوليفان التي وجهها اليها تليفونيا بمكتبها بالتاكيد لانها تعرف انه لا يريد الاكثار من رؤيته . وذلك الفتور في حياتهما الاجتماعية لم يحدث أى تأثير لدى سوليفان في المرات القليلة التي التقوا فيها ، وكان واثقا من نفسه الليلة ، ومبتسما ، يتنقل بين مدعويه في يسر وهدوء ، ويحرص على ان يتناولوا الشراب والطعام وهو لا يزال ساخنا . وكان يبدو انه مفرم بالرخام اليوناني ، فقد كان هنا وهناك ، على رفوف الكتب رأس من الرخام أو قدم أو فؤة أو قطعة خزفية يونانية ، وقال انه اشتراها اثناء رحلة له في اليونان . وكانت الأرض مفروشة بسجاجيد شرقية .

وقال يسأل كارتر :

— ما اخبار العمل ؟

اجاب كارتر في غير اكتراث :

— لم اجد شيئا بعد .

— وباتر وورث لم يعد حتى الآن . . وقد سألت عنه

امس .

كان باتر وورث يعمل في شركة هندسية سمع كارتر عنها :

شركة جنكنز وفيلد ، وكان في رحلة عمل بكاليفورنيا . وكان

سوليفان قد قال له أكثر من مرة ان في مقدور باتر وورث ان يلحقه بالعمل في تلك الشركة . ولكن بما ان باتر وورث لم يتواجد ابدا فقد انتهى الأمر بكارتر الى الاحساس بأنه غير موجود أصلا .

أحس كارتر بالارتياح عندما أقبلت هازل . ألقت التحية على جميع الموجودين ، وتعرفت بالذين تراهم لأول مرة ، بطريقتها المرححة الرقيقة ، من غير ان تصر على ان تمضي أولا لاستبدال ثيابها كما تفعل أكثر النساء ، كما يعتقد كارتر . ولاحظ السرور الذي بدا على الرجال الذين يرونها لأول مرة ، وراهم يكادون ان يشبوا من مقاعدهم ويتخلوا عن وقارهم لأنها تمتاز بجمال أخاذ . وعندما وصلت بجوار كارتر كان يبتسم ، وكانت ابتسامة حقيقية . أول ابتسامة له اليوم .

— عيد ميلاد سعيد يا حبيبتي .. كيف حالك ؟

— مرهقة جدا . ولكننى سأكون أحسن بعد ان استبدل ثيابى . وتيمى ؟ هل هو بخير ؟

أوما كارتر بالإيجاب وقد تملكه الانفعال ، تماما كالرجال الذين يرونها لأول مرة ، ثم اختفت . وتبعها سوليفان . وجرع كارتر كأسه الثانية .

وعندما عاد سوليفان ، بعد دقيقتين تقريبا ، استندى كارتر وقال له في صوت خافت :

— لدى اليوم أخبار من مصدر موثوق به . عاد جاويل الى الشمال ، وهو يعمل ، أو على صلة بأحدى شركات صناعة المواسير في لونج آيسلاند ، ورئيسه في العمل رجل يدعى جراسو ، يملك فيها بعض العمارات .. نوعا من الأكواخ . وملاك الأكواخ لهم أعمال أخرى الى جانب أملاكهم كما لعلك تعرف .

أحس كارتير بالدم يجري في عروقه بسرعة عندما سمع اسم جاويل . ولكنه لم يلبث أن تمالك وعاد إليه هدوءه ، وقال وهو يهز كتفيه ويحتسى جرعة من كأسه :

— حسنا .

— انه يعرف انك غادرت السجن ، ولا يدهشنى أن يحاول الاتصال بك .

— ولماذا يفعل ؟

— لا أدري . ولكن خطر لى أن أحذرك ، ولا أعتقد انك تريد أن تراه .

— كلا . لا أريد ذلك .

واقبلت هازل في هذه اللحظة ، فتحول الرجلان إليها .

ود كارتير أن يبقى بجوارها طوال حفلة الكوكتيل ، ولكنه اضطر أن يشترك في الحديث مع الآخرين . أما سوليفان فبقى مع هازل أو بقيت هي معه . كان من الصعب معرفة ذلك . رأى أن الارتياح التام يبدو على كل منهما ، كما لو أنهما قضيا كل الوقت معا أثناء وجوده في السجن ، وأدرك فجأة أنه قضى معها سبع سنوات قبل أن يدخل السجن مقابل ست سنوات قضتها مع سوليفان . وكان هذا الأخير يعتمد على ذراع المقعد الذى تجلس هي عليه ، يصغى إليها ويهز رأسه في هدوء من وقت لآخر . وكانت هازل ترفع عينها إليه وتلقى إليه نظرة خاطفة تبدو لكارتير أكثر ودا والفة بحيث كان من الواضح أنهما ناما معا كثيرا . قرر أن يسألها الليلة بكل بساطة إذا كانت شاركت سوليفان الفراش ، ولكنه لم يلبث أن أدرك أنه واقع تحت تأثير الشراب وأنه لا يجب أن يلقي عليها مثل هذا السؤال في عيد

ميلادها ، ولا فى أى يوم آخر . . لم يشك فى أن هازل تحبه ، ولكنه لم يشك كذلك فى أن سوليفان يحبها .

وفى المطعم اليابانى تناولوا شراب الساكى الساخن ، وكانوا يجلسون فوق وسائد حول منضدة طويلة منخفضة . ووجد كارتر نفسه مرة أخرى منفصلا عن هازل ، وأنها تجلس بجوار سوليفان ، يضحك من سويداء قلبه ويلمس كتف هازل ، ويضغط عليه قبل أن يتركه ، وتساءل إذا كان سوليفان اتى بحماقة فى حياته أو إذا كان تصرف تصرفا ندم عليه فيما بعد . وفجأة تذكر عمه وعمته وهما يعنفانه ويخرجانه وهو فى الرابعة عشرة من عمره تقريبا ويقولان له انه لا يجب أن يدع الأشياء تفلت من بين يديه ، فقد تخلى ذات مرة عن مضرب تنس وأعاره لأحد زملائه فى المدرسة ولم يردده هذا الأخير اليه . ومرة أخرى عن معطفه ، وثالثة عن اسموكنج وهو فى الكلية . كلا . انه لم يكن عمليا أبدا ولا منظما كسوليفان . ثم هذا الإهمال الشنيع الأخير : توقيعه على إيصالات بالمر التى تسببت فى سجنه ست سنوات . أن من الغباء أن يثق بالناس الى هذا الحد . ما كان سوليفان ليضع نفسه فى مثل هذا الموقف أبدا ، فانه يتمتع بعقل رجل قانون . لا تقدم على عمل دون أن تطمئن الى عواقبه . وخيل لكارتر فجأة كأن رصاصة أصابته فى الصميم ، لأنه وثق كل الثقة بهازل وسوليفان وانه غيبى تماما ، أكثر غباء مما كان عندما أخطأ مع والاس بالمر .

نظرت هازل اليه فجأة وسألته :

— فىل . . هل أنت بخير ؟

ولا ريب أن وجهه قد اصطبغ ، وأحس بذلك عندما شعر بسخونة وجهه ، ودعك جبينه بكفه فى عصبية وقال :

— نعم . . . أنا بخير .

كره سوليفان لأنه كان ينظر إليه هو الآخر . وبحث عن
أكوب ماء فوق المائدة ولم يجد . ولكن هازل كانت قد حولت
وجهها عنه فاحتسى شرابه من الساكى .

وسألها فى المساء عندما عادا الى البيت :
— ماذا قدم لك دافيد ؟

كانت هازل تمسك الكيس الأبيض الذى وضعت فيه
ثيابها ، وكان يبدو ثقيلًا . وقد أدرك كارتر ذلك وهو يحمله من
السيارة الى المسكن . وقالت :

— كتابا كنت أريده . . كتاب لأوبرى مينن عن روما .
لم اتصفحه بعد .

وكان كارتر قد تصور أن هدية سوليفان يجب أن تكون
شيئا أكثر خصوصية من كتاب . واستيقظ تيمى وأقبل بالبيجاما،
وطوق عنق هازل بذراعيه قائلا :

عيد ميلاد سعيد يا أماه .

قالت وهى تنظر الى الهدايا والزهور فوق الطاولة :

— شكرا يا حبيبى . يا الهى ! كأننا فى عيد الميلاد . من
منكما يجب أن أشكره .

ابتسم كارتر لابنه وقال :

— كلانا .

أحبت هازل الفرشاة والمشط والمرآة ، وراقت لها الحروف
الأولى من اسمها . وكان كارتر قد أهداها بعض الحلوى والصابون
والمناديل . وتناولوا كأسا من الويسكى وهى تفتح هداياها ،
واخذ تيمى كوبا من اللبن بالشيكولاته .

لم يستطع أن ينام تلك الليلة . كان الويسكى الذى شربه كالبنزين ، وآلمه ابهاماه ، وتمنى حقنة من المورفين . ونهض فى نحو الساعة الثالثة صباحا ، فى هدوء ، ومضى الى الحمام لكى يتناول قرصا من البنانود ثم عاد الى الفراش فى الظلام .

وقالت هازل :

— الا تستطيع النوم يا حبيبى ؟

بدا كل شىء فجأة لكارتير غير حقيقى . صوت هازل فى الظلام ، والغرفة التى يرقدان فيها ، والأمسية كلها طبعما ، وسوليفان ، وماكس ، ومع ذلك فان ماكس بدا أكثر وضوحا وأكثر حيوية من الآخرين ، بها فيهم هو نفسه . وأجاب كيفما اتفق ، كما لو أنه يرد على سؤال فى منام :

— كلا .

— أضىء النور .

أضاء النور ، وطرقت عيناه . ومع ذلك لم يتبدد احساس الوهم .

— اجلس يا حبيبى ... ماذا بك ؟

جلس فوق حافة الفراش وقال :

— انه سوليفان .

— اوه يا حبيبى !

واطبقت عينيها وعبست ، ثم حولت رأسها عنه لحظة وقالت :

— فيل ، اذا كنت لا تستريح اليه فلا حاجة بنا لأن نراه بعد اليوم .

بدأ له من صوتها كان ذلك سيكون تضحية كبيرة منها ،
وانها ستقدم عليها مرغمة ، فقال في غير رفق كما كان ينوى :
- كلا . لا أريد أن تفعل ذلك .

ورأى في عينيها عندئذ نظرة حذر وتحد ، وقالت :
- اذن .. اظن انه قد آن الوقت لكى تكف عن الشجار
كما فعلت الليلة .
- لم أعلم اننى تشاجرت .

- خيل لى انك على وشك ان تنفجر فى المطعم ، عندما لمس
سوليفان كتفى مرة . لاحظ الجميع ذلك ، وبدأ عليك أنك
تمقتنى .

- هذا كذب ، فلا اظن ان الجميع لاحظوا ذلك .
- ولم تودعه تقريبا ، وهذا ليس بجميل خاصة وانه
استضافنا وعزمننا على العشاء فى الخارج تكريما لى .
قال وهو يتذكر انه لم يشكره :

- ولكننى ودعته .
- وأظن انك تصرفت كالطفل .
نهض فجأة والغضب يعصف به وقال :
- بل اظن انا انك لم تتصرفى كزوجة .
جلست هازل فوق الفراش وقالت :

- ماذا تعنى بالذات ؟
أسرع يقول :

— اود ان اعرف شيئاً واحداً .. اكانت لك به علاقة وأنا
في السجن ؟

— كلا . اغلق الباب ، قلا اريد ان يسمع تيمى هذا
الحديث الشيق .

اغلق الباب وقال :

— اظن انك كنت على علاقة به ، ولهذا اسال .

قالت :

— هذا سخف .

ولكنه رآها تضطرب وتراجع فقال :

— هو ذلك اذن .

اطلقت تنهيدة طويلة ، ثم اخذت سيجارة ، وارتعشت يدها
وهي تشدد الضغط عليها ، وقالت من غير ان تنظر اليه :

— اظن انك لن تضار اذا عرفت انه كانت لى به علاقة لم
تستمر اكثر من ثلاثة اسابيع ، او اذا اردت الدقة اسبوعين
واربعة ايام .

شعر كارتير بانفاسه تضيق وقال :

— متى ؟

— منذ اربع سنوات .. بل اكثر من ذلك .. بعد رفض
اعادة نظر القضية بأسابيع قليلة .

وأردفت تقول وهي تنظر اليه :

— كنت تعسة جداً في ذلك الوقت ، ولم أعرف ماذا افعل

بحياتي .. أو ماذا ستكون حياتك أنت ، وأحببت دافيد نوعا ما . ولكن تلك العلاقة لم تسعدني ، وازدادت تعاستي ، وأحسست بالخجل من نفسي فقطعتها . بل انني لم استطع ان أرى دافيد بعد ذلك .. طوال شهرين .

وقف جامد الحركة وهو لا يزال يجد صعوبة في التنفس وقال :
- عرفت الآن على الأقل .

- نعم ، وتعرف انني نادمة على ذلك ، وان الأمر لن يتكرر ثانية .

- ولم لا ؟ .. ماذا تعنين ؟

- اذا ظننت انني استطيع فذلك أنك لا تفهم ..

ولا تفهمي .

فقال :

- بل بدأت أفهمك .. لماذا لن يتكرر ذلك ؟

لم تنطق ، واكتفت بأن راحت تنظر اليه .

- قلت أنك أحببته .. أما زلت تحبينه ؟

- ألسنت معك الآن ؟

- نعم . ولكن لو انني لست هنا .. لو انني لا أعترض طريقك .

- أوه يا فيل .

- ألقيت عليك سؤالا .. لو انني لست هنا ؟

- ما دمت تسأل فنعم .. لو أنك لست هنا .. لو أنك

مت في السجن مثل صديقك ماكس ، فنعم . كنت أتزوج دافيد دون شك ، ثم ان تيمى يحبه هو الآخر . ان من السهل ان يعيش معه من ان يعيش معك بعد ان أصبحت ما أصبحت .

خلع كارتر جاكته بيجامته ، ثم فك رباط البنطلون وهو
ينظر الى صورته المعلقة ، يداخله شعور بأنها تتمزق . وقالت
هازل في قلق :

— أين تمضي ؟

— سأتمشي .

— في الساعة الرابعة صباحا ؟ .. فيل ، لن تقدم على
حماقة وتذهب لرؤية فيل مثلا ؟

— سأتمشي يا هازل .. اننى بحاجة الى ذلك .

واسرع بارتداء ثيابه . وجمع اطراف قميصه ولم يزرره .
وخرج من الغرفة . وترك الباب مفتوحا ، واخذ معطفه من
الدولاب ، بجوار الباب ، في الظلام ، ثم فتح باب الشقة وخرج .
وهم بأن يغلقه ولكنه لم يلبث ان عدل عن ذلك مدفوعا بايعاز
غامض . كان الأمر كأن جزءا من حلم بفيض يتحقق ، فقد سمع
قرص التليفون يدار . كانت هازل تدير رقم سوليفان .. الكى
تحلره ؟ أم لتجاذب معه حديثا تجد فيه بعض العزاء ؟ كان
في مقدوره البقاء في الظلام ، وسماع ما يقال ، أو سماع جزء
من الحديث على الأقل ، ولكنه لم يفعل ، فقد خمن بطريقة
ما ما سوف يدور فأغلق الباب وهبط السلم . لم يكن هناك
ما يفعله ، في تلك الليلة غير المشى .

ومشى حتى بزغ الفجر . واصابه ذلك بخير كبير .. المشى
ورؤية طلوع النهار . ود لو يقول لهازل :

— يسرنى أنك أخبرتنى ، ولا حاجة بنا الى طرق هذا
الموضوع ثانية ، فيما يتعلق بى .. أو شيئا من هذا القبيل ..
أو لعل من الأوفق أن لا ينطق بشيء على الإطلاق .

بعد بضعة أيام من ذلك : وجد كارتر رسالة من جاويل في صندوق خطابات ، وكان قد هبط ليشتري بضعة أشياء كتبت له هازل بها قائمة . ولكنه صعد ثانية لى يقرأ الرسالة ، وهذا نصها :

عزيزى فيل :

أريد أن أفرغ مما بدأت ذكره لك . اننى كلفت بعض رجالى بمراقبة مسكن سوليفان بالشارع الثالث والخمسين ، واظنك تعرف ان زوجتك كانت تعيش معه فى ذلك المسكن دون موارد . . اننى اتحدث عن السنوات الأربع التى تلت ذلك ، ولا بد ان ابنك نفسه يعرف ذلك فالأطفال ليسوا بأغبياء . أحسست فى ذلك اليوم انك لم تصدق شيئاً مما ذكرته لك فى هذا الصدد ، وانك تفكر فى كل المشاكل التى سببها سوليفان لى . ولكن لعلك لاتعرف ان زوجتك ذهبت مرتين ، وربما أكثر . غير اننا رايناها مرتين ، فى مسكن سوليفان فى الشهر الماضى . هل تظن اننى كنت اكتب لك كل هذا لو لم يكن صحيحاً . هل قالت لك زوجتك انها رأت سوليفان مرتين فى الشهر الماضى . اراهن انها لم تقل لك ذلك . فهو لا يزال يخدعها ويزعم انه سيجد

لك وظيفة لا لشيء الا امتنانا لما تمنحه اياه من
متعة . ان الامر مازال مستمرا ، فاستيقظ يا فيل .
اعتقد انك تريد براهين ؟ حسنا . لدى مذكرات
رجالي وتسجيلاتهم . . احاديث دارت بين سوليفان
وزوجتك . ولم تكن تلك الاحاديث لتثير اهتمامي ،
ولكنها جاءت من نفسها ، وبعضها دار منذ ستة
شهور ، والبعض الآخر قبل ذلك ، ويمكنك ان تسمعها
اذا اردت . ويمكنني ، اذا اردت ايضا ان اصدر
امرا الى رجالي لكي يلتقطوا صورة لزوجتك وهي تدخل
بيت سوليفان . لا احب ان يعتقد احد انني كاذب .
وعنواني مذكور في اعلى الصفحة ، اذا اردت الاتصال
بي . ولك تحياتي .

جريج

احد رجالي ؟ . . كما لو ان لجاول موظفين يدفع لهم
اجورهم . ان له جنون العظمة . والقي كارتر نظرة اخيرة الى
العنوان والى رقم البيت ورقم التليفون ، ثم مزق الرسالة
والقاها في سلة القمامة ، بين قشور البرتقال وبقايا طعام
الافطار .

اتصل به دافيد سوليفان في نحو الساعة الثالثة من بعد
ظهر ذلك اليوم ، لكي يقول له ان صديقه باتر وورث عاد الى
نيويورك ، وان عليه ان يتصل به لكي يطلب موعدا لمقابلته .
ثم اردف يقول :

— وهناك شيء آخر اود ان اطلعك عليه يا فيل . لديك

ما يشغلك في نحو الساعة السادسة ؟

— ابدا يا دافيد . هل تريد ان تمر بي ؟

— بل اوثر ان القاك وحدك . . ايضايفك ان تمر بي انت ؟

أجابه كارتر بأنه قادم . وبعد أن أعاد السماعه مكانها أحس بعدم الارتياح ، فهل سيستمع الى اعتراف آخر . . اعتراف بعلاقة ربما استمرت أربعة أعوام . ويحث في دليل التليفون وعشر على رقم شركة جنسكنز وفيلد ، وطلب محادثة مستر باتر وورث .

وبدا هذا الأخير في آخر الخط رقيقا مجاملا ، وتواعدا على اللقاء في العاشرة من صباح يوم الجمعة .

كانت هازل تعود عادة قبيل السادسة . وقال كارتر لتيمة ان يخبرها بأنه ذاهب الى دافيد وأنه سيعود بعد الساعة بقليل فسأله تيمى :

— ألن تذهب ماما معك ؟

— كلا . يريد دافيد ان يحدثنى عن شيء . . عن وظيفة . . اخبر أمك بهذا .

— هل تستطيع المجيء معك ؟

كان كارتر قد بلغ الباب ، فتحول . . ألمته هذه الرغبة التى أبدأها الغلام ، وادرك ان تيمى يحب سوليفان كثيرا .

— لماذا يا تيمى ؟ . . لن يروق لك هذا ، فلن نتكلم الا فى العمل .

توسل تيمى قائلا :

— ولكنها مجرد ساعة .

— كلا يا تيمى . . اننى آسف . ان الأمر يتعلق بالعمل ، ويجب ان امضى الآن ، والا تأخرت .

استقل كارتر سيارة أجرة حتى بيت سوليفان . وفتح له هذا الأخير الباب ، واخذ منه معطفه ، وسأله ان كان يريد ان يتناول شيئا .

- نعم ، وشكرا .. شراب خفيف اذا سمحت .
مضى سوليفان الى البار المتحرك ، في ركن من غرفة المعيشة ،
ووقف كارتر ينظر اليه . وقال سوليفان وهو يناوله كأسا .
وكان قد اعد لنفسه كأسا هو ايضا : جاءتنى مكالمة من
جاويل .. مكالمة بغيضة .. قال لى انه تحدث معك .
ونظر سوليفان اليه وهو في شدة التوتر ، وقد اصفر لونه .
- نعم ، وكان حديثا بغيضا هو الآخر .
- قال لى ذلك . اسمع يا فيل . (وامسك وراح يحدق في
المدفأة كما لو كان يحاول ان يجمع شتات افكاره او شجاعته
ثم اردف :
- كلمتنى هازل في وقت متأخر من مساء يوم الاثنين .. يوم
عيد ميلادها . كانت شديدة الانفعال . قالت لى انها اخبرتك
بكل شيء .. فيما يتعلق بنا .
- انها قالت لك الحقيقة ، وانا آسف يا فيل .
- نعم . هذا صحيح .
- انها قالت لك الحقيقة ، وانا آسف يا فيل .
- اوه ، لقد انتهى الأمر .. انتهى . وأظن ان هازل يمكنها
ان تنسى ذلك هي ايضا . وكذلك نحن .
قال سوليفان في لهجة الجد :
- انا واثق انك تستطيع . ولكننى اعتقد ان جاويل قال
لك شيئا آخر .. وهو ان علاقتنا استمرت اربع سنوات .
- نعم .
- هذا غير صحيح .
اكتفى كارتر بأن نظر اليه . ولكن سوليفان كان يتوقع منه
ان يقول شيئا .. كان يقول انه يصدق ذلك .

- لم اتكلم مع هازل عن حديث جاويل لى .
قال سوليفان :
- أعلم ذلك .. انها ..
وأمسك . وأدرك كارتر انه أوشك ان يقول :
- انها ما كانت الا لتحديثنى عن ذلك . واحتسى جرعة من الكونياك ثم حاول أن يتمالك نفسه . قد لا يكون سوليفان صورة للفضيلة ، ولكن جاويل أسوأ منه . وقال :
- اننى لا أصدق جاويل .
بدا الارتياح على سوليفان وقال حسنا :
- هذه قصة بغيضة ومهينة لهازل .
واعتدل فى وقفته قليلا ، كما لو كان البطل المدافع عن هازل وتساءل كارتر :
- هل أربع سنوات أسوأ من ثلاثة أسابيع .. اعتقد ذلك .
وقال سوليفان :
- انك تتقبل الأمر بهدوء تام .
هز كارتر كتفيه وقال :
- اننى أحب هازل ، ومهما يكن فلا أعتقد اننا لانزال فى العصر الفيكتورى .
وما كاد يفرغ من قوله هذا حتى أحس بزيغ ما يقول :
- سوف يبلغ الانحطاط بجاويل الى أكثر من هذا ،
فلا أعتقد انه سيتوقف عند هذا الحد ، خصوصا اذا رأى انه لم يحصل على النتيجة المرجوة .
- أية نتيجة ؟
- قلت لك ان جاويل يكرهنى ، وهو يتوقع ان توسعنى

ضربا ، أو أسوأ من ذلك .. أن تتسبب في فضيحة وأن تجر اسمي في الوحل .. في الشركة التي أعمل فيها ، فإن مثل هذه القصة كفيلة بالحاق أكبر الضرر بمهنة الرجل في أيامنا هذه .

كان كارتر يعرف أن سوليفان يهتم أكبر الاهتمام بنفسه وبمهنته ، وبدا له ذلك شيئا مشيرا للزدرء ، وقال :

— لن أفعل شيئا من هذا ، ولكن جاويل جدير بأن يفعل ، أليس كذلك ؟

— نعم ، ولا أدري ماذا ينتظر ؟ .. كان يتوقع أن يراك طبعاً . هل تعرف ماذا قال لي ؟

وضحك سوليفان ضحكة قصيرة واستطرد :

— قال أنه عندما حدثك بذلك كدت تجن من الغضب ، وأنه عندما قال لك أن ذلك استمر أربع سنوات هددت بأنك سوف تقتلني .

نظر كارتر إليه في اهتمام . وعاد سوليفان يقول :

— وائني اتساءل إذا لم يكن من الأوفق أن أعين لي حارسا خاصا . لم يكن يبدو عليه أنه يهزل ، وأدرك كارتر أن سلامة سوليفان وأمنه لا يهمانه ، كما أدرك في نفس الوقت أنه يتمنى في الواقع أن يختفى سوليفان من على سطح الأرض ، وحدث نفسه فقال :

— إذا عرف رجل في السجن حيث قانون الغابة أن سجيننا ضاجع زوجته فسوف يعثرون على ذلك السجين ذات يوم قتيلا في ظروف غامضة . وسأله سوليفان :

— لماذا تنظر الى هكذا ؟ .. ألا تصدقني ؟

— أوه ، بل أصدقك بالتأكيد .

— أنت ترى أن هذه المسألة تهلك أنت الآخر يا فيل . فلا هدف لجاويل إلا أن يقتلني أحد رجاله وأن يتهمك بارتكاب

الجريمة بطريقة ما . وقد قلت لك ذلك من قبل . الا تفهم انه يحاول ان يحرضك ضدى .

— نعم ، اننى افهم ذلك .

وساد صمت . وجلس كارتر فى حين راح سوليفان يدرع الغرفة جيئة وذهابا ، مقطب الجبين ، كما لو كان يهم بان يقول شيئا . واحس كارتر بانه فى امان . وراق له ان يرى سوليفان قلعا على حياته . كان ذلك شيئا جديدا بالنسبة لسوليفان ، ولكنه لم يكن جديدا بالنسبة له . وسبأه :

— هل جاءتك اليوم انباء عن جاويل ؟

— كلا ؟ لماذا ؟ .. وانت ؟

اجاب كارتر فى هدوء وهو ينفذ برماد سيجارته :

— كلا .

حلق سوليفان فيه كما لو كان يريد ان يلقى عليه سؤالا كان من الواضح انه يخشى ان يكون جاويل قد قال شيئا لكارتير ، ورأى كارتير ان هناك احتمالا فى ان يكون جاويل قد اتصل اليوم او امس بسوليفان ، واخبره انه ارسل خطابا اعلاميا لكارتير . وقال سوليفان :

— كل هذا الوحل يشار لائنى حاولت ان ..

وهز راسه واستطرد :

— كان من الأوفق ان لا أحاول ، فلم اشعر بارتياح كبير فى ان السبب فى ضياع بضع درجات منه .

حاول سوليفان ان يقول ان حياته فى خطر لانه حاول اخراج كارتير من السجن ، ولكن لماذا يكرر ذلك اذا كان صحيحا .. ومهما يكن فان محاولاته لم تتسبب فى انقاص يوم واحد من مدة سجنه . وقال وهو ينهض :

— لا انوى ان ابادل حديثا آخر مع جاويل .
سأله سوليفان عن موقفه من باتر وورث ، وطلب منه ان
يحدثه تليفونيا بعد لقاء يوم الجمعة ليخبره بنتيجة اللقاء .
وانصرف كارتر بعد ذلك .

ذكر كارتر لهازل ان سوليفان اراد ان يزوده ببضع معلومات
قبل لقائه بباتر وورث . وقالت هازل :
— انت تبدو اكثر مرحا الليلة . ارجو ان يمر كل شيء على
خير ما يرام يوم الجمعة .
قال كارتر :

— ارجو ذلك .

كان في المطبخ ينظر الى هازل وهى تضع المربى فوق فطيرة
الليمون . كانت ترتدى مئزرا من التويد وبلوزة بيضاء قصيرة
الكمين ، وقد عقصت شعرها الى الخلف وعقدته بشريط رفيع
أسود ، ولكن تجاوزت منه بضع خصلات من ناحية ، وتذكر
كارتر انه نظر اليها في مطبخهما في نيويورك منذ سنوات مضت ،
ثم في فريمونت ، ثم هنا الآن . وقطب جبينه . كانت صورتها قد
تلوثت في عينيه بعض الشيء لأنه يعرف ما حدث بينها وبين
سوليفان . لم يكن ضميره منزعجا ، وانما تغيرت نظرته الى
هازل ، فقد كان يعتقد انها امرأة قوية لايمكن ان تقع في الزلل
او تقدم على أى سوء . لم يكن امامه الا ان يطرح ذلك الموضوع
من رأسه ، كما قال له سوليفان : لا بكاء ولا نواح على الأخلاقيات
المهدورة . كانت وصمة ، ولكن السجن هو الآخر كان وصمة
كبيرة ، دون التحدث عما حدث لهوايتى ، فهو يحمل آثار جروح
من السجن وهازل تحمل هذا الوزر .

نظرت اليه في استفهام ، ثم تحولت لكى تفعل شيئا آخر .
كانت قد ألقت عليه في الأسابيع الأخيرة هذا السؤال مرارا :
— ماذا بك يا حبيبى ، أو قيم تفكر ؟ ولكنسه لم يستطع أبدا !

أن يرد عليها ، أو لم يشأ أن يفعل ، ولم يكن ذلك لأنه يفكر في شيء محدد . ولكنه كان يعرف ، عندما كان يظهر التعبير الغريب في عينيه . كانت ملامحه قد تغيرت في ست سنوات بحيث لم تألف هازل ذلك التغير . بيد أنه أدرك ذات مرة أنه أزعجها بقوله :
- اننى أرى أن الدنيا كلها أشبه بسجن كبير ، وأن السجون ليست إلا صورة منها مبالغ فيها . وقد عجز في تلك الليلة ، رغم كل محاولاته أن يفسر لها ما يعنيه . أراد أن يقول لها إن في الدنيا ، خارج السجون ، نظما وقوانين تبدو أحيانا لا معنى لها ولا تهدف إلا إلى التخويف والترهيب ، وأنه أحس أحيانا أن تلك النظم والقوانين تساهم في الحفاظ على دنيا أكثر جنونا من السجن ، تعيش في ذهن كل إنسان ، فتجعله يعرف متى ينام ، ومتى يأكل ، ومتى يمضى للعمل ومتى يتوقف . وأن كل امرئ يقلد الآخر في تلك الأشياء ، ولولا ذلك لاستولى عليه الجنون . وقد آمن بذلك الليلة لأنه أحس به . ولكن هازل لم تؤمن به وكلما حاول أن يشرح لها الأمر بدا لها الأمر واهيا .

- لا تنس آل اليوت في عطلة الأسبوع يا عزيزى .

- لم أنس .

تذكر آل اليوت في غموض . كان يجب أن يمضيا إلى لونج أيسلاند مساء يوم الجمعة . عقب انصراف هازل من المكتب . كان روجر اليوت مستشارا في الاستثمارات المالية ، وقد عهدت هازل إليه بجزء كبير من أموالهما استبدلته بأسهم مضمونة . وكانت بريسيلا اليوت ، وهى امرأة فى الثلاثين تلازم البيت للاهتمام بطفليهما . وهما أصغر سنا من تيمى ، تقضى وقتها فى رسم لوحات ومناظر طبيعية ، وهى لوحات جيدة من الناحية الفنية ولكنها مملة ، وبينهما كبير ومريح ، يقع فى وسط بقعة خضراء . وتذكر كارتر أن سوليفان لن ينضم إليهم خلال تلك العطلة ، وكان ذلك وحده شيئا جميلا .

وفي اليوم التالي ، وكان يوم خميس ، ولم يكن هناك
ما يشغله ، راج يتابع عمل ساندرا ، المكلفة بنظافة البيت ، وهي
امراة تأتي كل خميس ، من الساعة الواحدة حتى الرابعة .
وراقبها اكثر من المعتاد وهو يفكر ان هازل سيرها ان يتابعها
في تنظيف رفوف المطبخ ، ودولاب الصيدلية لأنها لم تكن تعباً ابدا
بالأوامر التي تصدرها هازل اليها .

وصلصل جرمس التليفون قبل الساعة الثالثة ، وكان
المتحدث جاويل ، وقال له :

— مساء الخير يا كارتر ، هل تلقيت خطابي ؟

— نعم .

— كنت أعتقد انه يستحق رداً .. ولو حتى بالتليفون .

— حقاً ؟

— ماذا بك يا فيل ؟ .. هل تخاف الاستماع الى تلك

التسجيلات ؟

عصف الغضب بكارتر فجأة وقال :

لست بخائف من الاستماع الى تسجيلاتك او الى اية

تسجيلات تتعلق ...

وأمسك ، ولم يتم عبارته غير راض أن يقول :

— تتعلق بهازل او ان ينطق باسمها أمام جاويل .

— حسناً .. متى تأتي ؟ .. الليلة ؟

— انني مشغولة الليلة .. متى تعود من عملك .

في نحو السادسة .

— سأتي عندئذ .. انتظر .. اعطني عنوانك .

كتب كارتر العنوان . سيستمع الى التسجيلات والى كل

ما يمكن أن يقول جاويل ثم يفرغ من هذه القصة . ومهما يكن

فليس لدى جاويل أى شيء على الإطلاق .

استقل كارتر سيارة أجرة في الساعة الخامسة والدقيقة الأربعين مضت به الى عنوان جاويل المعقد في جاكسون هيتس . وتركه السائق في شارع تحف به بيوت كنيبة متشابهة ومبنية بالطوب الأحمر وتتكون كل منها من سبعة طوابق . وكان الطابق الأرضي للبيت الذي يقيم جاويل فيه مشحونا بعربات الأطفال وتفوح منه روائح المطبخ . واستقل المصعد حتى الطابق الخامس . واستقبله جاويل هاشا هاشا قائلا :

— مساء الخير يا فيل .

كان مرتديا القميص وبين شففيه سيجار . ودخل كارتر غرفة المعيشة ، وتضم مفروشات حديثة ورخيسة ولوحات هادئة لا طابع لها . وعرض جاويل عليه الشراب . وألقى كارتر معطفه فوق أريكة خضراء بغيضة قائلا :

— هل نحن بمفردنا .. خطر لى أنك تود ذلك .

أتى جاويل من المطبخ بكأسين مملوءين وقال :

— ان لدى ما يهمك هنا بالذات .

ومضى الى منضدة صغيرة مستديرة أمام الأريكة ، فوقها ، بين منفضتين مملوءتين بأعقاب السجائر . مظروف أسمر ملفوف

بدويارة مفكوكة .. مظرواف ضخمة محشو بالأوراق . وجلس فوق الأريكة وقال وهو يخرج منه بعض الأوراق كيفما اتفق :

— هذه مذكرات خاصة بسوليفان كما قلت لك . فيها أمور عن اناس آخرين ، وعن الأوقات التي زاره فيها هؤلاء الناس .

قال كارتر :

— أريد أن تريني ما له صلة بموضوعنا فحسب .

راح جاويل يقلب الأوراق لحظة ثم قال :

— آه .. اليك هذا .. في السابع والعشرين من يونية ، منذ ثلاث سنوات ، أقبلت مسز كارتر في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، وغادرت البيت في الساعة السادسة . كان ذلك عندما كانت تتلقى دروسها في لونيغ ايسلاند ، قائلة لابنها على ما اعتقد انها تفادر المدرسة بعد الساعة الخامسة لأنها كانت تمضي الى سوليفان بانتظام . واليك هذه المذكرة الأخرى : وصلت مسز كارتر في الرابعة والنصف وانصرفت في الثامنة والدقيقة العشرين (وقلب في مذكراته وعاد يقول) س . يعود الى بيته في الثامنة والخمسين وبرفقته مسز ك . وانصرفت هذه الأخيرة في منتصف الليل ، وقد شيعها س . حتى سيارة أجرة . ويعود تاريخ ذلك الى سنة . وانحنى جاويل لكي يناول المذكرة لكارتر .

وأخرج له ست مذكرات أخرى . غادرت هازل بيت سوليفان ذات مرة في الساعة الثانية صباحا ، مع شخصين آخرين لأن سوليفان كان قد أقام في تلك الليلة حفلة ساهرة . وقال جاويل وهو يبتسم :

— ولكنك تعرف أن الوقت ليس بالشىء المهم .

واضطر كارتر أن يبتسم هو الآخر :

— لا أرى فى كل هذا ما يثير .

كان ضجرا وملولا وغاضبا بعض الشىء . ولكنه أدرك أنه إنما هو غاضب من نفسه لأنه اهتم بالمجئء عند جاويل .

وبدت الدهشة وخيبة الأمل على هذا الأخير وقال :

— الا يشارك كل هذا ؟ .. حسنا . قد يهيك اذن الاستماع الى بعض التسجيلات .

ونهض ومضى الى الدولاب ، وعاد ومعه صندوق ثقيل مملوء بأشرطة تسجيل وهو يقول :

— ان رجالى دخلوا مسكن سوليفان مرتين .. مرة لوضع جهاز التسجيل ، وأخرى لرفعه من مكانه .

وراح يقلب الأشرطة ويبحث بينها فى حين أخذ كارتر يدخن سيجارة ، ويقول لنفسه ان جاويل مريض ذهنيا ، وأن تحقيقاته عن سوليفان لاريب قد أقت الكثير من الزيت على النار . ونظر ثانية الى كومة المذكرات القدرة المتناثرة فوق الأريكة وهو يقول لنفسه انها لابد قد كلفت جاويل الكثير من المال بحيث أقلس كما هو ظاهر واضطر الى الإقامة فى مثل هذا المسكن الحقبير .

وقال جاويل أخيرا :

— آه .. ها هو شريط خاص بسوليفان .

ووضع الشريط فى جهاز التسجيل . وأصفى كارتر وهو

يبتسم الى حديث بين سوليفان والكواء الذى جاءه بالأسموكنج ،
ثم اصطفق الباب بعد ذلك ، وساد صمت . فقال :

— هيا يا جريج .. أسرع .

أجاب جاويل :

— لا أستطيع الاسراع ، فقد يفوتنى ما أبحث عنه .

سوليفان يحجز مائدة فى مطعم بالتليفون .. مائدة لشخصين
فى الساعة التاسعة . وقال جاويل :

— اننا ركبنا جهاز التسجيل بجوار التليفون .

سكتة اخرى طويلة ثم صوت سوليفان :

— كيف حالك يا حبيبتى ، وصوت هازل ترد عليه :

— هلى ما يرام . وانت ؟ يا له من يوم .

— اضطررت الى حجز المائدة للساعة التاسعة لأن كل
الموائد محجوزة للساعة الثامنة . هل يضايك ذلك ؟

— أبدا . سوف تقضى معا وقتا اطول . آه . اتمنى لو أن
أخلع حدالى .

ضحك سوليفان وقال :

— افعلى .. هل آتيك بشراب ؟

— كلا . اشكرك . ليس الآن .

— حبيبتى !

لعلهما كان يتعاقبان . وبدأ الصمت لكارتير بغيضا . وقال
جاويل :

ـ انتظرو .

قال كارتر :

ـ آه . لماذا لم تضع جهاز التسجيل في غرفة النوم اذا كنت تريد أن تثبت شيئا ؟

صوت سوليفان :

ـ هل وجدت أحدا للاهتمام بتيمى ؟

صوت هازل :

ـ سيقضى الليلة مع أحد أصدقاء فصله .

ـ آه حسنا .

وضعف الصوتان وتلاشيا . وقال جاويل :

هل سمعت ؟ يرجع تاريخ هذا الشريط الى اكتوبر الماضى .

عرف كارتر صوت هازل ومزاجها . كلمته بنفس الطريقة

مرارا . واوقف جاويل الشريط وهو يقول متهمكا :

ـ سيقضى تيمى الليلة مع أحد أصدقاء فصله .

قال كارتر :

ـ يحدث له هذا من وقت لآخر ، اذا تأخرنا في السهر في

الخارج .

قال جاويل :

ـ أوه ، هيا يا كارتر . . انك لست غيبا .

ابتسم كارتر ابتسامة ساخرة . كلا . انه ليس غيبا ،
والشريط يرجع تاريخه الى اكتوبر الماضى ، واستطاع ان يرى
التاريخ مكتوبا على الشريط ، ما لم يكن جاويل قد زيفه .

أخذ جاويل منه الكأس لكى يملأه وقال :

— اذا أردت أن اتصل بك بعد ظهر يوم تمضى فيه زوجتك
الى سكن سوليفان وان تذهب اليهما و ...

ووضع الكأس بيد ثابتة فوق المنضدة فقال كارتر :

— و ... وماذا ؟

— تخنقه فى فراشه .

أحس كارتر بقطرات من العرق البارد تتصبب من جبينه
وقال .

— أظن أنك تكرهه أكثر منى .. عليك أنت أن تقوم بذلك .

— بل أظن انه يجب عليك أنت أن تفعل ، فإن القانون
يعطيك الحق .

ضحك كارتر وقال :

— وتنال أنت كل الشرف .

حرق جاويل فيه فاحصا . وخفض كارتر عينيه أخيرا نحو
كأسه ، ومر بيده على جبينه المبتل ، وذكره عرقه بأعراض
ضعفه التى كانت تنتابه وهو فى السجن . وسأله جاويل :

— هل تريد حقنة ؟ .. لدى كل ما يلزم فى الحمام .

اضطجع كارتر فى مقعده الى الخلف قبل أن يرد ، وهو يعلم
تماما ماذا سيكون رده ، وقال أخيرا :

— ولم لا ؟

وقال جاويل وهو يتعد في نشاط كالضيف الكريم :
— لحظة واحدة .. انها ليست في الحمام ، ولكنى
مساتيك بها .

نهض كارتر ، وسمع جاويل يتحرك في الحمام اخيرا فمضى
اليه . وكان جاويل قد وضع علبة كبيرة فوق الأرض حجمها
نحو خمسين سنتيمترا مربعا ، وتضم نحو أربعين حقنة مرصومة
فوق طبقة من القطن . وراى كارتر ان العلبة مكونة من ست
طبقات فوق بعضها البعض وانها تحتوى على مائتين وأربعين
حقنة . وقال جاويل وهو يضع حقنة معقمة فوق الحوض :

— ان بكل حقنة منها ٧٥ ملليجراما . ولا ادرى ان كنت
تريد حقنة كاملة .

وابتسم في راق وغادر الحمام .

قام كارتر بكل الحركات الضرورية اوتوماتيكيا . وفي بضع
ثوان كان المخدر يسرى في احد عروق ساعده الأيمن . حقن نفسه
بنصف الجرعة وهو يتساءل من أين حصل جاويل على كل هذه
الكمية من المخدر . ولكنه راى انه ليس من الكياسة ان يلقى
على جاويل مثل هذا السؤال . ولا ريب انها عملية رابحة
بالنسبة لجاويل ، وفي هذا تفسير لمقدرته على اللجوء الى بعض
المخبرين الخاصين للحصول على ما يريد من معلومات . وتحقق
كارتر من ان هناك ست طبقات من الحقن بحيث انه بسعرها
التواضع في السوق ، كانت العلبة تساوى ستة آلاف دولار .
وعاد الى غرفة المعيشة .

وقال جاويل وهو يشير الى الحمام :

— اذا اردت ان تأخذ بعضا منها فلا مانع .

ابتسم كارتير وقال :

— كلا ، شكرا لك يا جريج .

كان المخدر يسرى الآن فى عروقه بفعالية والفة . واضطجع فى مقعده الى الخلف . ونهض جاويل وناولته كأسه . ولم تكن بكارتير رغبة ولا حاجة اليها ولكنه اخذها مع ذلك . وقال جاويل فى هدوء :

— صراحة يا فيل ، انت الوحيد الذى يستطيع قتل مستر سوليفان والخروج سليما وآمنا . . من الناحية القانونية .

هيس كارتير ثم ضحك وقال :

مع ما لى من سابقة خفى .

— ان للرجل الحق فى . . .

— الا يسرى هذا الحق الذى تشير اليه فى تكساس
لحسب ؟

سكت جاويل ، ودعك شفثيه بظهر يده ثم قال :

— يمكننا دائما ان نتدبر بحيث يبدو الأمر كأن أحد رجالي قتل . لن يكون هناك فى هذه الحالة . . لن يستطيع البوليس ان يفعل شيئا . قد يشتبهون فيك ولكن . . .

وأمسك . لم يكن هناك معنى لما ينطق به . ولكن كارتير تصور نفسه يضرب سوليفان على عنقه . . ضربة الكس القاتلة . وقال وهو ينظر الى ساعته « سوف يشتبهون فى طبعنا اذا اننا فعلت ذلك » . آه . . الساعة السابعة . . ستساعل هازل اين

انا قانا لم اترك لها اية كلمة . . بل سيشتبهون في حتى اذا لم
افعل .

ب فكر في الامر يا فيل . يمكننا ان نتدبر الامر حقا . ان
لك دافعا ، واذا لم تفعل قلن تضع حدا لعلاقتهما .

بقى كارتر هادئا ، ولكنه أحس بالخوف وبقلبه تتسارع
دقاته . نفس الاخساس الذي أحس به في السجن عندما كان
مهددا طبيعيا او قبل ان تصيبه اية ضربة . نفس الاخساس الذي
أحس به عندما كان في زنزانة ماكس موليا ظهره لسكوييف . وقال
وهو ينهض :

— اظن اننى سأتركك تقوم انت بالعمل .

— أوه ، كلا . بل ستقوم أنت به .

ضحك كارتر . وضحك جاويل هو الآخر ، ثم نهض وفتش
في جيبه ، وأخرج حافظته وأخذ منها صورة فوتوغرافية وهو
يقول :

— هدية لك يا فيل ، والتاريخ على ظهر الصورة .

أخذ كارتر الصورة . كانت لهازل من ظهرها بدون قبعة
وبمعطف ، تصعد الدرجات الأمامية لبیت سوليفان بالشارع
الثامن والثلاثين ، وقلب الصورة وقرا : ١٤ يناير ، الساعة
الرابعة والنصف ، وقال :

— انها تعمل عادة حتى الخامسة والنصف .

— ثم سبق وقاطع جاويل قائلا :

— اننى ذهبت لاصطحابها مرارا كثيرة في تمام الساعة
الخامسة . اننى أعرف ذلك .

- وسوليفان يعرف ذلك أيضا . ولكن ما كان هذا ليمنعهما من تدبير المواعيد لكي يلتقيا من وقت لآخر ، وكما يقال فان الحب يجد دائما طريقة .. لا يمكن أن تتجاهل هذه الصورة على كل حال .

هز كارتر كتفيه وألقى بالصورة فوق الطاولة . كانت هازل مرتدية المعطف ذا الياقة الفرو السوداء الذي ظلت ترتديه طوال الشتاء ، أثناء العمل . وأحس بأنه على قاب قوسين من الغثيان . وقال جاويل وهو يربت بيده على كتفه :

- حسنا . أنت تعرف ان ذلك صحيح يا فيل ، وأنا على استعداد لأن أقتل سوليفان مثلك ، ولكنني أظن أنك أنت الذي ستفلس من القصص .

- طابت ليلتك يا جريج .

وعندما عاد كارتر كانت هازل في المطبخ فصاحت به :

- مساء الخير يا فيل .. أين كنت ؟

ونظرت إليه ، ثم عادت الى عملها ، وفتحت كيسا من البازلاء المجمدة .

كان في مقدوره ان ينصرف عندما رآها حتى لا تتابع استجوابها، ولكنه وقف ينظر اليها ، غير مستطيع أن يحول عينيه عنها لثوان طويلة . وألقت اليه نظرة من فوق كتفها ، وعندئذ ابتعد ، وعلق معطفه . ومضى الى الحمام ، وألقى نظرة الى غرفة تيمى ، وكان بابها مفتوحا . كان القلام مستلقيا وصدره الى الأرض . وهو الوضع الأثير لديه أثناء قيامه بواجباته المدرسية . لم يكن يجلس أمام المكتب أبدا ، ورأى كارتر أن يده اليمنى معصوبة فقال له :

بـ مساء الخير يا تيمى . ماذا حدث ليدك ؟

ـ اوه ، اننى وقعت وانا لعب الكرة عصر اليوم .

ـ هل أصبت بكدمة .. وهل الاصابة شديدة ؟

ـ كلا . اننى أصبت بجرح من شظية من الزجاج ،

واعتقد ان الأمر ليس خطيرا .

تكلم تيمى من غير ان يرفع عينيه . وتردد كارتير لحظة ثم مضى الى الحمام ، وغسل يديه ثم وجهه بالصابون . احس بارتياح تام . من الممكن تماما ان تكون هازل على علاقة بسوليفان ، فهي امرأة كثيرة المشاغل هذه الأيام . ولكن الهيروين أصابه بخير كبير ، كما لو أن كل شيء فى هذه الدنيا فى مكانه الحق . وأحس بارتياح كبير لأن جاويل على علم بذلك الأمر ، لأنه علم به طوال الوقت ، ولم ينزعج أو يصدم كما هو ظاهر ، بل أنه نطق بدعابة مع ذلك فقال ان الحب يجد دائما طريقة . كان يجب ان يحدث شيء أكثر من عودته الى السجن لكي يحطم حبا حقيقيا . ومضى الى المطبخ وسأل هازل :

ـ اتريدن ان تتناولى شرابا قبل العشاء .

ـ كلا . شكرا . يمكنك ان تتناول انت ما تريد .

كانت تقوم باعداد وجبة من البازلاء بسمك السلمون فى اناء وضعت فى الفرن . وفتحت باب الفرن وألقت نظرة على الاناء ثم أغلقتة وسألته :

ـ صراحة من أين انت قادم ؟

طرفت عيناه أمام هذا التحدى ، ولكنه بقى هادئا . كانت
تصرف تصرف الذئبة تماما ، كما فعل سوليفان ، ولنفس
السبب . وأجاب متحديا هو الآخر ، قبل أن يفكر فيما يقول :

— اننى قمت بجولة .

ثم تحول ومضى الى غرفة المعيشة .

قال باتر وورث :

- حدثني دافيد عنك كثيرا .

ولكنه استمر يقرأ الموجز الذي قدمه اليه كارتر .

كان جالسا أمام مكتب ضخم عليه رسومات مختلفة ، ونموذج لما يبدو آلة لتصنيع الأدوات . يناهز الخامسة والأربعين من عمره ولكنه أصلع تماما ، ولم تبق برأسه غير خصلة صغيرة سوداء . له قم رخو لا يدل على ضعف وإنما على رقة وظرف ذكره بطريقة غريبة بقم هازل . كانت شركة جنكينز وفيلد شركة للمقاولات والانشاءات . وفهم كارتر ان عمله سيقوم على الاهتمام بالأعمال التي لا يجد باتر وورث متسعا من الوقت لانجازها ، فقد كان كثير التنقل الى العديد من المدن ، وسوف يحل كارتر محله اذا ما التحق بالعمل ، وان المرتب سيكون ١٥٠٠٠ دولار سنويا مع اجازة شهرا في الصيف .

- مستر كارتر .. ان الوظيفة لك اذا اردت .

- شكرا .. اعتقد انني ساقبلها .

لقى باتر وورث نظرة الى الباب المغلق ، من اقوى كتفه ، وقبـال :

- حدثني دافيد عن المدة التي قضيتها في السجن في

الجنوب ، وأعرف أنك لم تكن مدنيا ، وان المذنب هو الرجل
الذى مات .

هز كارتر رأسه وقال :

- نعم .

تمتم باتر وورث :

- هذا أمر بغيض ، ولكننى أردت أن أقول لك اننى كنت
أعلم . . ونحن جميعا نعرف دافيد ، واننا اعرفه خيرا من الآخرين ،
واذا قال أنك رجل صالح فاننى أصدقه .

وابتسم فى شيء من الارتباك ، كما لو كان غير معتاد على
الابتسام وأردف :

- وأظن أنه يجب أن نمنح خريجي السجون فرصة ثانية .
ان اغلب الناس يرفضون ذلك ولكنك لست من ذلك النوع .
وأظن أنك تستطيع أن تجيد عملك اذا عرفت أننا نعرف كل شيء
عناك ، واننا لن نتحفظ معك فى أى شيء .

غادر كارتر المكتب وهو مسرور ، ودخل أول كشك تليفونى
صادفه واتصل بسوليفان وقال له :

- آلو . . سوليفان . أردت ان اشكرك . انهم قبلونى .

سأله سوليفان :

- أوه . . هذا رائع . . ومتى تبدأ ؟

- صباح الاثنين .

- يجب أن أخرج الآن فهناك من ينتظرنى . أهنيك يا فيل
والى الملتقى .

سرت هازل لالتحاقه بالعمل ، واحتفل آل البيوت في تلك الليلة بالمناسبة ، وتناولوا الشمبانيا . وحتى تيمى شرب منها هو الآخر . وأحس كارتر بأن ابنه راح ينظر اليه في احترام من جديد لأنه أصبحت له وظيفة كأباء الأطفال الآخرين . ولكنه يدين بهذه الوظيفة لسوليفان ، وتيمى يعرف ذلك أيضا ، وشرب الجميع نخب سوليفان .

لم يستطع كارتر أن يغمض عينيه في تلك الليلة . كانت هازل متعبة وغرقت في نوم عميق بجواره في الفراش الكبير في غرفة الأصدقاء بمسكن البيوت حيث حدث لهما ذلك كثيرا من قبل . وصفرت الريح في الخارج ، ونهض من غير أن تصدر منه حركة وارتدى جاكته فوق البيجامة وخرج الى الحديقة . وخفت الريح ، عندما واجهها من عصبتيه بعض الشيء .

كانت قمم الأشجار تنحني وتتمايل كما لو كانت رؤوس رجال يرزحون تحت الضرب والتعذيب . ونظر كارتر الى البيت واستغرب ان يكون مدعوا به . وبدت له السهرة غريبة هي الأخرى ، كشيء لم يحدث حقا ، أو حدث منذ سنين .

فاجاه صوت هازل . أحس أنها بجواره ، ولكنه لم يلبث أن رأى وجهها الشاحب وهي بقميص النوم في اطار النافذة . وأحس فجأة ، بأنه لا يعرفها ، وصدم وذر في نفس الوقت . كان الأمر كالريح التي تحمل شخصيته بعيدا ، ولكنه سار آليا نحو البيت ، وعيناه مرفوعتان نحو هازل . وسألته في رفق ، كما لو كانت تخشى أن توظف من في البيت :

— ما الخبر يا حبيبي ؟

أشار اليها بيده ، محاولا تهدئتها ، وفكر فجأة :

— انها ملك سوليفان في الواقع وانه لا يعرفها على الإطلاق .
وتوقف مرتخيا كالخرقة لا يستطيع شيئا .

وسأله :

— هل أنت بخير ؟

نظر اليها وقال :

— اننى صاعد .

- ١٩ -

في الخميس الأول لالتحاق كارتر بالعمل لدى شركة جنكينز وفيلد دعا سوليفان للعشاء . وبذلت هازل جهدا خاصا في اعداد طبق من الخيار ولحم البقر والباكون والجبن المبروش والبقدونس والصلصة الهولندية وكذلك اعداد فطيرة بالليمون ، وكانت معتدلة المزاج . وقال سوليفان :

- آه .. وجبتى المفضلة .. أنت رائعة !

وكان قد دخل المطبخ بمجرد قدومه .

كان كارتر قد توقع دون أن يدري لماذا ، ان سوليفان سوف ينطق بتلك العبارة ، رغم أن هازل لم تذكر له ان هذه هي الوجبة المفضلة لديه . وكانت قد أعدت الطعام في تلك الليلة في غبطة ظاهرة . كانت كذلك دائما ولكنها كانت الليلة اكثر غبطة ومرحاحا عن كل ليلة اخرى . وكان تيمى مرححا هو الآخر مع سوليفان .

وقال هذا الأخير يسأل هازل :

- كم باق من الوقت امامك ؟

- ماذا تعنى ؟ .. في اعداد هذا ؟

وكانت تقطع بعض رؤوس الفجل في دوائر فقال :

— نعم . لا حاجة بك الى تقطيع الفجل . تعالى وانضمي اليها .

— يا لك من جاحد .

وضحكت وهي تلقي نظرة الى كارتر . وقال سوليفان :

— « انها جارية حقيقية » . وأشار الى كارتر ان ينتقلا الى

غرفة المعيشة . وتبعهما تيمى وهو يجر قدميه . ورأى كارتر

سوليفان ينظر الى الفلام ، وكان تيمى يركز بصره على سوليفان

فبدأ عليه الارتباك لحظة ، وبإشارة صغيرة تكاد لا تلاحظ من

رأس سوليفان رجع الى المطبخ ويداه فى جيبى بنطلونه ، وحدث

كارتر نفسه فقال :

— انه احسن تنشئته ، وانا نفسى ما كنت لأفلح هكذا معه .

وسأله سوليفان فى صوت خافت :

— هل لديك أنباء أخرى عن جاويل ؟

— كلا .

— حسنا .

وأشار سوليفان الى المطبخ مقطبا وقال :

— لم أشأ ان أطرده تيمى ولكننى أردت ان لا يسمعنا .

حسننا . أرجو أن يهدأ جاويل ، بخصوصك على الأقل .

سأله كارتر :

— وماذا عنك أنت ؟

ابتسم سوليفان وأجاب :

– أنا مازلت هنا . مرت فترة لم أسمع فيها شيئاً عنه ،
فيما عدا المكالمات التي حدثتك عنها .

– وماذا سمعت قبل ذلك ؟

– أولاً . . أعتقد أنه كان هناك من يتبعني بعض الوقت .
كان سوليفان يخفض عينيه نحو المنفضة وهو يسحق
سجارتته فيها ، وعاد يقول :

– وأنا واثق أنه أرادني أن أعرف أن هناك من يتبعني ،
وأن بيتي مراقب . أراد أن يبت الرعب في قلبي كما تعلم .

قال كارتر :

– لا أدري قيم يفيد هذا .

– لكي انفض يدي منه . كان ذلك في الوقت الذي كنت
استعلم فيه عنه في فنادق نيويورك ، منذ أربع أو خمس سنوات ،
ولم الحظ أن هناك من يتبعني أخيراً ، أعني في السنة الأخيرة .
لم يصدقه كارتر وسأله :

– أما كان يعمل على مطارديك وهو لا يزال في شركة تريومف
في فريمونت . . ثم عندما انتقل إلى نيو أورليانز ؟

– آه ، نعم . أنا واثق أنه كلف رجلاً نظير مكافأة ما أن
يتبعني في نيويورك ، بعد أن أغادر بيتي ، وهذا شيء غير مريح .
ولكن لم يبلغ بي الأمر إلى حد الانزعاج أو الإبلاغ البوليس .

تساءل كارتر :

– لماذا ؟ لأنك لم تشأ أن يكتشفوا أن هازل تكثر من
زيارتك .

والقى كأسه ، وعقد ذراعيه ، فأحس بابهاميه يؤلمانه على
الفور فأراحهما وقال :

— وهل تعرف هازل أن هناك من كان يتبعك ؟

أجاب سوليفان :

— كلا . لم أشأ أن أسبب لها أى ازعاج .

وعاد كارتر يحدث نفسه :

— أو أن تنقطع عن زيارتك .

وقال يسأل :

— ألا تعتقد أن هناك من يتبعك الآن ؟

ابتسم سوليفان وقال :

— ان جاويل نفسه فى الميدان الآن ، واضن انه لم يعد

بحاجة الى اتفاق المزيد من النقود لكى يتبعنى أحد .

ابتسم كارتر هو الآخر وقال :

— اتعنى ان جاويل يتبعك بنفسه الآن ؟

— اذا كان يفعل ذلك فهو يحرص على أن لا أراه . ولكنك

ستخبرنى اذا عرفت شيئا جديدا . اليس كذلك ؟

— نعم . وانه لأمر سيىء أن تزعج نفسك كل هذا الازعاج .

— انه عدوى ، ومن المفيد دائما أن تعرف ماذا يفعل عدوك

أو فيم يفكر .

ولزم سوليفان الصمت لحظة ثم سال كارتر عن عمله ،

وأجابه هذا الأخير بأنه لا بأس به ، وانه منوط به أعمال كتابية فى

الأسبوعين القادمين ، على أن ينتقل بعد ذلك الى ديترويت حيث يبقى أسبوعين أو ثلاثة . ولم يبد سوليفان أية دهشة أو اهتمام لأن كلتر سيتغيب بضعة أسابيع . ولم يظهر عليه شيء على الأقل .

أقبلت هازل ومعها تيمى من المطبخ ، وتحدثت مع سوليفان عن أشياء كثيرة ، من بينها اللوحة التى رسمتها بريسلا اليوت بالألوان المائية والتى أهدتها لها لأنها أبدت إعجابها بها ، وانها وضعتها الآن فى إطار وعلقتها بين النافذتين المطلتين على الشارع . وتحدثنا عن أوروبا فى يولية ، ولم يستطع كارتر أو لم يشأ أن يشاركهما الحديث ، فى حين انه هو الذى يجب أن يمضى الى أوروبا . واهتم تيمى بصفة خاصة بتلك الرحلة ، وسأل سوليفان اذا لم تكن هناك مباريات فى كرة القدم فى يولية فى رابالو، وهى المدينة التى تنوى هازل قضاء فترة فيها .

وقال سوليفان :

— ان رابالو مدينة صغيرة وليس بها استاد واظن انه لكى ترى مباراة جيدة يجب أن تمضى الى جنوة .

جلس تيمى فوق وسادة ، ونظر الى سوليفان فى حزن ، كما لو انه أدرك فجأة أن سوليفان لن يذهب معها ، وانما أبوه ، وأن أباه لا يعرف الكثير عن الكرة .

وأتنى سوليفان على العشاء وقال انه كان شهيا وفاخرا . وتالق وجه هازل لفرط السرور ، وكذلك وجه تيمى . أما كارتر فلم يكف عن الاحساس بالألم فى ابهاميه طوال السهرة ، كلما أمسك سكيناً أو فنجاناً ، ولم يلبث أن حطم الألم أعصابه ، وقرر ان يمضى لاستشارة أخصائى وأن يخضع لعملية جراحية . وكان ذلك فى نحو الساعة العاشرة والربع ، ولكنه بعد ساعة ،

حين هم سوليفان بالانصراف غير رأيه من جديد . ومهما يكن فان
الاخصائي الذي ارسلته هازل اليه قال ان من الممكن اجراء
العملية ولكن لا يمكن التأكد من النتيجة ، فلن تعود المفاصل
الى وضعها الأول أبدا ولن يزول الألم نهائيا .

سألته هازل وهي تبسم :

— هل انت سعيد يا حبيبي .

اجاب :

— نعم .

وطوقها بذراعيه ، وطبع قبلة على عنقها . وشدد الضغط
عليها . وأحس بها صلابة بين ذراعيه ، ومع ذلك فان شيئا كان
موجودا فيما سبق قد اختفى ، فهل اختفى من هازل أم منه
هو ... أو ربما منهما معا .

اضطرت هازل ، خلال الأسبوع التالى الى حضور عشاء عمل فى فندق بالشارع السابع والخمسين . ولما كان يجب أن يعقبه احاديث كثيرة رأت انها ستكون مملة جدا بالنسبة لكارتير فقد اقترحت عليه ان تمضى بمفردها . وقبل كارتير ، فقد كان لابد له من ان يفرغ فى المنزل من بعض الأعمال الخاصة بشركة جنكينز وقيلد ، وقال :

- ساصطحب تيمى لتناول العشاء فى الخارج ، ويمكنه ان يمضى بعد ذلك الى السينما بالشارع الثالث والعشرين ، ففيها فيلم من افلام رعاة البقر يريد ان يراه .

سألته هازل :

- وهل ستمضى لتصطحبه بعد ذلك . لا اريده ان يتسكع بين الصيدليات الى وقت متأخر ويملا بطنه بالجيلاتى .

قال كارتير :

- سأسأل متى ينتهى الفيلم وامضى لاصطحابه .

تبادلا ذلك الحديث اثناء الغداء . وعلم كارتير ان هناك حفلات سينمائية فى السادسة والثامنة والعاشرة . ورأى ان يشاهد تيمى حفلة الثامنة ، بعد تناول طعام العشاء . واتصل به

تليفونيا في الساعة الخامسة وقال له انه سيعود في السادسة والنصف متأخرا عن عادته ، ويمضيان لتناول العشاء معا .

استقل كارتر الأوتوبيس ، بعد فراغه من العمل ، وهبط في الشارع الثامن والثلاثين . فكر طوال النهار في سوليفان ، ورأى أن الليلة مناسبة لتبادل حديث معه ، حديث لا يجب أن تعرف هازل شيئا عنه . أراد أن يسأل سوليفان مباشرة عن حقيقة الموقف ، فاذا ذكر له سوليفان الحقيقة فلا بأس ، واذا كذب فسوف يعرف ذلك . أما اذا لم يكن موجودا فسيكون ذلك من سوء حظه ، ولم يشأ أن يأخذ منه موعدا مسبقا .

رأى هازل على بعد ثلاثين مترا من بيت سوليفان . ودانته هي الأخرى ، وهمت بأن تتوقف ولكنها استمرت تتقدم نحوه . وهي تبسم وقال كل منهما في نفس الوقت :
- آه . مساء الخير .

قال كارتر وهو يضحك ضحكة قصيرة :

- ما اظنك ماضية الى بيت سوليفان ؟

اجابت وهي تشير الى كمية من الأوراق وبعض الكتب تحت ابطها ، فوق حقيبة يدها :

- بلى . جئت لأعيد اليه كتابا . . تعال . أمامي دقيقة واحدة .

وبدأت تصعد الدرجات الامامية للبيت . ولكنه قال :

- كلا ، كلا . . . اصعدى انت . . . اننى منصرف .

حدقت فيه فقال :

- كنت اريد قضاء لحظة معه ، ولكن الأمر غير عاجل .

— لا تكن أحق ... ما دمت قد جئت ...

تابع كارتير طريقه وهو يقول مبتسما ومشيرا بيده اشارة قصيرة :

— الى الملتقى .

وسار حتى آخر الشارع في خطوات متوترة . كما لو كان يتوكأ على عكازين . لم يكن هناك عشاء عمل كما قالت هازل ، وانما ارادت قضاء الأمسية مع سوليفان . ولم يسمعه الا الاعجاب بقوتها وجراتها . لو انه صعد معها لقات لسوليفان :

— انظر بمن التقيت .. اننى جئت بكتابك .. ثم تضع فوق المكتب كتابا ما وتستطرد :

— يجب ان امضى الى الشارع السابع والخمسين ، فهم يقدمون كوكتيلا ، وربما اصل في الوقت المناسب . الى اللقاء .. نعم ، انها تخلصت من المأزق بدكاء . وطوح برأسه الى الخلف وهو يضحك ، وخطر بباله ان هازل قد تعود مبكرة الليلة مخافة ان يكون قد توقف في مكان ما بالشارع لكى يرى كم ستبقى مع دافيد .

واصطحب تيمى الى مطعم بالشارع الثالث والخمسين ، وبعد ان فرغا من الطعام رافقه الى السينما ، وعقد العزم على ان يرى الفيلم هو الآخر ، وزوده ذلك بشيء من الهدوء والارتياح ، ولكن عندما انتهى الفيلم كان عاجزا عن تذكره .

وعندما عاد الى البيت لم تكن هازل قد رجعت بعد ، فمضى بتيمى الى الفراش ومعه كتاب ووعده منه بأن لا يقرأ اكثر من ربع ساعة . وقال له :

— سأخرج لحظة . سوف تعود ماما بالتأكيد ما بين دقيقة وأخرى . ولكن لا تنتظرها ، فالمفروض أن تنام .

واستقل سيارة أجرة حتى مسكن جاويل . وعندما فتح له هذا الأخير الباب تنهى الى سمعه موسيقى راقصة وصوت حديث فسأله :

— الديك ضيوف .. سأعود في وقت آخر .

— أوه كلا . تفضل بالدخول .

دخل كارتر وقد سره ترحيب جاويل به بعض الشيء . ولكنه لقي في شيء من البرود الرجل الذي قدمه جاويل اليه والمرأة الشقراء البدينة ، وتمنى أن لا يكونا قد لحظا ذلك البرود ، بيد أنه لم يبد عليهما أى اهتمام . وقال جاويل يقدمه اليهما :

— فيل : صديق قديم من الجنوب .

كان الرجل في نحو الخامسة والثلاثين من العمر تقريبا .. طويل القامة ، عريض المنكبين ، بادی الأناقة ، أما الشقراء فكانت شقراء لا أكثر ولا أقل ، وإن كانت ثقيلة الظل بعض الشيء ، يبدو عليها أنها لا تمتن مهنة منتظمة . وقالت تسأله :

— هل أنت من أهل الجنوب ؟

ابتسم كارتر وأجاب :

— كلا . وانت ؟

كانت ترتدى ثوبا من الحرير ، مكشوف الصدر بصورة جريئة ، وحذاء بكعب عال جدا ، وبفردة جوربها اليمنى ثقب . وقالت :

— أنا من كونيكتيكت . هل تريد أن ترقص ؟

— ليس الآن ، شكرا .

بدأت لكارتير كاحدى تلك الفتيات اللاتي كان يراهن على شاشة السينما بالسجن ، وقد نبضت بالحياة فجأة . ووجهت الحديث اليه ، وفي شيء من التهور أمسك بمعصمها فجأة وقال :
— هلا جلست .

كان يقصد أن تجلس على مسند المقعد ، ولكنها جلست على ركبتيه . ودهش كارتير في البداية ثم ابتسم . كانت ثقيلة جدا . ونظر جاويل اليها وقال :

— ايه ... ما هذا ؟

— وقال صديقها :

— اظن اننا سننصرف .

ومد يده يساعدها على الوقوف . وقالت مخاطبة كارتير في مزح :

— الى اللقاء .

ولم ينهض كارتير وانما اشار بيده مودعا وهو يقول :

— أرجو ذلك . يسرنى اننى التقيت بكما .

وتبادلا مع جاويل حديثا قصيرا عند الباب ، لم يحاول كارتير سماعه . وعاد جاويل وهو يدعك يديه ويقول :

— لا بأس بها . ولكن انتونى لا يقدرها حق قدرها .

ولم ينطق كارتير فعاد يقول :

— هل تريد حقنة .

قال كارتير وهو ينهض :

— فكرة لا بأس بها .

مضى جاويل لى يأتى بالحقنة ، وبقى كارتر جالسا مكانه وهو يقول لنفسه ان من الأدب ان لا يحاول معرفة المكان الذى يخفيها جاويل فيه . وعندما عاد شكره بإيماءة من رأسه ، ومضى الى الحمام لى يحقن نفسه ببقية الجرعة التى سبق ان استخدم نصفها ، ثم أعاد الحقنة الفارغة الى غرفة المعيشة والقاها فى احدى منافض جاويل المملوءة بأعقاب السجائر وهو يقول :

— اشكرك كثيرا .

قال جاويل :

— ان الوقت متأخر بالنسبة لك . اليس كذلك ؟

— نعم . ولكن هازل مشغولة الليلة .. انها فى عشاء عمل .

— آه ، حقا ؟

— نعم . هكذا قالت لى . انها مع سوليفان .

قال جاويل دون ان يبدو عليه اى انتصار أو دهشة :

— آه ... آه ...

وقال كارتر :

— نعم . انت على حق . كنت ذاهبا للقاء سوليفان لى أواجهه واسأله ماذا يفعل مع زوجتى عندما رأيتها هى نفسها بباب البيت .

قال جاويل :

— أرايت ؟

ومد يده ليأخذ كأسه وتنهّد . وبدأ متعباً ، وربما ثملاً ،
وإردف :

— حسناً . ماذا تنوى أن تفعل الآن ؟

لم يجد كارتر ما يقول ، بل أنه لم يفكر حتى فيما يجب أن
يقول ، واضطجع جاويل في مقعده ونظر إلى كارتر وقال :

— أوه ، اظن أنك ستطلب منها أن تكف عن لقائه ، ولكنها
لن تفعل ، فان ما بينهما أقوى من كل الزيجات .

عبس كارتر وحدث في جاويل وقال يحدث نفسه :

— لم تعد بها حاجة إلى اذن . ثم صاح فجأة :

— ولكن لماذا لا يقولان لي ذلك . . لماذا كل هذا اللف
والدوران .

— فكر في المزايا التي تعود عليهما . فان زوجتك تحتفظ
باحترامها في عيون أغلب الناس على الأقل . . فان لها زوجاً
وولداً ، والناس جميعاً سيظنون انها رمز للفضيلة بطبيعة الحال ،
ولاسيما انها انتظرت ست سنوات طويلة حتى يخرج زوجها من
السجن . اما عن سوليفان فماذا يرجوه أكثر من ذلك . انه أعزب
ويحتفظ بحريته وله عشيقة جميلة .

لم تحدث أى من هذه الكلمات أثراً في كارتر على الفور ،
فلم تكن تبعد عن الحقيقة ، وقد أحس بالارتياح تقريباً وهو
يسمع جاويل ينطق بها . وسأله هذا الأخير وهو يتسمم ، وفي
فضول لم يستطع إخفاءه :

— ماذا قالت لك عندما التقيت بها أمام مسكن سوليفان ؟

ابتسم كارتر هو الآخر وقال :

— قالت انها انت لكى تعيد اليه كتابا ، وانها ستمضى بعد ذلك الى حفلة العشاء .

— ضحك جاويل بصوت مسموع . وضحك كارتر هو الآخر :

— وماذا فعلت انت ؟

— اننى ... اننى تابعت طريقى .. ولم أصعد .

— لا تقل لى انها طلبت منك ان تصعد معها ؟

— بل هذا ما حدث .

ضحكات اخرى . وملا جاويل كأسيهما مرة اخرى وقال :

— انك اضعت فرصة طيبة الليلة .

— كيف ذلك ؟

— كان فى مقدورك ان تقتحم المسكن بعد ساعة تقريبا ، وان تفاجئهما متلبسين . لماذا لم تفعل ذلك ؟

خفض كارتر عينيه وقال :

— آه . اللعنة . لنذع هذا الحديث .

وغيرا مجرى الحديث وتكلما فى اشياء اخرى ، ومر بهما الوقت ، وتجاوزت الساعة الواحدة صباحا ، ووقف كارتر بمشقة ، وقال انه يجب ان يعود الى البيت .

— اوه ... لا ارى لماذا يجب ان تعود الآن ... هل تظن

ان هازل قد عادت .

ضحك كارتر عندما سمع ذلك واستقل سيارة اجرة وعاد

الى بيته . وعلق معطفه بكل ما أمكنه من هدوء وسكون في الحمام ،
ونضا عنه ثيابه وارتدى منامته ، وكانت معلقة بالباب ثم مضى
الى الغرفة . واضاءت هازل النور وقالت في صوت ناعس :

— اين كنت يا فيل ؟

أجاب كارتر :

— ذهبت لرؤية جاويل .

— جاويل .

ورفعت رأسها من فوق الوسادة وقالت :

— لماذا ؟ .. هل ذهبت اليه بعد السينما .

كان تيمى لايزال مستيقظا اذن عند عودتها . وقال لها ان
أباه دخل السينما معه . وأجاب :

— أجل .

وأدرك انه لم يفتسل فعاد الى الحمام ، ورجع بعد بضع
دقائق ومعه بدلتة ، وعلقها في الدولاب .

— وأنت ؟ .. ماذا فعلت ؟ .. كيف انتهى العشاء ؟

نظرت اليه كما لو كانت تعتقد انه ثمل .. أو لعلها نظرة
حذرة .. توشك الحقيقة على الظهور .

واشعلت سيجارة ، وأخذت منها نفسا وقالت والدخان
ينتشر حولها :

— على أحسن ما يكون

— هل تريدان أن اصدق انه كان هناك حفل عشاء
حقا ؟ .. آه ، ... لنفرغ من ذلك يا هازل .

— حسنا . لنفرغ من الأمر اذن . اننى قضيت الـامسية مع سوليفان . وكانت صحبته احسن من صحبتك لجاويل ، اذا اردت راى .

— انا قضيت الـامسية مع جاويل ، وليس فى الفراش معه .
— وانا لم اكن فى الفراش مع دافيد . استطيع ان اصور نوع القصص التى رواها لك جاويل ، وليس بمستغرب ان تهاجمنى هكذا .

— انا اهاجمك ؟

واقترب من حافة الفراش وقال :

— لماذا كذبت على بخصوص حفل العشاء ؟ .. لماذا ازعجت نفسك بالكلب ؟

— لماذا ذهبت الى جاويل ؟

— ربما لكى اعرف الحقيقة بطريقة افضل .

اخذت سيجارتهما من المنفضة ثم سحقتهما . واهتز كتفاها وراحت تبكى ، واستولى الضيق على كارتر وقال :

— ما هذا يا هازل .. دموع ؟

هزت راسها وجلست فوق الفراش من جديد . وواجهته كما لو ان شيئا قد حدث . ولم يكن بعينيهما اية دموع وقالت :

— اننى افقد دافيد ، واحتاج اليه ، واظن اننى اعتدت على الحديث معه بعد ست سنوات .

قال كارتر :

— اننى واثق من هذا .

— من السهل أن أعيش معه .. أسهل من العيش معك في الأيام الأخيرة .

— ماذا تعنين بقولك هذا بالتحديد ؟

— أنك أخذت حقنة الليلة ، اليس كذلك ؟ .. مورفين ..
اظن ان جاويل لديه كل ما يلزم .. كل ما يضر بالصحة .

— نعم . أخذت حقنة .

— أنت تبدو تماما كما كنت في السجن .. هدوء متصنع .
سكير صامت .

قال :

— يبدو أن طريقتك الليلة هي مهاجمتي .. وإخفاء نشاطك الخاص . يمكنك أن تنعني جاويل بكل النعوت ، ولكن يبدو أنه يعرف عنك أكثر مما أعرف أنا . أما عن التصنع فقد لقيت منه الكفاية من سوليفان . يمكن لهذا الوغد أن يوفر على نفسه ابتساماته ورقته .

— كتصنعه عندما حصل لك على وظيفة .. أغلق الباب يا فيل .

اساءته اللهجة التي نطقت بها كلماتها الأخيرة أكثر مما اساءته كل ما نطقت به حتى الآن . كانت سيدة نفسها ، متمالكة لأعصابها . تفكر في تيمى طبعاً وفي إمكانية سماعه جزءاً من حديثهما . وأغلق الباب في بطاء وهو يفكر في قدرة النساء العجيبة .. هازل تشرف على البيت في فريمونت ، وتهتم بمحل للشباب في نفس الوقت .. هازل تتلقى دروساً وتحصل على دبلوم .. هازل تسعد سوليفان وتسوسه ، وتسعده وتسوسه هو أيضاً في نفس الوقت . وقالت وهي تنظر إليه في حدة :

— شكرا .

احس في تلك اللحظة بالذات انها تكرهه ، وانها ربما تكره الرجل الذى أصبحه منذ خروجه من السجن . لم تكن تكرهه قبل ذلك طبعا . احس انها محته من حياتها والفت وجوده . ولكن ذلك الاحساس لم يدم اكثر من ثوان . ومر بيده على جبينه وواجهها قائلا :

— لا أنكر ان السجن غرنى . ولكننى لا أعتقد انه خلق منى مسخا . قد لا تحبيننى ولكن هذه مسألة اخرى . اننى وثقت بك وعدا الاسبوعين اللذين حدثتنى عنهما كنت اظن انك مخلصه لى .

— كل هذا الكلام الجميل وانت محشو بالمورفين .

واشعلت سيجارة اخرى وعادت تقول :

— حسن جدا يا فيل . اعرف انك عانيت الكثير فى السجن ، ولهذا السبب لم اقل شيئا ، ولم اوجه اليك اى لوم . كنت افهم انه لا بد لك من شيء لكى تتغلب على كل تلك المعاناة ، وما كنت لألومك لو انك أصبحت مدمنا فى ذلك المكان البشع . اعنى لو انك أصبحت لا تستطيع الاستغناء عن المخدر .

فتح كارتير عينيه وقال :

— انك تتكلمين كما لو اننى أصبحت مدمنا حقاً . بحق السماء يا هازل ، هذه هى المرة الاولى بل الثانية التى اتناول فيها المخدر منذ ان غادرت السجن .

— آه ، المرة الثانية ! اظن اننى أعرف الآن متى اخذت الحقنة الاولى . . يوم الخميس الماضى ، عندما قلت انك خارج لتتمشى .

وحولت عينيها عنه لحظة ونظرت الى الصوان .

— انك تحسين بالهلع من المخدر ومن الناس الذين يتعاطونه .
هل تجددين ان الخمر احسن ؟ هذا لأنه تصادف ان القانون يقر
تناول الخمر .

— لماذا لا يقر القانون اذن تناول المخدرات هي الأخرى ؟

— ربما لأن كثيرا من الناس يشرون عن طريقها .

— هل تعتبر ان تناول المخدرات عادة اجتماعية ، كتناول
الخمور ؟

— حسنا ... كلا ، لا اعتبر ذلك .

— ان الحبوب التي تتناولها مملوءة بالمورفين ، وقد تحدثت
عنها مع الدكتور ماكنسي ، وتيمى لاحظ ذلك هو الآخر . انك
لا تستطيع حتى مشاركته اللعب كما كنت تفعل مع ان من السهل
اللعب مع غلام في الثانية عشرة عنه مع طفل في السادسة من عمره .

— ليس بالضرورة . ثم ان تيمى لم يكن سهلا هو الآخر .
وانت تعرفين ذلك ، منذ ان كنت في السجن ، وأنا لا الومه ،
فلا بد له من وقت ، وأعرف ما عاناه في المدرسة بسببي .

— وهل تدرك مدى ما عانيت أنا الأخرى ؟ هل تظن ان هناك
امراة تفخر بأن زوجها قضى مدة عقوبة في السجن ؟ .. هل تظن
ان من السهل ان تقنع أم ابنها ببراءة أبيه ، وهو يعرف انه يقضى
فترة عقوبة في السجن ؟

— اننى ادرك كل ذلك يا حبيبتي . وماذا تريدان أن أقول
لك أكثر من أننى آسف لأن هذه القصة البغيضة قد وقعت ،
ولكنك تراوغي وتبتعدين عن الموضوع .

سكنت . عرفت ماذا يعنى . وسألها أخيرا :

— من تريدین ؟ ... أنا أم سوليفان .

— اننى افتقد دافيد . لا يمكن أن أعيش من غير أن أراه ،
وان اتحدث معه .

— وان تنامى معه ؟

لم ترد على ذلك السؤال فقال :

— هذا جزء من الموضوع ، اليس كذلك ؟

— كان ذلك فيما مضى .. وقد حاولت .. أعنى النوم معه
لم يعد بالشئ المهم .

قال كارتر :

— قد يكون ذلك بالنسبة لك .

— انك لا تستطيع أن تفهم . أظن ان الأمر بالنسبة لى هو
ان أراه من وقت لآخر لمدة ساعة أو أقل ، عند الأصيل ، لا لشيء
الا لكى أتجاذب الحديث معه .

— جاويل يمتقد ذلك ، وقد التقط لك صورا وانت
تدخلين بيت سوليفان ، وهى صور حديثة .

— حسن جدا . الآن وقد عرفت أظن ان خطط جاويل لن
تفلح .. ذلك اذا كانت لديه أية خطط .

سألها :

— اذا كنت تعنين ان هذه هى حياتك فمعنى ذلك انك لن
تنظى عنه .. اليس كذلك ؟

— انك لا تفهم النساء ، ولم تفهمنى أنا بالذات .

سحق كارتر سيجارته وقال :

- انك تريد ان تفهم نفسك . استطيع ان افهم رغبتك في
التحدث مع سوليفان ، واستطيع ان افهم الصداقة ، ولكن لسوء
الحظ استطيع ان افهم ميل المرأة الى اضافة ذرة من الملح الى
الموضوع بأن ترقد مع صديق اذا طلب منها ذلك ، واستطيع
ان افهم بكل تأكيد ان يطلب سوليفان ذلك . واى رجل لا يفعل ؟
ولكن هل يمكن ان تفهم انك زوجتى او هذا امر عسير على
الفهم .

- حدث هذا وانت فى السجن ، واننى اتساءل هل كنت
بريئا جدا فى السجن ؟ .. لم الق عليك اى سؤال بخصوص ذلك .
ابتسم كارتر وقال :

- ليس فى السجن رفاق ، الا اذا رغب رجل فى رجل
آخر ، وهذا شئ مألوف .
- انت وماكس مثلا ؟
- ماذا تعنين ؟

احس كارتر بالدم يتصاعد الى وجنتيه وقال :
- اننى احببته ، نعم ، ولكن ليس بالطريقة التى تعنين .
- ألم تفكر فى ذلك حقا ؟
ضاقت عينا كارتر ، وكرهها عندئذ ، فقد رآها حقيرة
وبديئة وفاجرة ، وقال :
- اننى لن ارد على هذا السؤال البغيض .
- قد يكون هذا بمثابة رد على كل حال . ومهما يكن فلعل
ماكس مات قبل الاوان .

— كفى يا هازل . . انك تريد الامور سوءا .

نه اوه ، انا التى ازيد الامور سوءا ؟

— تريدن معاقبتى وتلوميننى على افكارى ؟ مر ذلك بذهنى طبعاً ، وربما فى ذهن ماكس ايضا . هل تريدن أن أقول لك بكل ابتذال ان مثل هذا الأمر يحدث فى السجون طوال الوقت لأنه ليس هناك شيء آخر . كيف يمكنك مقارنة ماكس بسوليفان ؟ لقد كان ماكس خير صديق لى فى ذلك المكان البغيض . كنت أجد عزائى فى التفكير فيه عن التفكير فيك أنت وسوليفان ، وعما تفعلان . لم أجد بدا من أن أمنحك ثقتى فى تلك الأيام لافتقارى الى الدليل . واذا أردت الحق فأننى رحت أتعاطى المخدر حتى لا أفكر فيكما على الإطلاق ، وحتى لا أعرف بينى وبين نفسى أنك تنامين معه طوال تلك السنين ، لأن التفكير فى ذلك كان يمكن أن يقضى على .

— تعاطيت المخدر اذن ؟

ذكرته حدة لهجتها بغيرتها من ماكس عندما حدثها عنه لأول مرة ، أحست عندئذ بغيريتها كامرأة بعدى تلك الأهمية . ولكن ماكس مات وهو لا يتذكر انه كانت له به أية علاقة بدنية ، فيما عدا ظهر ذلك اليوم عندما أمسكه ماكس من كتفه ودفعه فوق فراشه . لم يقل لنفسه أبدا « أننى أحب ماكس » . ومع ذلك فقد مرت به فترة تعلق فيها به تعلقه بهازل ، لا لشيء الا لأنه كان موجودا معه . كان ذلك أمرا بسيطا ومعقدا فى نفس الوقت . وقطب حاجبيه وحقق فى هازل فسأله :

— فيم تفكر .

بدا وجهها الجميل خاليا من كل تعبير ، كحقل جاف ينتظر
مطر الأفكار .

– اننى افكر فى كل الكلمات التى نطقت بها الليلة .. كل
ما قلت .. بكل تلك المراة .. انما هو جزء من كفاحك من اجل
الاحتفاظ بدافيد .. انك لن تهجريه : اليس كذلك ؟

غرزت رأسها فى وسادتها أكثر ، كما لو كانت لا تشعر
بالارتياح وقالت :

– لا أدري .

تقدم منها خطوة وهو يقول :

– أود لو تكونى صريحة .. قولى نعم أو لا .

– لا أستطيع .

واطبقت عينيها .

– اننى أريدك يا هازل .. أريد أن تعودى الى .

– لا أستطيع التحدث فى هذا الأمر الليلة .

أحس بالحيرة وقال :

– استقبلنى سوليفان فى بيته لكى يقول لى هو الآخر أن
الأمر لم يستمر بينكما غير أسبوعين وأربعة أيام . انه حفظ
الدرس جيدا ، بل انه لم يجد الجراءة لكى يذكر لى الحقيقة .
أتحبين إذن الرجال الذين يفتقرون الى الشجاعة والجراءة ؟

– نعم . اننى أعرف أنه ضعيف .

– بل هو جبان . لايزال الأمر مستمرا بينكما ، اليس
كذلك ؟

قالت وهي تطبق عينيها ، مقطبة الجبين :

— ليس حقا .. ليس حقا .. دعنى انام .

مزف كارتز من المضى فى استجوابه تلك الليلة ، وراى فى
مرح وفى غير اكتر اذ انه لا يدمن المخدرات وانما يدمن هازل ،
وادرك انه لم يوجه اليها اى انذار .. مثلا .. لابد ان تهجره
والا فسوف افعل كذا . وادرك ان هازل ليست بحاجة الى
انذار . وابتعد عن الدولاب الذى علق فيه منامته ونظر اليها .
كانت قد اولت وجهها نحو حافة الفراش وعيناها مطبقتان .

قال جريج في التليفون :

- آلو فيل .. كيف الحال ؟

القي كارتر نظرة حوله ، في غرفة المعيشة ، رغم انه كان يعرف ان تيمى في غرفته وان الباب مغلق بالطبع : على ما يرام .
- خطر لى انك ربما تبادلت حديثا مع زوجتك في تلك الليلة .

قال كارتر وهو يأخذ نفسا من سيجارته :

- كلا .

- أوه ، هيا يا فيل .. يمكنك ان تصارحنى .. هل معك احد ؟ .. ربما الطفل ؟

عاد كارتر يقول :

- كلا .

قال جاويل :

- اننى اعرف ان هازل غير موجودة .

كانت هازل قد تأخرت شيئا ما الليلة ، ولكنها قد تعود ما بين لحظة وأخرى ، والظاهر ان هناك ، في هذه اللحظة ، من يراقب البيت ، فهو نفسه قد عاد لتوه ، وقال يسأل :

— ماذا تريد يا جريج ؟

— هل ستستمر زوجتك في رؤية ذلك الرجل ؟ .. هل وعدتك بشيء ؟

ود كارتر لو يعيد السماعه مكانها ، ولكنه اكتفى بأن شدد الضغط عليها بيده اليسرى وهو فريسة لغضب صامت . وعاد جريج يقول :

— لا أعرف لماذا لا تريد أن تصارحنى يا فيل .

— لأنه ليس لدى ما أقول حقا .

وأعاد السماعه مكانها ومضى الى المطبخ ، وصب لنفسه كأسا من الويسكى جرعه مرة واحدة . لم تتقدم الأمور قيد أنملة منذ أن تحدث مع هازل مساء يوم الثلاثاء ، واليوم الخميس ، كان بينه وبين هازل جو عدائى صامت ، وتساءل اذا كان تيمى قد لاحظ ذلك وقال :

— نعم ، مع كل الاحتمالات . والواقع انه كان ينتظر أن تقول هازل شيئا ، ولكنها لظمت الصمت ، وقد يمر اسبوع أو أقل من اسبوع وتقول له ان فيليس ميلن أو اى صديقة أخرى دعته لتناول العشاء معها ، أو انها قد تتأخر فى المكتب الى وقت متأخر من الليل لكى تقضى السهرة مع سوليفان ، ولعلها معه الآن . أفلم تقل له انها سوف تستمر فى رؤيته والنوم معه . لو أن لها اية رغبة صادقة فى قطع صلتها به لصارحته بذلك الآن ، ولكنها تتصور انه يحبها بحيث لا يتخلى عنها ، وقد وقفت الأمور عند هذا الحد .

أحس كارتر مرة أخرى بأنه يجب أن يقدم على ما سبق ان فكر فيه قبل حديث مساء الثلاثاء .. سيمضى الى سوليفان

لكي يتحدث معه ويطلب منه ان يكف عن لقاء زوجته والا ...
الا ماذا ؟ ان القسانون لا يتكفل بحماية حقوق الزوجية او اقامة
حارس على هازل . ابتسم ازاء هذه الفكرة .. كل ما يستطيعه
هو ان يطلب الطلاق . ولكنه لا يستطيع ان يتخلى عن هازل ..
ان الدنيا عجيبة حقا .

اقبلت هازل ، ونظرت الى الكأس التى فى يده وقالت :

— مساء الخير .

— مساء الخير .. هل اقدم لك كاسا ؟

— شكرا .. اننى تناولت كاسا .. جاء مستريرز وأصر
على أن أخرج معه لتناول كأس من الشراب ، وأعطاني مرة أخرى
ملفا من ستين صفحة لدراسته .

والقت على المنضدة ملفا ، ثم اعتذرت وتمطت وهى تبتسم :

— معذرة .. اننى مرهقة . الا يمكن أن نمضى لتناول العشاء
فى المطعم الصينى ؟ ان تبمى يحبه جدا ، ولا أجد من نفسى
الشجاعة للوقوف فى المطبخ لطهو أى شىء بعد العمل الشاق
الذى قمت به الليلة .

— انا موافق طبعاً .

واسرع لابلأغ تيمى بالنبا السعيد . سوف يتناولون العشاء
فى المطعم الصينى . ومهما حدث فقد أحس بأنه فى تلك الليلة
أحسن حالا من الليلتين الماضيتين لأنه اتخذ قرارا ، ورغم سداجة
ذلك القرار فسوف يطلب من سوليفان أن يكف عن النوم مع
زوجته ، وسوف يرد سوليفان عليه بشىء ما .. اما أن يعده
بذلك أو أن يقدم له نصف وعد ، وسيقول له عندئذ ان يذهب
الى الشيطان . وتساءل اذا لم يكن من الأوفق ان يتصل به

تليفونيا ، ولكنه رأى ان لا يفعل ، فقد يتهرب منه بحجة ما او ان
يواجه اللقاء الى ما بعد ، وكان واثقا كل الثقة بان هازل قد نقلت
اليه ما دار بينهما من حديث يوم الثلاثاء .

وفي يوم الجمعة استقل الأوتوبيس بعد مغادرته المكتب ،
ومضى راسا الى بيت سوليفان . كان الرذاذ يتساقط ،
ورائحة حطوة للربيع تعطر الجو . ودق الجرس الخاص بشقة
سوليفان . ونظر الى ساعته . . السادسة الا سبع عشرة دقيقة .
لعله جاء مبكرا ، او لعل هازل معه الآن . وابتسم مقطبا ازاء هذه
الفكرة . وانفتح باب البيت ، فارتقى السلم بدلا من الصعود في
المصعد البطيء ، وبلغ الطابق الثانى حيث يقيم سوليفان عندما
دفعه رجل وهبط السلم ركضاً ، وكانت الصدمة من العنف
بحيث تسببت في غضب كارتر . ولم يعتذر الرجل وانما استمر
يجرى حتى بلغ أسفل السلم ، وطرفا جاكته يتطايران مع الهواء .
وانصفق باب البيت في عنف .

وقال سوليفان وهو يلهث :

— اوه ، فيل ... فيل ...

كان واقفا بالبلب والهلع في عينيه . وعبس كارتر وسأله :

— ما الذى حدث ؟

اجاب سوليفان وهو يفك عقدة رباط عنقه ويفتح ياقته :

— ادخل ، يا الهى ! ... انك انتقلت حياتى ... تعال
وتناول شرابا .

ومضى نحو ركن غرفة المعيشة حيث البار المتحرك .

اغلق كارتر الباب خلفه وقال :

— انتقلت حياتك ؟ .. وكيف ذلك ؟

أجاب سوليفان وهو يرفع كأسا من الويسكى الى شفثيه :
- معذرة .. هل رأيت ذلك الرجل الذى هبط الدرج
مسرعا ؟

- اجل .

- انه احد اصدقاء جاويل . طرق الباب ولم اعرف من
هو ، وتركته يدخل ، فقد قال لى انه قادم ليحدثنى عن وثيقة
التأمين .

ومر بلسانه على شفثيه المتقعتين . كان يبدو كما لو انه
تفرغ من دمه واستطرد : وشهر خنجرا واندفع نحوى وشدنى
من قميصى .

ورأى كارتز زارا يتدلى من سترة سوليفان ، وصدر
قميصه مجعدا .

- ولو انك لم تدق الجرس لقضى على .

كان سوليفان يبدو فى حالة يرثى لها . وقال كارتز لنفسه
فجأة :

اهذا هو الخنزير الذى ينام مع زوجتى . وتقدم نحوه ،
ولم يدر هذا الاخير ما ينوى كارتز ان يفعل الا عندما انقض عليه
وضربه على عنقه بظهر يده . وترنح سوليفان ، وعندئذ فقد كارتز
كل ادراك ، كما سبق ان حدث له فى السجن فى ثورته عندما
رأى ماكس ميتا ، رغم انه لم يفكر فى ماكس فى تلك اللحظة او فى
اى شىء آخر . وكان لابد من ان يقع سوليفان ويتكوم حول نفسه
وهو يشد بيديه على بطنه كما لو كان يشعر بألم شديد ثم يتوقف
عن الحركة لكى يراه كارتز على حقيقته ويتوقف هو الآخر . وبقي

هادئا بضع لحظات ريثما استرد أنفاسه ثم بصق على وجه سوليفان ، وركله بقدمه ، ولكنه إخطأه .

سار كارتر حتى الباب ، والتفت . لم يكن هناك أى شك فى أن سوليفان مات . ورأى فوق المقعد المستطيل ، بجوار سوليفان إحدى الأقدام الرخامية اليونانية . لحظها فحسب لأنها لم تكن فى مكانها الحق ، ثم أغلق الباب وهبط السلم . هبطه بسرعة عادية وبهدوء تام . وتساءل من يكون رجل جاويل . . هل هو نفس الرجل المتين البنية الذى رآه مع الشقراء .

وفى الشارع ، أحس بشيء من التوعك كما لو أنه يوشك على الانغماء فتوقف وتنفس فى عمق بضع مرات وهو يقول لنفسه :

— لا تفكر لا تفكر فيما فعلت . وتجمد كل شيء فى ذهنه ، ولم يفكر فى أية خطة . ورفع رأسه ، وسار حتى آخر الشارع ثم تحول الى اليمين ، ولم يكن بعيدا جدا عن بيته ، وأحس برغبته فى السير ، وتوقف فى بار وتناول كأسا من الويسكى ممزوجا بالماء .

قالت هازل فى مرج عندما رآته يدخل :

— هالو فيل ، هل تعرف ما حدث اليوم ؟ . . شيء لا يصدق .

قال وهو يلقي بالجريدة التى اشتراها فوق المقعد :

— ماذا ؟

— حصلت على علاوة .

— أوه . . . اننى أهنيك .

نظرت اليه وهى لاتزال تبسم وقالت :

وقد اشتريت بعض الحمام احتفالا بهذه المناسبة . هل
تستطيع ان تأكل واحدة ؟

— اظن ذلك ، وهل تستطيعين تناول كأس من الشراب ؟
— طبعا .

وسار كل شيء في هدوء ومرح حتى قبيل الساعة التاسعة
عندما دق جرس التليفون ، وقال صوت رجل :
— هل مسز كارتر موجودة ؟
أجاب كارتر :

— نعم .. لحظة واحدة .. المكالمة يا هازل .
أقبلت هازل من المطبخ حيث كانت تعيد ترتيب الأطباق ،
وتناولت السماعة ، وأشعل كارتر سيجارة وهو يعرف ما سوف
يحدث . وصاحت هازل :

— رباہ ! ... كلا ، كلا ... طبعا لا ... لم أره .
ونظرت الى كارتر فقابل نظرتها ببرود ، وعادت تقول في
التليفون :

— اظن !ننى رايته منذ ثلاثة او اربعة ايام ، ولكننى تحدثت
اليه صباح اليوم .. أوه ...
وجلست على حافة المقعد :

— حسنا ... حسنا ... بالطبع ، أشكرك .
والقت سماعة التليفون مكانها وهى ترتعش وسألها كارتر :
— ما الخبر ؟

وكان تيمى جالسا فوق الأرض ، فنهض تاركا كتبه وقال
هو الآخر :

— ما الخبر يا إمام ؟

— دافيد قتل .

صاح تيمى :

— قتل .. افى حادث سيارة ؟

قالت فى صوت مضطرب :

— بل اغتيل .. هو جاويل بالتاكيد .. جاويل او احد
أموانه .. هذا الوغد الحقير .

وضربت ذراع مقعدها بقبضة يدها .

أتاها كارتر بكأس من الويسكى القراح فأخذته منه بحركة
آلية ولكنها لم تشرب وقالت :

— يقولون ان ذلك حدث منذ بضع ساعات تقريبا . كان
قد دعا آل لافرتى لتناول العشاء معه . وقد ذهبوا تلبية لتلك
الدعوة ودخلوا البيت ولكن أحد الجيران قال لهم انه سمع ضجة
غريبة فى نحو الساعة السادسة .. كسقوط جسم ثقيل ..
واستدعى مستر لافرتى البواب الذى فتح لهم الباب ووجدوه .

واحتبس صوتها لفرط الدموع . وسألها كارتر :

— وكيف قتل ؟

— ضربه القاتل على راسه بشيء .. والمعتقد انه قطعة من
الرخام اليونانى .

تنحنح كارتر . كان يقف بين هازل والمطبخ . وقال :

— هل طلبوا منك الحضور ؟

— كلا . قالوا انهم قد يتصلون بي غدا . قال لهم آل لا فرتى ان يتصلوا بي ، واظنهم يتصلون الآن بكل اصدقائه . ولكننى لا ارى فيم يقدمهم هذا فى حين انهم يجب ان يتصلوا بجاويل .

وامسكت سماعة التليفون وبدأت تدير القرص عندما سألتها كارتر :

— هل البوليس لدى سوليفان ؟

فكر فى بصمات الأصابع فجأة .. على القدم الرخامية وعلى اكرة الباب بالتأكيد ، ولم تجبه هازل :

— آلو .. هنا مسز كارتر .. اردت ان اقول لكم .. اتفق لى ان اعرف ان لدافيد عدوا .. جريجورى جاويل ، وقيم بلونج ايسلاند .. لا أعرف العنوان بالضبط .. انتظر لحظة .. قيل .. ما هو عنوان جاويل ؟

تظاهر كارتر لحظة بأنه يفكر فى حين انه كان يعرف العنوان جيدا ، وقال اخيرا :

— رقم ١٧ بالشارع السابع والأربعين بماكسون هيتس .
واعادت هازل سماعة التليفون فى هدوء .

توجيههم الى جاويل كان توجيهها مباشرا اليه هو بالذات . كان يعرف ذلك جيدا ، فان الرجل الذى اندفع يهبط السلم وكضا قد رآه دون شك . ولكنه أدرك انه هو نفسه من يستطيع التدليل على شخصية ذلك الرجل اذا طلب منه البوليس ذلك . انه عاد متأخرا بعض الشيء الليلة فكيف يفسر لهم ذلك . عاد فى السادسة والدقيقة العاشرة بدلا من السادسة ، ومهما يكن ،

وما لم تجعل البصمات الأمر صعبا بالنسبة له فإنه سيقول لهم
انه لم يذهب الى مسكن سوليغان . وقالت هازل في التليفون انه
لأمر معقد طبعا .. كان دافيد يعلم دائما ان جاويل رجل شرير ،
وانه يكرهه (وسكنت لكى تصفى ثم) حسن جدا .. ولكن
معذرة ، هل أستطيع الاتصال بكم الليلة .. فيما بعد .. هل
سيكون هناك أحد ؟ .. أوه ، حسن جدا . أشكرك . الى اللقاء
(وأعادت السماعه مكانها) انهم ماضون راسا الى جاويل دون أن
يتصلوا به تليفونيا .

— متى حدث هذا ؟

— انهم يعتقدون فيما بين الخامسة والسادسة . قلت لهم
ان دافيد لا يعود الى بيته طبعا قبل الخامسة والنصف ، ويبدو
ان هناك من تبعه حتى بيته .. لا اظنه جاويل بنفسه .. وانت ؟
ونظرت الى كارتر نظرة خطيرة كما لو ان فى استطاعته ان
يرد . وحدث كارتر نفسه فقال :

— ان الحزن يعصف بها رغم الكلمات المعقولة التى تنطق
بها ، وانها ما كانت لتشعر بنفس هذا الشعور لو ان شيئا قد
حدث له هو بالذات ، وهز رأسه وأسرع يقول :

— أعتقد انه قد يكون جاويل .. سوف تكشف
البصمات ذلك .

وكان تيمى يقف فاغرا فاه وهو ينظر الى هازل . وقال
كارتر لنفسه :

— انه يبدو كما لو ان أباه هو الذى قتل . وقالت هازل :
— لا يبدو عليك أى اضطراب .
فتح ذراعيه وقال :

— اضطراب ؟ .. ماذا تريد أن أفعل ؟ .. أنتى مضطرب
طبعا .. هل سيعاودون الاتصال بك الليلة ؟

— لا أدري .. لا اظن ذلك .. (ونظرت الى ساعتها)
سأتصل بآل لافرتى فيما بعد .. أنتى ...

ونفضت فى بطء ورفعت يدها الى عنقها ، واقترب كارتير
منها وقال :

— هاز .. هل أنت بخير ؟

— أشعر بالفشيان تقريبا . اظن أنتى سامضى واستلقى فوق
الفراش .. ولكن اذا رن التليفون ...

أوما كارتير برأسه وقال :

— ما رأيك فى تناول شراب ؟

— كلا . شكرا .

كان واثقا أن التليفون سيرن الليلة .. ووضع يده على كتف
تيمى ، وكان واقفا يحدق فى المقعد الذى تركته هازل لتوها .

— تيمى .. ما رأيك فى الذهاب الى الفراش أنت أيضا ؟

تنفس تيمى بصعوبة ، ثم انفجر باكيا . وضرب برأسه
مسند المقعد ثم نهض فجأة وقال :

— أدر الراديو .. لعلمهم اكتشفوا القاتل .. والتليفزيون .

أدار كارتير مفتاح التليفزيون ، ولكنه كان يعرف أنهم لن
يذكروا شيئا عن الجريمة فى نشرة أخبار الساعة العاشرة .

رن جرس التليفون في الساعة العاشرة والنصف ، وسمع
كارثر صوتا يقول : مفتش البوليس اوستريخر يتكلم .. اهذا
انت يا مستر كارثر ؟

نعم .

قال المفتش في صوت هادئ :

- نود ان نتحدث معك انت وزوجتك بضع دقائق الليلة ،
اذا لم يكن في ذلك ازعاج لكما .

- حسنا . ليس هناك اى ازعاج طبعاً .

- سنصل بعد نحو عشر دقائق .

كانت هازل واقفة بعتبة الباب ، بقميص النوم ، فقال :

- البوليس .. هم قادمون .

- هل قالوا شيئاً آخر .

وصلا قبل مضي الدقائق العشر .. المفتش اوستريخر ،
وهو شاب متين البنية ، أزرق العينين على مشارف الثلاثين من
عمره ، يرافقه شرطى ، هو الآخر ، أسمر اللون . ودخلت هازل
غرفة المعيشة مرتدية منامتها الزرقاء وجلست على الأريكة .

وجلس رجلا البوليس بدورهما بعد أن خلعا معطفيهما . وأخرج كل منهما دفترا صغيرا وقلما من الحبر الجاف .

بدأ المفتش بسؤال كارتر عن اسمه وسنه ومهنته وعنوان عمله ، ثم ألقى نفس الأسئلة على هازل ، وقال في صوت هادئ :
- أين كنت اليوم يا مستر كارتر ، فيما بين الخامسة والسابعة ؟

أجاب كارتر :

- كنت في مكتبي ثم عدت الى البيت ووصلت هنا في نحو السادسة .

- هل يمكنك أن تذكر لنا حركاتك بالتحديد . . قلت لنا ان مكتبك يقع على ناصيتي الشارع الثاني والشارع السابع والثلاثين .

- نعم . وركبت الأوتوبيس في الشارع الثاني .
- في أية ساعة ؟

- في نحو الخامسة والنصف على ما أعتقد (كان يعرف انه غادر المكتب قبل ذلك بدقائق) وكان الأوتوبيس مزدحما ، واضطرت ان تنتظره بضع دقائق . ثم هبطت قبل محطتي ، في الشارع الرابع والثلاثين ، وواصلت طريقى سيرا على الأقدام . واشتريت جريدة .

- لماذا هبطت قبل محطتك ؟

- كان الأوتوبيس مزدحما جدا وفضلت السير على قدمي .
- هل كنت بالبيت عندما عاد يا مسز كارتر ؟
- نعم .

راى كارتر انه كان يمكنها ان تقول انه عاد بعد السادسة
بقليل ، اذا كانت قد لاحظت ذلك . ولكن لعلها لم تلاحظ .

— متى رايت مستر سوليفان لآخر مرة يا مستر كارتر ؟

تحول كارتر آليا نحو هازل وقال :

— ألم يكن ذلك عندما إقبل لتناول العشاء هنا ؟

اجابت هازل :

— نعم . منذ عشرة أيام .

أما هازل فقد راته بعد ذلك . وحدث كارتر نفسه فقال
انهما سيطرقان الموضوع المهم بعد لحظات . ودعك راحتيه في
ركبتيه في عصبية كاشفا عن ابهاميه المحمرين .

— وانت يا مسز كارتر .

— رايت يوم الثلاثاء .

سألها أوستريخر . . يوم الثلاثاء . . ليلا ؟

— نعم .

— هل من عادتك رؤية مستر سوليفان بعيدا عن وجود
زوجك يا مسز كارتر ؟

استندت هازل رأسها على مسند مقعدها وقالت :

— اتنى واثقة اننى أعرف ماذا قال جاويل لكما ولهذا
لا حاجة بك الى اللف والدوران حول هذا الموضوع .

— وهل هذا صحيح يا مسز كارتر ؟

— بعضه صحيح .

- هل كنتما عشيقين ؟

- نعم . كنا عشيقين .

- بموافقة زوجك ؟

نظر أوستريخر الى كارتر ، ولم تتغير ملامح كارتر ،
أو اعتقد ذلك على الأقل ، وحدى في مكان ما نحو الضوان .

- ليس بموافقة زوجي تماما .. كلا .

- وتحدثت أنت وزوجك في ذلك مساء الثلاثاء .

- نعم ، في وقت متأخر من مساء الثلاثاء .. بعد ان عدت .

نظرة جديدة الى كارتر :

- وهل نطق زوجك بتهديدات نحو مستر نسوليفان في
تلك الليلة أو في أى وقت آخر ؟

اجابت هازل :

- كسلا .

تحول أوستريخر الى كارتر وقال :

- وانت ؟ ماذا كان موقفك بصراحة من مستر نسوليفان ؟ ..
ماذا كانت مشاعرك نحوه ؟

فتح كارتر ذراعيه وقال :

- انا ؟ ... وتجمدت الكلمات في حلقه فجأة .. كنت
اعرف انه كانت بينهما علاقة وجيزة منذ بضع سنوات ، ولكننى
عرفت هذا الأسبوع ان تلك العلاقة مازالت مستمرة بينهما (كان
امرا فظيما وبغيضا ، ولكنه كان متأكدا ان جاوليل تكلم وانه ذكر

التواريخ وعدد المرات التي زاره فيها وسمع التسجيلات) لم أجد الوقت الكافي للتفكير في مشاعري نحوه .

— ألم تحاول أن تراه وأن تحدثه منذ مساء الثلاثاء . .
حدثني جاويل عن يوم الثلاثاء .

— كلا .

— وهل كنت ذلك ؟

نظر كارتر اليه وقال :

— الحق اننى لم افرغ من هذا الموضوع مع زوجتى . . لم اعرف ماذا تنوى ان تفعل .

— يؤسفنى ان القى عليك أسئلة خصوصية كهذه ، ولكن
اى نوع من الحديث دار بينكما يوم الثلاثاء ؟

نظر أوستريخر اليهما ، الواحد بعد الآخر ، وفجأة رأى
كارتر تيمى واقفا بالبيجاما بعتبة الباب ، فنهض ومضى اليه وقال :

— عد الى غرفتك يا تيمى . . امض . . سنذكر لك ما حدث
غدا صباحا .

سأله تيمى :

— هل يعرفون من قتل مستر سوليفان ؟

— لم نعرف شيئا حتى الآن . . سأراك فيما بعد .

واخذ ابنه من كتفه ، ومضى به ، رفعا عنه ، الى غرفته ،
واغلق الباب . وسأله أوستريخر عندما عاد :

— وماذا كانت نتيجة حديثكما يا مستر كارتر ؟

أجاب كارتر وهو يلقي نظرة الى هازل :

— أوه ، اعترفت زوجتي بأن العلاقة مازالت مستمرة
تقريباً .

— هل طلبت منها أن تقطع هذه العلاقة ؟

— ليس تماماً .

وقالت هازل :

— سألني ماذا أنوي أن أفعل واجبته بأنني لا أدري . وهذه
هي الحقيقة .

سألها أوستريخر :

— هل كنت تحبين مستر سوليفان يا مسز كارتر ؟

— اعتقد ذلك . . نعم .

— وقلت ذلك لزوجك ؟

— تقريباً .

— هل كنت تنوين فسخ زواجكما ؟

هزت رأسها واجابت :

— ان لنا ولداً كما تعرف .

— نعم . أعرف ذلك . لم يكن الموقف اذن قد تقرر .

— اعتقد ذلك .

تحول أوستريخر نحو كارتر في انتظار رده ، فقال :

— نعم .

قلب أوستريخر صفحة من دقتره وتلاها بصفحات أخرى وهو يقرأ الملاحظات ثم قال فجأة :

— سأضطر إلى أخذ بصماتك يا مستر كارتر .

أخرج الشرطي الشاب الأدوات اللازمة من حقيبته .

أدرك كارتر أن معنى قوله هذا أنهم عثروا على بصمات واضحة في مسكن سوليفان ، وأنهم يريدون مضاهاتها ببصماته . وقال أوستريخر وهو يضغط بأطراف أصابعه على الورقة :

— قال جاويل أنك جرحت في إبهاميك أثناء إقامتك في السجن .

— نعم .

آلمه إبهاماه بشدة ، وكان قد أخذ قرصين من البانانود قبل العشاء ، وأشفق مما سيفعله أوستريخر به . وقال هذا الأخير :

— سأدعك تضغط على إبهاميك بنفسك ، ذلك إذا استطعت الضغط بما فيه الكفاية .

ضغط كارتر أصابعه على الورقة بكل ما استطاع من قوة حتى لا يضطر إلى إعادة الكرة ، وقال أوستريخر :

— اننا عثرنا على بصمة في مسكن سوليفان ، ولكنها ليست من الوضوح بما يكفي لسوء الحظ . عثرنا عليها على القدم الرخامية التي نعتقد أنها استخدمت في قتله ، وسطح الرخام خشن جدا ، ولكننا رفعنا البصمة على كل حال . وكانت مقابض الأبواب ملوثة جدا بحيث لا يمكن أن تفيدنا . وبصمة الأصبع التي عثرنا عليها يحتمل أن تكون بصمة الأصبع الوسطى .

وقال وهو يشير الى بصمة بجوار البصمات التي طبعها
كارتير :

— ها هي .

لم ينطق كارتير بشيء . كان يعرف أنه ضرب سوليفان على
جانب من عنقه ، الضربة الأولى ، والظاهر أنه لم يكن هناك
أى اثر لكدمة واضحة أو أنها لم تستلفت النظر .

وعاد أوسترينجر الى جاويل :

— منذ متى يعرفه كارتير ، وما رايه فيه ، وهل يظن أنه
اشترك في عملية الاختلاس التي تسببت في سجنه . ولماذا ذهب
لرؤيته يوم الثلاثاء .

قال له كارتير ان جاويل اتهم زوجته بأنها على علاقة
بسوليفان ، وأنه أراد أن يتأكد اذا كان لديه أى دليل على ذلك .

— وهل كان لديه دليل ؟

— أوه ، بعض الشيء . ليس كما كان يزعم ، ولا ريب أنك
لاحظت أنه مخبول .

— مخبول ؟ ... ماذا تعنى ؟

— انه مصاب بداء الهذيان والتشكك . كان يكره سوليفان
ويضخم الضرر الذى تسبب له فيه ، كما حاول ان يضخم العلاقة
التي بين سوليفان وزوجتي . (وأجس . وهو يتكلم باحساس
غريب يعتريه ، وقال لنفسه انه يجب أن يتوخى الحذر . كيف
يمكنه تضخيم علاقة .. وهل لها وجود أم لا ؟ ..) أعنى ان
جاويل حاول أن يدفعنى الى قتل سوليفان ، وكان هذا من
الوضوح بحيث استغريت الأمر وأجبت بآنى لن أقدم على ذلك
وأن (عليك أنت ان تفعل ذلك لأنك تكرهه أكثر منى) .

أصغى أوستريخر إليه في اهتمام .. اهتمام شديد بحيث
أنه سها عليه أن يدون ملاحظاته ، ولكن الشرطي الشاب اهتم
بذلك .

— قلت له أنك لن تقدم على قتله .

— شيء من هذا القبيل . نعم ، أنا واثق أن جاويل لم يذكر
لك ذلك .. اننى متأكد انه يحاول الصاق هذه التهمة بى .

ابتسم أوستريخر ابتسامة خفيفة وقال :

— نعم ، انه حاول ذلك . ولكن أنت الآخر تحاول الصاق
التهمة به .

نظر كارتر الى هازل . كان وجهها متوترا . ولكن رأسها
كانت لاتزال مرتكزة على مسند المقعد . وعاد أوستريخر يقول :

— هل قلت لجاويل أنك .. أنك ، طبقا لأقوال جاويل ،
هددت بأن تقتل مستر سوليفان .. هل قلت له يوم الثلاثاء
الماضى أنك سوف تقدم على ذلك ؟

أخذ كارتر نفسا عميقا وقال :

— هذا كذب . أنا متأكد تماما أن جاويل قال لك هذا ..
متأكد تماما انه يريدك أن تقتنع بذلك .

ونظر الى هازل ، واستطرد :

— سئل زوجتى . هل كنت أبدا غاضبا مساء الثلاثاء
أو اذا كنت قد نطقت بأى تهديد .

ووقف واتجه الى المطبخ وهو يقول :

— معذرة . سأشرب كوبا من الماء . أريد أحدكم أن
يشرب ؟

- لم يرد عليه أحد . وقالت هازل :
- لم يتفوه زوجي بأى تهديد .
- سمعها كلوتر تقول ذلك بكل وضوح وهو في المطبخ ، وعندما عاد سأل أوستريخر :
- هل سجنتم في الجنوب قبل هذه القصة .
- اجاب كلوتر :
- كلا .
- قال لنا جاويل انك قضيت هناك ست سنوات .
- هذا صحيح . ست سنوات .
- نظر أوستريخر الى الشرطي وقال :
- حسنا . سوف نرى بماذا ستخبرنا بصماتك .
- هز الشرطي راسه وقال :
- سوف اهتم بذلك يا سيدى .
- نهضت هازل وقالت :
- هل ستتصل بنا غدا ؟ . . او نتصل بك نحن ؟
- أوما أوستريخر برأسه وقال :
- سوف نتصل بكما بكل تأكيد .
- وسأله هازل :
- وهل ستتحرى عن اصدقاء جاويل ؟
- انه تناول الطعام مع صديقين ، وبقي معهما من السادسة

حتى العاشرة . وقد استجوبتهما ، كما استجوبت صاحب المطعم ،
ولكننا سنستجوبهم ثانية طبعاً .

قالت هازل وهي تبسم ابتسامة مريرة :

— لا اعتقد أن جاويل فعلها . ولكن له أصدقاء كثيرون ،
وجميعهم من أصدقاء السوء .

أجاب أوستريخر :

— نعم . اننى أفهم ما تعنين .

مضى هو والشرطى الشاب نحو الباب ، وفتحته كارتر لهما ،
وخرجتا .

توقفت هازل وهي فى طريقها الى غرفة النوم ، ونظرت الى
كارتر وقالت :

— سوف نعرف الحقيقة من البصمات غدا ، الا تظن ذلك ؟

أوما كارتر وقال :

— ذلك اذا كانت واضحة بما فيه الكفاية .

وأفرغ المنفضة وغسل الكوب ووضعها فى الدولاب . هل
اتصل القاتل الأخير بجاويل وأخبره الليلة أم لا ؟ .. كل شيء
متوقف على هذه النقطة . ولكن من المؤكد أن جاويل أكد عليه
أن لا يتصل به تليفونيا . والواقع ان كل شيء مرتبط بالمسال ،
فاذا كان القاتل لم يتقاض أجره بعد ففى مكانه أن يزعم لجاويل
انه هو الذى قتل سوليفان عندما يظهر نبأ الجريمة فى الجرائد
صباح الغد . اما اذ كان قد تقاضى أجره مسبقاً (ربما خمسة
آلاف دولار وربما عشرة) واهتدى البوليس اليه بعد ذلك فسوف
يذكر الحقيقة ويقول انه لم يرتكب الجريمة ، وانه رأى كارتر
يدخل الشقة . وقال كارتر لنفسه عندئذ ان امامه مهلة ..
وفرصة ضئيلة للنجاة .

قالت هازل في عصبية :

- ما أحمقنا اذ لم نطلب من البوليس فى أى رقم يمكن الاتصال بهم !

لم تكن هناك مربى على المائدة ، ونهض كارتر يأتى ببعض منها . كان كل منهما قد ترك جزءا من بيضته المخفوقة ، واستطاع تيمى وحده أن يلتهم ببطء وهدوء افطاره العادى المكون من البقول والبيض والخبز المقدد واللبن المعطر بلمسة من اللبن ، وكان قد سألهما كثيرا عندما صحا من النوم ، ولم ترضه اجابتهما .

كان لابد من تسوق لوازمهما يوم السبت كما هى العادة ، وعرض كارتر أن يقوم بذلك لأنه رأى أن هازل تريد البقاء بجوار التليفون ، وقال لنفسه انها لن تشعر بالراحة طالما لم تعرف من الذى قتل سوليفان ، وطالما بقى القاتل طليقا دون عقاب ، بعيدا عن القضبان أو عن جبل المشنقة . ما الذى دار بخلده عندما خطر له أن فى مقدوره قتل سوليفان . راح يدون وحده قائمة بما يلزمهما ، فلا جدوى من أن يسأل هازل عما تريد لعطلة الأسبوع . ومضت هازل الى غرفة المعيشة ، واتصلت بال لافرتى ، وبينما كانت تتحدث معهم غسل كارتر الأطباق . وظلت تتكلم ولم

تدع السماعة الا وكارتر بهم بالخروج وفي يده العربة الصغيرة
الجرارة ، وعاد فأغلق الباب وقال :

— هل اخبرك آل لافرتى بشيء ؟

كانت ممتعة اللون ، وشفتاها غير مخضبتيين . واجابت :

— اوه .. يقولون لعل له اعداء آخرين غير جاويل .

— اعتقد ان هذا صحيح .. فهو محام .

— لو ان له اعداء فأنا لا اعرفهم على كل حال . وكذلك

آل لافرتى .

ونفضت ، وسارت نحو المطبخ في ببطء ، وراى كارتر انه
يمكنها ان تسير نحو الجهة المضادة دون ان تدرى لأنها كانت
تبدو كالمدهولة التى لا هدف لها . وقال :

— على كل حال سأعود بعد ثلاثة ارباع الساعة .

وابتسم . وعندما عاد ، كان البوليس قد اتصل ، وطلبوا
منه ان يتصل بهم ، فسأل هازل وهو يفرغ حقيبة البقالة على
مائدة المطبخ :

— ماذا قالوا ؟

اجابت :

— ان البصمات غير مفحمة .

قطب جبينه وقال :

— وكيف هذا ؟

— ان البصمة التى لديهم غير واضحة تماما ، ويبدو ان
من المحتمل انها تخص اناسا كثيرين .

حدث كارتر نفسه أنهم سيلقون عليه الآن أسئلة أكثر دقة عما فعله يوم الجمعة ، في الفترة ما بين مغادرته المكتب والتي عاد فيها الى بيته . وسألته هازل :

— ألن تتحدث اليهم ؟

— لم تكن قد استبدلت ثيابها بعد ، وكانت جالسة على الأريكة تطالع الجريدة التي أتى بها ، وكانت قد دونت الرقم على المذكرة الموضوعة بجوار الجهاز وتحتة ثلاثة خطوط ، وقالت :

— ما الذى حملك على شراء هذه الجريدة يا فيل ؟ أما كان فى امكانك شراء مجلة مصورة على الأقل ؟

اجاب :

— لم اجد أى شىء عن القضية فى المجلات المصورة .

وكان هذا صحيحا ، فقد سقطت طائرة فى لونغ ايسلاند ، واحتلت أخبارها كل الجرائد الصباحية فى ذلك اليوم . وأدار قرص التليفون ، وقال للرجل الذى رد عليه انه فيليب كارتر وانه يريد التحدث الى الملازم اوستريخر . ورد عليه هذا الأخير على الفور وقال له :

— صباح الخير يا مستر كارتر . . شكرا لاتصالك بى . اظن ان زوجتك اخبرتك ان البصمة لم تدلنا على شىء . ولكننا تكلمنا مع السكرتيرة بشركتك هذا الصباح ، وقالت انك غادرت مكتبك نحو الخامسة والدقيقة العشرين .

— اوه ، هذا محتمل ، وماذا قلت لك ؟ . . الخامسة والنصف ؟

قال اوستريخر :

— نعم .

وانتظر ، وانتظر كارتر هو الآخر . وقال أوستريخر أخيرا :
والسكوتيرة تقول انها متأكدة ، لأنها هي نفسها همت بمضادة
المكتب في الخامسة والنصف ، ولكنها تأخرت حتى الخامسة
والدقيقة الخامسة والثلاثين لكي تأخذ بعض الخطابات لتضعها
في صندوق البريد . وأقول لك ذلك لأننا سنضطر للتحقق من
الوقت بالنسبة للجميع ، لأنه ليست لدينا أية عناصر أخرى .
وقالت لنا زوجتك صباح اليوم انه يحتمل أن تكون قد عدت في
السادسة وعشر دقائق ، وانها لا تتذكر على وجه التحديد .

بضع لحظات أخرى من الصمت .

اىكون أوستريخر هو الذى أوحى الى هازل انه ربما قد عاد
متأخرا عما يقول ، أم تراها هي التى أدلت بذلك التصريح من
تلقاء نفسها . لم تفارقه هازل بعينها وقال :

— ربما تكون على حق ، فأنا لم انظر الى الساعة .

كان في مقدوره ان يقول انه توقف لتناول كأس . ولكن لعل
أوستريخر يحاول أن يستجوب ساقى البار ، ثم ان البار الذى
توقف فيه كان قريبا جدا من الشارع الثامن والثلاثين .

— هل تريد أن أحضر الى قسم البوليس ؟

— أوه ، كلا شكرا .. ربما نتصل بك ثانية اثناء هذه
العطلة . هل أنت باق بالمدينة ؟

أجاب كارتر :

— نعم .

وأعاد السماعه ، ونظر الى هازل ، وقال :

— القوا على أسئلة أخرى عن الوقت . هل كانت الساعة

السادسة أو السادسة عشر دقائق ؟ .. اننى لا اذكر .. وانت ؟

— اظن انها كانت بعد السادسة بقليل .. لا اذكر تماما .

كان من عادة هازل القيام ببعض الأمور يوم السبت ، ككتابة خطابات ، واعادة بعض الكتب الى المكتبة العامة بالشارع الثالث والعشرين . ولكنها ظلت جالسة ، عاقدة ذراعيها ، فقال كارتر :

— سأفرغ من هذا العمل الخاص بالشركة .

ومشى ، واخذ من فوق منضدة التليفون نشرات خاصة بجنكنز وفيلد ، تضم معلومات عن فرع ديترويت ، وكان المفروض اعادة بعض رسوماتها .

ومضت هازل الى غرفة النوم ، ولم يجد جديد في ذلك اليوم .

كانا قد تلقيا دعوة لتناول الكوكتيل عند فيليس ميلن يوم الأحد ، ولكن هازل اتصلت بها تليفونيا لكى تعتذر . وتكلمت مع فيليس فترة طويلة لأن انباء الجريمة ظهرت في جرائد الصباح ، وجاء فيها ان مسز هازل كارتر مفروض انها كانت صديقة حميمة لدافيد سوليفان ، ولكنها ذكرت ان هذه المعلومة مصدرها جورج جاويل المعروف بعدائه الشديد لسوليفان . وحدث كارتر نفسه ا فقال :

— انه لجميل من البوليس ومن المفتش أوستريخر عدم الافصاح للجرائد بأن هازل نفسها اقترت بوجود هذه العلاقة . ولكن الأمر سيكون شائعا للجميع بعد يومين ، وعندئذ سوف تشير أصابع الاتهام اليه انه هو القاتل .

لم يصغ الى الحديث الدائر بين هازل وفيليس ميلن ، ومضى

الى الغرفة ، وجلس أمام المنضدة للفراغ من العمل الذى جاء به من المكتب . وملاً الصفحات بملاحظات ورسومات من أجل مهندس ديترويت الذى سيقوم بالعمل ، وهو غير واثق من أنه سوف يمضى الى ديترويت . فكر فى هازل التى أبرقت الى أبوى سوليفان بماسوشيتس . ولا يرب أن البوليس أبلغهما بما حدث . ولكن هازل أصرت على أن ترسل اليهما برقية عزاء ومواساة ، وسألها كارتر :

— وهل تعرفينهما ؟ فأجابت :

— أوه ، نعم . أتيا الى نيويورك فى عطلة آخر الأسبوع فى الصيف ، وكنت مع دافيد . ومضيت أنا ودافيد لزيارتهما فى ستوكبريدج بالسيارة . قالت ذلك بلهجة محايدة وفى غير مبالاة . وأحس كارتر عندئذ بالضياح ، واعتراه نفس الاحساس الذى طالما أحس به وهو فى السجن ، عندما كانت هازل تقول له ما فعلت مع سوليفان أو ما سوف يفعلان . واعتقد أنه يتذكر أنها أخبرته بلغائها بأبوى دافيد ، ولكن إذا كانت قد قالت له أنها زارتهما فقد نسي ذلك ، وبدأ له الآن أنها تتصرف معهما كما لو أنها زوجة ابنهما ، وتعبّر لهما عن حزنهما وآلامها لموت سوليفان .

وعندما صلصل التليفون فى الساعة العاشرة والرابع فى تلك الليلة ، لم يبد كارتر به أى اهتمام لأنه ظل يصلصل قبل ذلك كثيرا ، ولكن فى تلك المرة كان البوليس ، وقد خمن ذلك من لهجة هازل وهى تقول « نعم ، نعم » . وغادر الغرفة ودخل غرفة المعيشة فى بطة .. « بكل تأكيد .. حسنا » . وأعادت السماعه وقالت :

— البوليس قادم .

— هل عرفوا شيئاً ؟

— لم يذكروا أى شيء . ونهضت ، وكان تيمى قد خرج من غرفته واقتبل الى البهو وقال :

— هل يمكن أن أبقى صاحبياً ؟

تخللت هازل شعرها بأصابعها وقالت :

— نعم . حسناً يا تيمى . . ابق صاحبياً إذا أردت ، ولكن
الزم غرفتك . لا يجب أن تأتى هنا عندما يأتى البوليس يا عزيزى .
— ولم لا ؟

هزت رأسها ، وبدت على حافة الانهيار ، وعلى وشك أن
تجهش بالبكاء :

— لأننا سنخبرك بكل ما نعرفه . . أعدك بذلك .

تساءل كارتر أن كان تيمى قد علم بعلاقة أمه بسوليفان ،
هذا ما لم يكن قد عرف بها من قبل وامتداد عليها . وكان الصبى
قد سأله أثناء مطالعته للجرائد « ما معنى صداقة حميمة »
واجابه كارتر بأن معناها أن هازل ودافيد كانا صديقين عزيزين
جداً ، ولكن لا بد أن تيمى يعرف المعنى بالفريزة . وأعاد كارتر
الى غرفته .

— سوف نتناول كوباً من اللبن بالشيكولاته بعد انصرافهم ،
وسأطلعك على كل ما يخبروننا به . أعدك بذلك . وريت بيده
على كتفه وأردف :

— الى اللقاء يا عزيزى .

ثم عاد الى غرفة المعيشة . وكانت هازل قد بقيت واقفة

بجوار المقعد . ووضع يده اليمنى على خصرها وجذبها اليه .
تدفعه الرغبة في مواساتها ، ولكنها تخلصت منه قائلة :

— معذرة . اننى عصبية المزاج .

، ومضت الى غرفتها . ورن جرس الباب فى هذه اللحظة .
وكان الطارق اوستريخر ، وبرفته الشرطى الشاب ، وقال
الضابط :

قضينا طوال النهار مع جاويل واصدقائه ، للتحقق من
بصماتهم طبعاً .

كان كارتر قد جلس وراح ينصت ، متوتر الأعصاب ، فقد
كان يدرك تماما ان اوستريخر لم يأت ليقدّم تقريراً عن جاويل .
وسأله هازل :

— وماذا وجدتم ؟

اجاب مبتسماً :

— اننا لا نملك غير بصمة واحدة ، ويمكن ان تكون بصمة
مستر انتونى اوبريان ، او بصمة زوجك ، او بصمة ..
ما اسمه ... آه ... ايوارت .

ونظر اوستريخر الى الشرطى مستفهما فأكّد له الشرطى
قوله بإيماءة من رأسه . كان يبدو شديد الارهاق ، وحول
عينيه هالات . وقال :

— كريستوفر ايوارت . وكان جالسا عاقدا ذراعيه
لا يدون أية ملاحظات وان كان دفتره على ركبتيه .

تذكر كارتر ان انتونى هو الاسم الأول للرجل الذى رآه
عند جاويل مع الشقراء ، وهو رجل قوى ، متين العضلات ،

يبدو كالملاك المحترف أو كلاعب كرة قدم . ولعله هو الذى رآه
يهبط السلم ركضا ، وان كان لم يلحظ اذا كان قوى العضلات
أم لا تحت معطفه الذى تطاير طرفاه مع الهواء . واجفل قليلا
رغما عنه وهو يدرك أنه عرف بمجرد أن سمع قصة سوليفان فى
تلك الليلة ان ذلك الرجل هو الذى ستقع عليه الشبهة فى مقتل
سوليفان على الأقل .

وقال أوستريخر :

ان صديقى جاويل اللذين تناولوا العشاء معه مساء الجمعة
من نيويورك ، واحدهما يونانى . وقد تناولوا العشاء فى مطعم
يونانى ، واستجوبناهما معا ، وهما صديقان لجاويل وان كان
لا يراهما كثيرا . ويظهر ان لكل منهما عملا وأسرة ، ومهما يكن
فان بصماتهما لا تنطبق على البصمة التى لدينا .

قالت هازل :

— والمدعو أوبريان ؟ .. من هو ؟

— انه ساق يبار بجاكستون هيتس ، وصديق لجاويل .
واذا صدقناه هو وزميله الذى يشاركه المسكن فانه عاد يوم
الجمعة فى الساعة الخامسة الا الربع ، وبقي بالمسكن حتى الساعة .
اغتسل ونام قليلا ثم خرج وتناول العشاء فى مطعم بالحى ودخل
السينما . وقد رأى الفيلم حقا . ولكن ما من أحد يمكن أن يؤكد
بطريقة قاطعة انه تناول عشاءه فى ذلك المطعم يوم الجمعة بالذات ،
وانه دخل السينما . ويحتمل انه رأى الفيلم مساء يوم الخميس ،
وهو يعمل يوم الجمعة حتى الساعة الرابعة ويأخذ اجازة
طوال اليوم بعد ذلك . وبهذه المناسبة ، ملفه لدينا خلو من
أى شئ .

وكان يدخ وهو يتكلم ، وسأله هازل :

— ولكنك تشتبه فيه ؟

تنحج أوستريخر قبل أن يرد ثم قال :

— اننا مضطرون الى استجواب الجميع يا مسز كارتر ،
وقد اهدينا حتى الآن الى رجل أو رجلين يعرفان سوليفان ،
لأحدهما بصمة يمكن أن تنطبق ، وهو مشبوه شيئا ما ، ولكن
سوليفان لم يرها منذ وقت طويل .

وابتسم مستسلما وقال :

— اننا ازاء جريمة عاطفية . . سواء ارتكبتها صاحبها أو دفع
غيره لارتكابها . ان أي محام يمكن أن يكون مكروها من ذلك
الذي يوشك ان يتسبب في دماره . ومستر سوليفان كان يتولى
قضية من هذا النوع ، ولكن لا أحد يقتل محاميا لهذا السبب ،
انما يقتل من عهد اليه بتلك القضية .

وفك أوستريخر سترته وهو يقول :

ومن هنا ترى يا مستر كارتر اننا نعود الى جاويل واليك
انت .

سألته هازل :

— وماذا ستفعل بأقوال أوبريان مثلا ، ودليل براءته ؟

اجاب أوستريخر :

— سنستمر في تحرياتها عنه ، ومراقبته هو والآخرين ،
وسنرصده تحركات رصيد الأموال في البنوك الخاص ببعض
الأشخاص لمعرفة من يرون ومع من يتحدثون . . وهذا هو
الروتين .

واردف يقول في صوت أكثر مرحا :

— وسوف نعرف الكثير بعد يومين .

سألته هازل :

— وذلك المدعو إيوارت ؟

— انه التقى بجاوليل وصديقيه مساء الجمعة في المطعم ، وهو من نيوجرسي هو ايضا . . تاجر سيارات ، وقد تكلمت عنه لأن البصمة يمكن أن تكون بصمته هو الآخر . ولكن لديه ما يثبت انه كان بعيدا عن مكان الجريمة ساعة ارتكابها ، فقد شحم سيارته وغسلها من الساعة الخامسة حتى السادسة في نيوجرسي وقد استجوبنا صاحب الجراج ، فأيد أقواله .

وتنهذ ونظر امامه مباشرة وقال :

— ربما كلف جاوليل قاتلا أجيرا . سنتحقق من أرصده في البنك صباح غد .

قال كارتر :

— لا اعتقد انه من الغباء بحيث يكشف عن نفسه هكذا .

أجاب أوستريخر :

— هذا صحيح .

كان يعرف ان البصمة بصمة أصبع من يد اليمنى .

— إن أيا من يديك تفتقر الى القوة بسبب إصابة ابهاميك .

أجاب كارتر :

— هو ذلك .

ألمه ابهامه الأيسر ، ولكن ذلك لم يجعل يده أكثر قوة .

انحنى أوستريخر الى الأمام وقال :

— يجب أن أسألكما مرة أخرى إذا كنتما قد توصلتما الى قرار أو اعددتما خطة فيما يتعلق بمستقبلكما ، بعد الحديث الذى دار بينكما فى الأسبوع الماضى بخصوص سوليفان .

كانت هازل اول من اجاب فقالت :

— لم نصل الى أى قرار أو اتفاق . ومن يدري ، لعل الأمر كان يزداد سوءا لو اننا كنا قد اتخذنا قرارا ما .

— ليس بالضرورة . قلت لكما انه طبقا لأقوال جاويل ، كان مستر كارتر يتميز غضبا ، ولكن لا تظنى اننى اصدق كل ما يقوله جاويل لى .

وتحول الى كارتر وقال :

— ألم تكن تنوى مناقشة الموقف مع سوليفان ؟

قال كارتر فى بطله :

— آه نعم . حاولت ان اقابله مساء الثلاثاء ، كما قال لك جاويل ، وهى الليلة التى التقيت فيها بزوجتى على الرصيف فى طريقها اليه ، وأسأله اذا كانت تلك العلاقة مازالت مستمرة حقا ، وماذا ينوى أن يفعل ، بعد ان علمت بأمرهما ، ولكننى لم أره فى تلك الليلة .

ابتسم اوستريخر ابتسامة خفيفة وقال :

— قال لى جاويل ذلك . ألم تحاول ان ترى مستر سوليفان فيما بعد ؟

— كلا .

— لماذا ؟

— ربما لأن رؤيتي لزوجتي وهي ماضية اليه كانت جزءا من الردود التي كنت انتظرها ويقول آخر ، فضلت أن اناقش الأمر مع زوجتي .

سأله أوستريخر :

— آه ، حقا ؟ ... لماذا ؟

قال ذلك كما لو أن الأمر لا يهمه ، أو كما لو أنه لا يصدق ما يسمع :

— لأنني قلت لنفسي أن ما يريد سوليفان أن يفعل أو ما يفعله فعلا ، أقصد علاقته بامرأة متزوجة أمر يخصه هو . ولكن لي الحق في أن أسأل زوجتي ماذا تنوي أن تفعل لأنها زوجتي .

وافق أوستريخر بإيماءة من رأسه ، وابتسم مستهجنا وقال :

— وماذا كنت تنوین أن تفعلی یا مسز كارتر ؟

رأى كارتر تعبير القلق والارتباك في عيني هازل .. كيف يمكنها أن تجلس على مقعدين في وقت واحد ؟ .. وقالت :

— صراحة لا أدري .. كنت شديدة الارتباك يوم الثلاثاء .. واعتقد أنني كنت اتخطى عن دافيد .. نعم .

— ولكنك لم تفصحى عن ذلك لزوجك .

— كلا . ليس بوضوح .

تنهد أوستريخر وقال :

— هل تناقشت في ذلك مع مستر سوليفان يوم الثلاثاء ؟

أجاب :
- كلا .

- ألم تخبريه أنك التقيت بزوجك أمام البيت ؟

هزت رأسها بقوة وقالت :

- كلا .

ونظرت فجأة الى كارتر وخاطبته قائلة :

- الا تظن أنك يجب ان تحدث مستر أوستريخر عن
مخدرات جاويل ؟

هتف أوستريخر :

- مخدرات ؟

قال كارتر :

- نعم . عرض على بعضا منها .. هيروين ، وتعاطيت
قليلا منه .. مرتين ، وكنت قد اضطررت الى تعاطي المورفين
في عيادة السجن بسبب ابهامي ، وكان لدى جاويل الكثير منه .

- كم ؟

- رايت عنده أكثر من مائتي انبوبة من البلاستيك بصورة
سائل . وقال لي جاويل ان بكل منها عشر جرع .

قطب أوستريخر حاجبيه وقال :

- انها ليست عنده الآن فقد فتشنا مسكنه . لماذا تعاطيته
يا مستر كارتر ؟

اطلق كارتر تنهيدة عميقة وقال :

- انه يخفف آلام ابهامي ، ثم اننى احب ذلك .
- قلت انك اخذت جرعتين .. هل انت معتاد على ذلك كل ليلة ؟
- كلا . تكفينى الأقراص التى معى ، وهى على اساس المورفين .
- والقى نظرة الى هازل وهو يقول :
- اننى اتعاطى منها أربعة اقراص تقريبا كل يوم ..
- واحيانا ستة . واظن ان ذلك يعادل جرعتين او ثلاث من المورفين .
- ألم تستغرب وجود كل تلك المخدرات عند جاويل ؟ ..
- ومن اين تظن انه جاء بها ؟
- الواقع اننى استغربت ذلك .. وهز كتفيه واستطرد :
- ولكن نظرا الى القوم الذين يختلط بهم لم الق عليه اى سؤال لأننى لم امض اليه لهذا السبب .
- ألم تحاول ان تعرف من اين يأتى بهذه المخدرات ؟
- كلا ، فما كان ذلك ليعنينى .
- احس كارتر بان اوستريخر وهازل يستهجنان قوله ..
- فوجود هيروين امر غير قانونى ، ثم انه لم يبلغ عن جاويل فحسب، وانما انتهز الفرصة وتعاطاه ، وعاد يقول :
- كل ما كنت أريد هو الحصول على بعض المعلومات من جاويل ، واذا اردت الحق إقانى لم أشأ إثارة حفيظته .
- قال اوستريخر :

— كان يمكنك أن تحدثني عن ذلك قبل الآن .

ونظر الى زميله ، وكان يدون ملاحظاته في دفتره ، وقال :

— هذا ينقلنا الى المخدرات .. هم حشالة وكثرة .. وهن
رأسه كما لو أنه قد استاء ازاء فكرة مجال جديد للتحرك قد
انفتح أمامه . ولكنه لم يتحرك نحو التليفون .

احس كارتر بأن أوستريخر يشك فيه كل الشك ، وأنه
يشك فيه منذ البداية ، ووافق كل الثقة بحيث لا يتعجل أمره .
وابتلع ريقه ونظر الى هازل ، وكانت منحنية الى الأمام ومرفقاها
على ركبتيها ، وعيناها محذقتان في الأرض . ورفعت رأسها
فجأة ، ونظرت الى أوستريخر :

— متى تظن أنك تستطيع أن تهتدي الى القاتل .

لزم أوستريخر الصمت فترة طويلة ثم أجاب بطريقة
المادية :

— ربما بعد يومين أو ثلاثة . وربما قبل ذلك . سنرى
ما سوف تسفر عنه تحرياتنا في البنوك ، فيما يتعلق بجاوليل
غدا . وسوف نهتم بجسايك أنت أيضا يا مستر كارتر .

وافقه كارتر بإيماءة من رأسه . واذا رأى أوستريخر ينهض
ينهض هو الآخر ، وقال الضابط :

— سنستجوب جاوليل طبعاً عن هذه المخدرات .. ومخدومه
يدعى جراسو ، ربما يعرف شيئاً هو الآخر ، ولكنه لا يعتقد
أن جاوليل كان يفكر في قتل سوليفان ، أو أن له دخلاً في هذه
القضية . ولكن لعل جاوليل شديد الحرص ، ومهما يكن فهو
وجراسو صديقان وثيقا الصلة .

ودعك أوستريخر ذقنه وهو يحدق في الجدار ثم جول
بصره الى كارتر وقال وهو يتسم :

ـ ملزأل لدينا عمل الليلة . يجب أن أبحث عن المخدرات
في بيت جراسبي ، وكذلك في بيت أوبريان . في أي نوع من
الصناديق كانت ؟

ـ صندوق من الكرتون حجمه نحو خمسين سنتيمترا
مريعا . وكانت الإنابيب مصفوفة فوق طبقات من القطن .
قال أوستريخر :

ـ لابد أنها الآن في برطمانات المايونيز أو في زجاجات
مساجيق التنظيف .

وضحك ضحكة قصيرة وقال :

ـ حسنا . . لنمض الى العمل .

وما أن أغلق الباب حتى خرج تيمى من غرفته . ومضى
كارتر وصب له اللبن بالشيكولاته الذي وعده به ، بينما راحت
هازل تحاول الاجابة على أسئلته . ولكن الرد على سؤاله
الرئيسي ظل من غير جواب . بيد انه بدأ شديد الاهتمام
بشخص أوبريان ، وكان جالسا على الأريكة وكوب اللبن بالشيكولاته
في يده .

ـ ربما يعرفون ان أوبريان هو القاتل وينتظرون أن يقدم
على شيء ما .

نظرت هازل الى كارتر وقالت :

ـ لا ادري فيم يمكن ان نفكر الليلة أكثر من ذلك .

لم يدر كارتر ماذا يقول . كان تيمى قد رأى افلاما في
التليفزيون يخفى فيها رجال البوليس ما يعرفون حتى اللحظة

التي ينقضون فيها فجأة على الجاني . وكان هذا هو ما يدور
في رأس الغلام الآن ، وقال له :

— مازال الوقت مبكرا جدا لكي نعرف أى شيء يا تيمى .
وفي الفراش ، حاول ان يطوق هازل بذراعه وان يضمها
اليه ريشما تنام ، ولكنها تحولت عنه في بضع متوترة كشخص واع
تماما وقالت :

— معدرة .. لا أستطيع .. لا أحتمل ان يلمسنى أحد .
قال وهو يشدد الضغط على كتفها :

— اننى أحبك يا هازل . الا يمكن ان تنام معا فحسب ؟
ولكنها رفضت . وبقي كل منهما مسهدا فترة طويلة .

- ٢٤ -

- بضع كلمات يا مسز كارتر .
- وميض فلاش ، وقال صحفي وهو يبتسم في عصبية :
- سؤال واحد بخصوص سوليفان .
- وصاح كارتر :
- أغربوا عنا .
- كانوا ثلاثة من الصحفيين ، مع اثنين منهم آلات تصوير .
- وقالت هازل وهي تنتزع ذراعها من شاب عصبى :
- لا تلمسنى .
- أحاطها كارتر بذراعه ، وسارا مسرعين حتى سيارة هازل ،
- على بعد نحو خمسة أمتار ، وقالت هازل :
- اركب سأصطحبك الى مكتبك .
- ركب كارتر ، واضطر فعلا ان يصفق الباب على يد أحد
- الصحفيين تقريبا . وانطلقت هازل . وقال كارتر :
- عجيب انهم لم يأتوا قبل ذلك .
- انهم اتصلوا بالتليفون أمس .. مرتين أو ثلاثا ، ولم
- أزعجك بشأنهم .

لم ينطق كارتر ، فقد كان يعرف أن هازل عجلت و غاضبة ،
وانها قد تحول غضبها من الصحفيين اليه اذا حاول أن يكلمها .
وقال في هدوء ، بعد دقائق قليلة :

— لا داعى لأن تمضى بى حتى المكتب ، فقد تخلصنا
منهم الآن .

اقتربت هازل من الصحفيين بمجرد أن استطاعت و اوقفت
السيارة وقال كارتر :

— التى اللقاء يا خبيثتى ، وأثر ان لا ينطق بكلمتى : مرحى
او احبك ، فقد كانت تشعر بالخجل لأن علاقتها بدافيد أصبحت
على كل لسان فى مكتبها ، ولأن الجرائد والراديو اذاعوا فى الصباح
ان زوجها من ارباب السجون .

دخل كارتر مكتبه ، وتوتر عند رؤيته لاليزابث ، فتاة
الاستقبال الشقراء التى ذكوت للبوليس انه غادر المكتب يوم
الجمعة فى الساعة الخامسة والدقيقة العشرين ، وليتى فى
الخامسة والنصف ، وقال :

— صباح الخير .

— صباح الخير يا مستر كارتر . . . آه . .

وخرجت من خلف مكتبها ، ووقفت ، كانت طويلة ونحيفة ،
تكاد تناهزه طولا بكعبيهما العاليتين بدت امارات الجد والخطورة
على وجهها النضر ، وقالت :

— أرجو أن لا تكون قد تضايقت بما قلت للبوليس . انهم
ظلوا يلاحقوننى بأسلحتهم ، وأرادوا أن اذكر لهم الوقت بالدقيقة
تقريباً . وقلت لهم ما اذكر فحسب وما اعتقد أنه صحيح .
قال كارتر وهو يبتسم ابتسامة خفيفة :

— كلا ، كلا . أنك أحسنت لصنعا ، فلا تزغنجي نفسك ،
واتجه نحو مكتبه ، والتقى في البهو المكسو بالسجاد بمستر
جنكنز ، وهو رجل طويل القامة ، وخط المشيب شعره ،
بادره قائلا ؟

— صباح الخير يا مستر كارتر .

رد كارتر عليه قائلا :

— صباح الخير يا سيدى .

توقف مستر جنكنز وقال :

— تعال الى مكتبى لحظة .

دخل كارتر خلفه ، وأغلق منتهو جنكنز الباب وقال :

— احزنى سماعى لهذه القصة البغيضة .. ماذا سيحدث
الآن ؟

نظر كارتر الى جنكنز مباشرة في عينيه وقال :

— لا أدري . ولكننى أعرف الصعوبات التى تواجهها بسبب
وجودى فى الشركة ، واذا رايت أن من الأوفق أن أقدم استقالتي
فأنا على استعداد يا مستر جنكنز .

قال جنكنز فى شيء من الضيق :

— كلا ، كلا . لم اكن افكر فى ذلك ، ولكن المفروض أن تمضى
الى فيترويت يوم الخميس ، واذا لم يفرغ البوليس من تحقيقه
معك فلن تستطيع ، اليس كذلك ؟ .. اعتقد أنه سوف يستمر
فى استجوابك .

ونظر الى كارتر كما لو انه سيكتشف في الثواني التالية
ان كان هو الذى ارتكب الجريمة ام لا .

- هذا صحيح . ولكن خطر لى ان اسجل افكارى على
الورق ، وان مستر باتر وورث يمكنه ان ينتقل الى ديترويت
بدلا منى .

تنهد مستر جنكنز ، وفتح ذراعيه فى حركة تدل على عجزه
وقال :

- حسنا ، سوف نرى .. سوف نرى .. الديك فكرة
عن يكون القاتل ؟

تردد كارتر قبل ان يقول :

- اعتقد انه احد معارف جاويل . انه عدو سوليفان منذ
سنوات طويلة ، ولكننى لا ادرى يا مستر جنكنز .

نظر مستر جنكنز اليه لحظة من غير ان ينطق . وكان كارتر
يعرف تماما انه كان يفكر فى ان زوجته كانت على علاقة حميمة
بالرجل الذى اغتيل ، وان من الغريب ان القتل زكى كارتر لهذه
الوظيفة ، وان المفروض انهما احسن صديقين فى الدنيا .

وعندما دخل كارتر مكتبه الخاص واغلق الباب خلفه خطر
له على الفور ان مستر جنكنز لم يلق عليه السؤال التقليدى :

- هل انت واثق تماما انك برىء ؟ .. الا دخل لك فى هذه
الجريمة ؟ .. لم يكن هناك غير سبب واحد محتمل يحمل مستر
جنكنز على القاء هذا السؤال وهو انه يفكر انه قد يكون هو
القاتل .

توقع كارتر ان يدور بينه وبين باتروورث حديث بغيبض فى

ذلك الصباح ، ولكن باتر وورث لم يكن في مكتبه ، وبدأ يضرب على الآلة الكاتبة تقريره وملاحظاته عن مصنع ديترويت . ولكن ذهنه كان يعود بلا انقطاع الى تيمى . . تيمى الذى يجب أن يكون فى هذه اللحظة فى مدرسته بالشارع التاسع عشر . سيمطره الصبية بالأسئلة وسينظرون اليه ويتهامسون . . لأن أباه كان مسجينا ، ولأن الصبية قد عرفوا الآن أن أمه كانت تضاجع رجلا آخر . قالت هازل ذات يوم ان تيمى الآن أحسن حالا مما كان فى نيويورك ، ولكن كان ذلك لأن الصبية كانوا لا يعرفون أن أباه مسجين سابق ، والآن فسد كل شيء من جديد .

صلصل جرس التليفون الخاص به بعد الحادية عشرة بقليل . . مستر كارتر ، أوستريخر يتكلم . . هل تستطيع أن تأتى لبضع دقائق ؟ . . أن الأمر عاجل وبالع الأهمية .

قال كارتر لاليزابث انه مضطر للخروج لحظة ، وانه قد يعود قبل الغداء ، ولكنه غير واثق . . وتساءل هل سمعت المكالمة التليفونية التى جرت الآن ، وهل تعلم انه ماض الى البوليس . . نعم ، طبعا .

وقسم البوليس الذى تكلم منه أوستريخر يقع فى الشارع الخمسين شرق ، وقطع كارتر المسافة سيرا على قدميه ، وتقدمه شرطى متوسط العمر الى غرفة تطل على البهو ، وقال أوستريخر وهو ينهض :

— ادخل يا مستر كارتر .

كان يجلس فى المكتب الفسيح ذى الجدران المكسوة بالملفات ، جاويل وأوبريان ورجلان آخران وامرأة لا يعرفهم كارتر وأشار الى جاويل محييا ولكن جاويل تجاهله . كان مسترخيا فى مقعده ، مكفهر الملامح ، عاقدا أصابعه فوق بطنه .

— مستر كارتير : اظن انك تعرف مستر جاويل ، وهذا
مستر اوبريان ، وهؤلاء مستر وميسز فيريس ، ومستر دقلين ،
وهم من سكان البيت الذى يسكنه مستر سوليفان .

هز كارتير رأسه وقال :

— كيف حالكم ، وكان قد رفع قبضته : ونظر اليه الرجلان
والمرأة نظرة فاحصة ، وسألهم اوستريخر :

— هل يتذكر احدكم انه راي مستر كارتير فى بيت سوليفان
فى اى وقت ؟

كانت المرأة اول من اجابت فقالت :

— كلا .

وكانت اجابة الرجلين سلبية هى الاخرى .

قال اوستريخر :

— اتفق ان كان هؤلاء القوم فى مساكنهم لحظة وقوع
الجريمة ، وتكرموا واقبلوا صباح اليوم ، وربما اتفق ان راوا
احدكم ضدفة يدخل شقة مستر سوليفان يوم الجمعة .

وشمل اوستريخر جاويل واوبريان وكارتير بنظراته وهو
يقول ذلك . وكانت لهجته كما هى دائما رقيقة وواضحة ، وعاد
يقول :

— هذه مسز فيريس ، وقد سمعت شيئا اشبه بسقوط
جسم على الارض ، وخيل لها ان ذلك كان فى الساعة السادسة
او قبلها ببضع دقائق ، ولم تسمع شيئا بعد ذلك ، لا صوت
ولا وقع خطوات تجزى او اى شىء آخر .

تحاشى كارتير النظر الى اوبريان ، كما تحاشاه هاتان

الآخر . وكان يرتدى بدلة مخططة زرقاء اللون ، وشعره يلمع بالبريانتين .

وقال أوستريخر وهو لا يزال جالسا خلف مكتبه :
— مستر كارتر ، هل رأيت مستر أوبريان قبل اليوم ؟
التي كانت نظرة خائفة التي أوبريان ، وكان هذا الأخير
مطرق الرأس ، متحدثا في خطائه ، وقال :

— أظن أنني رأيته مرة في مسكن جاويل .

— متى كان ذلك ؟

— منذ نحو عشرة أيام .

وتساءل ان كان جاويل وأوبريان قد أنكرا معرفتهما به ،
ولم يقبر وجهه في متهمهما عن أي شيء : وسأله أوستريخر :

— هل رأيته بعد ذلك ؟

اجاب :

— كلا .

قال أوستريخر :

— هل رأيت مستر كارتر بعد ذلك يا مستر أوبريان ؟

اجاب أوبريان وهو يرفع عينيه لحظة :

— كلا .

— هل تبادلتما حديثا طويلا في الليلة التي التقيتما فيها ؟

لم يرد أوبريان ، وقال كارتر :

— لا اظن اننى وجهت اليه اكثر من التحية .

وقال جاويل :

— لم يبق انتونى مدة طويلة فى تلك الليلة ، والواقع انه انصرف بعد قدوم فيل مباشرة .

هز اوستريخر راسه موافقا ، واستدار . وفتح دولابا خلف مكتبه ، واخذ منه شيئا من فوق احد الارفف . . كان القدم الرخامية اليونانية . . قدم يسرى . . وضعها بيديه الاثنتين وسط المكتب وهو لا يفارق بعينه جاويل وأوبريان وكارتر ، وقال :

— هذا هو سلاح الجريمة . امسكه القاتل هكذا . . » ووضع يده حول الجزء الضيق ، عند المشط « ولا ريب انه ضرب مستر سوليفان بأصابع القدم .

نظر جاويل الى القدم فى غير اكتراث وفى ضيق . واتسفت عيناه . . أوبريان وان كان وجهه بقى لا ينم عن شيء . وقال اوستريخر :

— مستر كارتر . . أريد ان اراك وانت تمسك هذا الشيء .

اقترب كارتر من مكتب اوستريخر ، ومد ذراعه اليسرى أولا ، ثم غير وقفته لكي يمد يده اليمنى ، وامسك بالقدم وابهامه تحت التقوس ، واصابعه حول القدم . واحس بالألم وهو يرفعها ولم يستطع الامساك بها كما يجب ، فقال اوستريخر :

— اقلبها من افضلك . . ادر قبضتك فحسب .

ادار كارتر قبضته . كانت هناك دائرة بحجم البوصلة تقريبا ، أسفل القدم الذى أصبح خشنا مع الوقت والاستعمال . وكانت تلك الدائرة فى نفس الموضع الذى وضع فيه اصبعه

الوسطى . لم يكن هناك شك في أنه نفس الموضع الذى انطبعت فيه البصمة ، وقال أوستريخر :

— آه ... ثم غير من وضع أصابع كارتير حتى أصبحت أصبعه الوسطى فوق الدائرة بالدات ، ثم هز القدم ليختبر قبضة كارتير .

أعاد كارتير القدم فوق المكتب ، ونظر أوستريخر إليه ثم الى أوبريان ، وقال :

— دورك الآن يا مستر أوبريان .

نهض أوبريان بدوره وامسك بالقدم ، وكانت في نفس الموضع الذى وضعها كارتير عليه . وكانت أحسن طريقة للامساك بها هى وضع بنصره تحت التقوس لأن ما تبقى من الساق كان قصيرا وغير مستقيم . وأدار أوستريخر يد أوبريان بحيث أصبحت أصبعه الوسطى تحت الدائرة . ولكن أصابع أوبريان كانت اكبر من أصابع كارتير ، ولاحظ هذا الأخير القوة التى رفع بها أوبريان القدم بسهولة . ولم يعلق أوستريخر بشيء ، ولكنه تحول الى الأشخاص الثلاثة الذين يسكنون في بيت سوليفان وقال لهم :

— لا أرى سببا لبقائكم أكثر من ذلك .. أشكركم لقدومكم ، فقد ساعدتمونى كثيرا .

قال كارتير لنفسه انهم لم يقدموا إليه أية مساعدة على الإطلاق . ونهضوا ثلاثتهم على مضض كما لو أنه قيل لهم ان ينصرفوا قبل ان يشاهدوا أحسن مشهد في مسرحية . وشيئهم أوستريخر حتى البهو ، ثم عاد وأغلق الباب ، وجلس الى مكتبه ، ووضع كفيه الواحد فوق الآخر وقال :

— جيبنا : واحد منكم هو القاتل : وبسوف نكتشفه
من هو .

قال جاويل في غضب :

— اذا كنت تضمني في قولك هذا فأنت لا تعرف عملك .
لم يره أوستريخر أى اهتمام ، ونظر الى كارتر مبتسما
وقبل :

— ليس هناك ما يثبت ادعاءك بوجودك بعيدا عن مكان
الجريمة يا مستر كارتر ، فقد كان لديك الوقت الكافى لارتكابها ،
خصوصا اذا ركبت سيارة اجرة للذهاب الى مسكن سوليفان يوم
الجمعة وليس اوتوبيسيا لكى تعود الى البيت كما تزعم . وبعد
ارتكاب الجريمة تستقل سيارة اجرة اخرى لكى تعود الى البيت .
وقتل رجل بأداة كهذه لا يقتضى أكثر من عشر دقائق . . أنت معي
طبعاً في هذا ؟

كان هذا النوع من الاتهام الملهب شيئاً جديداً بالنسبة
لكارتر ، لا يشبه فى شيء ما عاناه فى السجن . وقال :
— كلا . . . طبعاً .

نظر أوستريخر الى ساعته ثم تجول الى جاويل وقال :
— مستر جاويل ، لديك فكرة عن سبب عدم مجيء
مخدومك ؟

اجاب جاويل :

— أبدا . لعل لديه ما يشغله فى احدى شقيقه .
قال أوستريخر وهو يقطب جبينه ويصر على أسنانه :

— للتأكد من أن مخبراته في مكان أمين مثلاً . أنه لا يمضي وقتاً يذكر في مصنع الموابير ، اليس كذلك ؟

قال جاويل :

— ان المكان الذي يقضي فيه وقته لا يهم إحداهم غيره .

تجول أوستريخر الى كارتر من جديد وقال :

— اعتقد انه لا سبب لديك لكي تغير بعض الاعترافات التي أدليت الينا بها عن قضاء وقتك مساء يوم الجمعة ؟

أجاب كارتر :

— كلا .

— هل لك أن تخلع سترتك من فضلك ؟

ومضى نحو الدولاب مرة أخرى وهو يقول :

— أود ان أجرب عليك جهاز الكلب .

وأخذ الجهاز من فوق أحد الأرفف ، ودهش كارتر لأن أوستريخر لم يطلب من جاويل وأوبريان الانصراف ، وأنه لم يأخذه هو بالذات الى غرفة أخرى ، ووضع على صدره العاري بطاقة من الكاوتشوك ، ولف حول ذراعه رباطاً من الكاوتشوك هو الآخر لقياس ضغطه ، ثم يداً استجوابه :

— الوقت الذي فادر فيه مكتبه بالضبط واستقل الأوتوبيس ، ومسار الأوتوبيس ، وشرائه الجريدة التي عاد بها ووجد هازيل ، وأعقب ذلك أسئلة أخرى :

— ألم تأخذ الأوتوبيس حتى الشارع الثامن والثلاثين لكي تمضي الى مسكن دافيد سوليفان يوم الجمعة ؟

واحس كارتر بأن نبضات قلبه تتسارع أكثر قليلا ، ولكنه وجد نفسه جديرا بالرد على الأسئلة أوتوماتيكيا كأن الأمر لا يعنيه ، وكما لو أنه لا يرى أية أهمية . وكان ذلك حقيقيا ، فلم يعد يهتم بما قد يقع له .

— الم تقل لسوليفان ؟

— كفى نفاقا أو شيئا من هذا القبيل ثم أمسكت بالقدم و ...

أجاب كارتر :

— كلا .

— مستر كارتر .. انك رابط الجأش اليوم بصورة غريبة .. وبارد .

تنهد كارتر ، ونظر الى أوستريخر ، واحس بنظرات جاويل وأوبريان عليه . لم ينظر اليهما ولا مرة ، رغم أنه كان يواجههما .

— هل كنت بهذا البرود أثناء الحديث الذي دار بينك وبين زوجتك مساء الثلاثاء ؟

— كلا .

— هل طلبت منها أن تنقطع عن رؤية سوليفان ؟

احس كارتر بالضيق فجأة. لوجود جاويل وأوبريان ، وتامل في مقعده وقال :

— سألتها ان كانت تستطيع أو اذا كانت تريد ذلك .

— لم تطلب منها إذن أن تختار .. لم تقل لها اما أنا أو هو .. كيف عبرت عن ذلك يا مستر كارتر ؟

قال كارتر وهو ينظر الى أوستريخر :

— ليس هكذا .. لم اقل لها اما انا او هو .

— وبماذا ردت عليك زوجتك حقا ؟

اجاب كارتر في حذر :

— ما سبق ان ذكرته لك . قالت انها لا تعرف ماذا يمكنها

ان تفعل او ما لا يمكنها ان تفعل .

ابتسم أوستريخر في صبر وقال :

— وكان هذا الرد غير مرض لك ، اليس كذلك ؟

تقزز كارتر من هذا الأسلوب . كان كمبضع الدكتور كاسيني وهو يفوص في نرق في جرح بحثا عن قطعة من سلاح سكين ، وقال :

— لم يكن ردها بذلك السوء الذي تتصوره .

— مستر كارتر ، اعتقد انه كان لديك ما يكفي من الأسباب لكي تكره مستر سوليغان ولكي تتخلص منه . لقد كان لديك الكثير من الأسباب في الأسبوع الماضي لكي يملكك غضب قاتل .

لم يهتز كارتر . واقترب أوستريخر منه وقال وهو يهدده بإصبعه :

— ما قولك اذا قلت لك اننى سائبت انك انت القاتل دون أدنى ظل من الشك ؟

ولكن حتى هجوم أوستريخر لم يكن حقيقيا ، كان كأنه يقوم بدور في مسرحية ، وعندما تنتهى بعد بضع دقائق سوف يعاودان التصرف بطريقة عادية ، كما لو أن لا صلة لأحدهما بالآخر . وقال كارتر :

— اقول لك .. هيا وأبدل جهديك .

قال جاويل :

— انه رابط الجأش تماما .. مرحى يا كارتير .. وضحك .

اكتفى أوستريخر بأن رماه بنظرة ثم نزع الرباط من حول صدر كارتير ، وكانت الآلة قد رسمت خطا طويلا متعرجا بعض الشيء حول اسطوانة فوق المكتب ، ولم يحاول كارتير ان يتحقق من ذلك الخط وقال لنفسه انه لا يهتم بما يتم عنه . ونظر أوستريخر اليه وهو منحني فوق مكتبه ثم غير الورقة .

طرق الباب في هذه اللحظة فقال :

— ادخل .

دخل المكتب رجل قصير اسمر اعتقد كارتير انه جراسو ، ابتسم لجاويل وحياه بايماءة من راسه فقال جاويل :

— هالو .

وقال أوستريخر :

— صباح الخير يا مستر جراسو .

كان ايطاليا ، ربة القوام ، بعينين سوداوين مستديرتين ، ونظرة فضولية ، ولم غليظ وشفقتين متوهلتين شيئا ما . ولكنه ، في المجموع ، لم يكن له تعبير مميز . وقال كارتير لنفسه ان كل هذه الصفات قناع لا بأس به ، ولا ريب انه اضطر ان يجتاز حياته كلها بهذا التعبير المحايد .

— تفضل بالجلوس يا مستر جراسو .. مشعر أوبريان .

نهض أوبريان وخلع جاكته ، وجلس فوق المقعد الذي

فأذره كارتير لتوه . كان قوى الكتفين تبرز عضلاته من كمي قميصه بشكل ملحوظ وحتى خصرة كان كله عضلات تنم عن قوته وشدة بأسه ، وقال كارتير لنفسه ان نصف لظمة من كفه كفييلة بأن تقطع رقبة انسان ، وقال أوستريخر :

— نعود الآن الى يوم الجمعة .

تساءل كارتير ان كان جاويل سيخضع لهذه التجربة هو الآخر . كان يبدو هادئا جدا ، ولكنك كان لا يزال في داخله فريسة لشيء من الانفعال والضيق .

قال أوبريان بصوت بدا كأنه يخرج من أنفه :

— عدت الى بيتي رأسا بعد أن فرغت من عملي في البار ، واغتسلت ، ونمت قليلا ، وخرجت في نحو الساعة السابعة ، وأكلت ثم رأيت فيلما . كان صوته يبدو رتيبا كما لو أنه يردد شيئا حفظه عن ظهر قلب .

— ان زميلك في المسكن خرج في نحو الخامسة والرابع ، وكان في مقدورك ان تستقل سيارة أجرة تمضي بك الى مانهاتن في اقل من ربع ساعة .

هز أوبريان كتفيه ثم قال :

— وماذا أفعل في مانهاتن ؟

أجابه أوستريخر :

تقتل سوليفان . . لانك تقاضيت مبلغا من المال مقابل ذلك .

نظر أوبريان الى الأرض ، ودعك أنفه بسبابته متظاهرا بعدم الاكتراث ، وقال أوستريخر :

- قلت انك لا تذهب عادة الى بيتك مساء يوم الجمعة
لأنك تعمل في الملعب الرياضي ، وقد أكد رجال الملعب ذلك ،
فلماذا لم تمض هناك يوم الجمعة الماضي ؟

- ذلك لأنه خيل لى اننى سأصاب بنزلة برد ، ولهذا عدت
الى البيت .

حدث كارتر نفسه فقال :

- هذه هى الطريقة التى لقنه جاويل بها .

- اهذه هى جريمتك الأولى ؟ يا أوبريان ؟

لم ينطق أوبريان ، وضحك جاويل ضحكة تكاد لا تلاحظ .

- لا يذكر احد انه أراك فى المكان الذى قلت انك أكلت فيه .

قال أوبريان :

- ليس هذا بمستغرب ، فقد كان المكان مزدحما جدا .

سوف يتشبث أوبريان بالمبلغ الذى وعده به جاويل اذا
استطاع . كانت رباطة جأشه مشجعة لكارتر . وسأله أوستريخر
وهو ينظر الى الاسطوانة التى تدور ببطء :

اين يقطن سوليفان ؟

- فى مانهاتن .

- واين فى مانهاتن ؟ .. قل لنا العنوان .

قال أوبريان وهو يحرج فى أوستريخر :

- ولماذا أعرف عنوانه بالذات ؟

- لأن جاويل قال لك ان تتذكره ، وقد فعلت .

راح أوبريان يتلوى فى مقعده ويضحك وقال :

— من منا تنهم ؟ .. انا ام كارتر ؟

— مهما يكن المبلغ الذى اتفقت عليه مع جاويل فلن يكون لديك من الوقت ما يكفى لكى تستمتع به .

كانت نهاية واهية لأوستريخر ، وابتسم أوبريان ابتسامة خفيفة وكذلك فعل جاويل .

— مستر كارتر .. ليس هناك ما يدعو الى بقائك هنا اكثر من ذلك .

نهض كارتر ، وسار حتى الباب ، وهناك استدار وقال :

— الى الملتقى .

أشار له أوستريخر بإيماءة من رأسه وهو ينظر اليه بآدى الإنشغال وقال :

— الى الملتقى . اوه .. لا تغادر المدينة قبل ان تأتيك أخبار منى اذا لم يضايقك ذلك . قيل لى فى شركتك أنك يجب ان تقوم برحلة فى آخر الأسبوع .

قال كارتر :

— نعم ... انا فاهم .

واغلق الباب خلفه وهو يقول لنفسه لا ريب ان أوستريخر تبادل حديثا مع جنكيز وفيلد وجها لوجه اثناء عطلة الأسبوع .

جاء باتر وورث بعد الظهر ، وطلب كارتر بالتليفون ، فمضى إليه ، وكان باتر وورث بآدى الإعياء وحاجباه منتفخان قليلا . ودعا كارتر الى الجلوس بصوته الرقيق العادى ، وعبر عن حزنه لفقد صديقه سولينان .

- علمت أنك ذهبت اليوم الى البوليس . اتصلوا بي مرة
اخرى اليوم .. هل من جديد ؟

قال كارتر وهو يضطجع في مقعده الى الخلف ، ويعقد أصابعه
كما فعل جاويل في مكتب أوستريخر :

- كلا . انهم استدعوا جاويل واحد أصديقائه .. رجل
يدعى أوبريان ، وكانوا لا يزالون يستجوبونهما عندما انصرفتي
بحيث لا أعرف ما هو الموقف .

- هل لديك شكوك او افكار ؟

- خارج نطاق جاويل ، كلا . واذا كان هناك شيء فيما
يخصه فانا واثق انهم سيكتشفونه . لا أدري ان كان سوليفان قد
حدثك عن جاويل .

- اوه ، بلى . وقد اقترحت عليه مرارا ان يعين له
حارسا .. او اى شيء .. كان يبلغ البوليس بان هناك من
يتبعه .. يا الهى ! لم اظن ابدا ان الأمر سينتهي بجريمة قتل
متعمدة .. ثم هناك تلك القصة الأخرى .. (ودعك جبينه)
ويجب ان أقول اننى صعقت واظنك صعقت انت ايضا .. اعني
دافيد وزوجتك .. هل هذا صحيح ؟

تمتم كارتر وقد اصطبغ وجهه :

- نعم . لم اكن اعتقد .. كانت لدى شكوك طبعاً ،
ولكننى لم اكن اعتقد .. اعنى لم اكن اظن ان علاقتهما مازالت
مستمرة . واظن ان القصة مبالغ فيها . ولم أحاول ان أسأل
زوجتى ؛ فهى مضطربة جداً بسبب موت دافيد .

كان الاحمرار لا يزال يصبغ وجه كارتر ، وأدرك انه يحاول
تغطية هازل عنه هو بالذات . وأردف :

— وبالمناسبة قيل لى اليوم فى البوليس انهم يريدون أن
أبقى بالمدينة فى الأيام التالية . وعلى هذا فلا أظن اننى أستطيع
الرحيل الى ديترويت ، وقد أبلغت مستر جنكنز بذلك .

— نعم ، نعم . فى مقبوري أن أرحل أنا . وقد قيمت هذا
الصباح بالاجراءات الضرورية .

ونفض كارتر :

وفى نحو الساعة الرابعة بعد الظهر ، اثناء دراسة مذكرات
كارتر ومناقشتها لم تصدر أية اشارة الى قضية سوليفان .

وفى الساعة الخامسة والنصف ، وبينما كان كارتر ينتظر
الأوتوبيس فى الشارع الخمسين ،لقى نظرة الى جرائد المساء .
تم دفن سوليفان فى ذلك اليوم فى مدافن العائلة بالمدينة التى
ولد فيها بماسوشيتس . وكانت هناك صورة التقطت فى نفس
اليوم لأبويه وأفراد الأسرة . وقوفا امام القبر ، ومطرقى الرؤوس .
كان أبوسوليفان يشبه ابنه كثيرا . ونظر كارتر الى الوجوه وحاول
أن يتصور أن هازل عرفتهم وتحديث معهم . كان ذلك سهلا
التصور ومزعجا فى نفس الوقت . وسره أنها لم تشترك فى
الجنائز ، وراوده الأمل فى أن يعلم بعض النتائج عن استجواب
أوبستريخر لجاويل ومخدومه ، مسعر جراسو ، ولكن لم يكن
هناك شيء من ذلك فى الجرائد ، فيما عدا أن البوليس استلحق
سليفاتور جراسو لاستجوابه . ولم تكن هناك أية اشارة لمخدرات
ولا لجهاز الكلب الذى خضع له هو وأوبريان . وقال كارتر
لنفسه لو أنهم أوسعوهما ضربا بهراوات من الكاوتشوك لما كانت
هناك اشارة لذلك أيضا . وعلى الأقل لم يتكلم أوبريان ،
والا لكنت الجرائد قد نشرت ذلك بكل تأكيد . وأوشك الأوتوبيس
أن ينطلق من دونه لولا أن لحق به فى اللحظة التى أوشك
السائق أن يفلق فيها الباب .

وفي البيت ، وجد هازل في غرفة المعيشة ، وعيناها
مغرورتان بالدموع ، وتيمى في غرفته ، ورأسه مدفونة في
وسادته وجسمه متشنج من البكاء . واقترب من هازل وقال :

— لا حاجة بك الى القول ، فانى أعرف .

— انه عاد ساعة الغداء ، وبقي هنا طوال فترة بعد الظهر .

قال كارتر :

— أوه ، ... رحماك يا الهى !

وعلق معطفه ثم مضى الى ابنه وقال :

— تيمى ...

صمت طويل .

— ما الخبر ؟

وجلس على حافة الفراش ، بجوار تيمى وعاد يسأل :

— ما الذى حدث اليوم ؟ .. تكلم .

— قالوا لى انك سجين سابق .. قالوا ان أبى سجين
سابق .

— حسنا ، قيل لك ذلك قبل اليوم ، وقد اجتزت تلك
المرحلة ، اليس كذلك ؟

سحب تيمى ساقه اليمنى ، وكان كارتر قد وضع يده
عليها وقال :

— ولكنهم يتكلمون عن دافيد .

وغلبه البكاء وهو دافن رأسه في الوسادة وأردف :

— انهم يدعونهم عمى دافيسد ، ولهذا معنى خاص
بالنسبة لهم .

— كفى بكاء يا تيمى .. وأخبرنى بكل ما حدث .
قالت هازل ، وكانت واقفة بعتبة الباب وهي تتميز من
الغضب :

— قيل .. هل من الضرورى أن تذكره بكل ذلك ؟
قال كارتر :

— ان الكلام سيصيبه بخير كبير .
— انه كلمنى انا بما فيه الكفاية ، ولا يريد الخوض فى هذا
الموضوع ثانية .

قال كارتر وهو ينهض :

— ولكننى اريد ان اسمع قصته .
— وهل فكرت فى حياتك فى شيء آخر الا فى نفسك .
— اننى افكر فى تيمى والا ما كنت هنا .
— كان يجب ان تفكر فيه فى الماضى .

تحول نحوها فارتدت خطوة الى الوراء واستدارت ومضت
الى غرفة النوم . وتبعها كارتر واغلق الباب خلفه وقال :
— كان يجب ان تفكرى فيه انت عندما بدأت علاقتك
بينوليفان ، وانت آخر من له الحق فى ان يوجه الى مثل هذا
اللوم .

لم تنطق هازل بشيء . وعاد يقول :

— وكل القصة في الجرائد الآن ، ولا يمكنك مواجهة الأمر ،
ولا يمكن لتيمة مواجهته هو الآخر . ان العلاقة هي التي تشينه
وليس كونى سجيننا سابقا ، فهذه ليست أول مرة يسمع فيها ذلك .

كان السبب واضحا الآن في انها لم تشترك في جنازة
سوليفان . وفجأة خطر له ان تيمى امتداد أدبى للحم ودم هازل
بالذات ، وانهما يبكيان اليوم لنفس السبب ، فان الناس أجمع
أصبحت تعرف الآن السر الذي لم يكن يعلمه أحد غيرهما منذ ان
بدأت القضية . وطرفت عيناه وقال :

— حسنا يا هازل . ما كان كان . الا يمكن ان نحاول لأم
الأجزاء بدلا من العراك ؟

قالت هازل غاضبة :

— لا أريد الأجزاء .

— اننى اقصد أجزاء تيمى .. مثلا .. ماذا قلت له ؟ ..
ان ذلك حقيقى .

— الواقع ان تيمى لا يفهم ما تقوله الجرائد .

عصف الغضب بكارتر فجأة وصاح :

— ليس بحاجة الى ان يفهم . ان الصبية يشرحون له ما خفى
عليه في كلمة واحدة .. لا يفهم ! .. اتظنينه متخلفا ام ماذا ؟
وبهذه المناسبة الا يزال يجب دافيد ؟

— لماذا تظن انه يبكى ؟

— ليس هذا بجواب .. ولكنه استنباط .. اما زال
بحبك ؟

— أوه ... اسكت ... اسكت .

سكت كارتر ، وفتح الباب وعاد الى غرفة تيمى . ووقف لحظة يتأمل راس الطفل ونهض تيمى اخيرا . لم تكن عيناه مغروقتين بالدموع كما كان كارتر يخشى .

- تيمى .. لن نخوض فى هذا الموضوع بعد الان .. اذا كنت لا تريد ذلك .

قطب تيمى حاجبيه ، وتصاعدت دموع جديدة الى عينيه وقال :

- كل ما اريد ان اعرف . هل هذا صحيح ؟

- ماذا ؟

- انك قتلت دافيد بدافع الغيرة ، ولأنك كنت تكرهه ؟

- لم اكن اغار منه ولم اكرهه ،

- وهل قتلته ؟

اجاب كارتر فى لهجة آلية :

- كلا .

كانت مجرد اكلوبة .. اذا لم يكن هو الذى قتل سوليفان

فان اوبريان هو الذى قتله . ولكن ماذا سيكون من شأن

ضميره ؟ .. وطرفت عيناه ، وسأله تيمى :

- هل صحيح ان امى ودافيد ...

وماتت بقية العبارة فى حلقه ولم ينطق بها . واحس كارتر

الرجاء بالاعياء ، وترنح ، ومضى الى الباب واعتمد عليه وقال :

- لقد احب كل منهما الآخر .

— وما معنى هذا ؟

تراجع كارتر ، وأراد أن يمضي الى غرفة الحمام وان يغسل وجهه ، ولكنه عاد وقال :

— هذا سؤال عليك ان تطرحه على أمك .

وانتظر لحظة ، واذا لم يتلق ردا خرج ومضى الى غرفة النوم . وكانت هازل نصف مضطجعة فوق الفراش . وافترض كارتر انها استطاعت ان تسمع ما قاله لتيبي ، رغم انها بدت كأنها لم تسمع ، وكما لو انها ليست بحاجة الى ان تسمع .

— هازل ...

أراد ان يجلس بجوارها وأن يمسك يدها ، ولكن نظرة واحدة من عينيها مرف منها عبث ذلك . وسأله :

— ماذا ؟

أخذ نفسا عميقا وقال :

— لن اذهب الى ديترويت هذا الأسبوع .

راى كارتر ان البوليس اذا لم يستطع اثبات تهمة قتل سوليفان عليه قلن يستتبع ذلك استطاعته اثباتها على اوبريان . يستطيع اوستريخر ان يشك فيهما معا ، ولكن ماذا يسعه ان يفعل من غير ادلة دامغة غير التى معه . . . لاشئ . . . لاشئ يمكن ان يقع . . . ان سجلات البوليس زاخرة بقضايا معقدة حفظت لعدم الاهتمام الى القاتل ، وقد يعكف على مراقبة اوبريان ومشبهين آخرين طوال ثلاثة شهور ، ثم يهدأ الموقف بعد ذلك ، وقد يستطيع عند حلول الصيف ان يقضى هو وهازل شهرا في أوروبا . لم يفقد كل امل فيما يتعلق بهازل . انها احبت سوليفان ولكن موته افجر جبالا من الشعور بالذنب فوق رأسها . وراى ان هذا الشعور قد يعيدها اليه اذا تجمل بالصبر . وقد ندم على ثورة الغضب التى تملكته مساء الاثنين ، وعلى كل ما نطق به أثناء تلك الثورة فيما يتعلق بها ويسوليفان ، وعاهد نفسه ان لا يتكرر هذا الموقف ثانية . وكان قد أقسم فى الماضى على ان لا يشرها حتى لو كان هناك مبرر لذلك . وصحيح ان الحقيقة أصبحت معروفة الآن ، ولكنه اذا كرر ذلك الأمر فى لحظة غضب قلن يكون الا ملحة سخرية لا معنى لها .

وفى مساء الثلاثاء ، مضى كارتر وهازل الى مسرح مع آل اليوت وفيليس ميلن . وكانوا قد اتفقوا على تلك السهرة منذ وقت طويل ، وذلك لمشاهدة مسرحية لبيكيت فى مسرح

جرينوتش فيلاج . وتناولوا العشاء قبل ذلك في مطعم لويجي . وكانت فيليس قد اصطحبت صديقها هوج ستيفنسون ، وهو رجل ربة القوام في الأربعين من عمره ، رآه كارتير مرة أو مرتين قبل ذلك . وتجنبوا الحديث عن الجريمة ولم يلقوا أى سؤال كما لو أنهم اتفقوا مسبقاً على ذلك ، وعلى أن تكون السهرة جميلة وممتعة ، عندما كلفوا فيليس بحجز التذاكر منذ شهر ، وبدا آل اليوت مجاملين لكارتير وعامنوه في رفيق كما لو أنهم قرروا أن يكونوا وأسمى الأفق وأن يمنحوه قرينة الشك . وافلحت هازل في أن تكون مريحة ولكن كارتير كان متأكداً أن آل اليوت لم ينخدعوا بمظهرها .

وعندما غادت هازل مع كارتير الى البيت قالت :

— فيل ، أريد أن امضى الى مكان ما لمدة اسبوع . انثى بحاجة ماسة الى ذلك ،

قال وهو يظن أنها تريد أن تقول وحدها طبعاً :

— عحسن جداً . ، أين ؟

— ليس بعيداً جداً . . أين يمكن أن نقضى اسبوعاً ؟

وهزت كتفها ملالة ، وطوت اشاربها الذهبى ووضعت يدها في الدرج الذى اخذه كارتير منه عندما طلبت منه احتضاره في شقة سوليفان ، وقطال :

— ربما في نيو انجلاند (خطر له ان والدى سوليفان يقيم في نيو انجلاند ، وانها تنوى الذهاب عندهما) . في أى مكان تفكرين ؟

— فندق بسيط لا احتاج فيه الى التفكير فى شيء . . رأينا فندقاً في الصيف الماضى في نيو هامبشاير . . هل تتذكر ؟

تذكر كارتر .. كان فندقا مريحا جدا .. وقال :

— لا بأس .

ومضى الى غرفة الحمام ، واغتسل بسرعة ، وعندما خرج
سألتها :

— اظن أنك تفضلين الذهاب وحدك ؟

كان هو نفسه يريد التأكد من ذلك ، وان يعرف الآن ،
وقالت في صوت مرتفع :

— كلا . (ثم نظرت اليه وكانت ترتدى ثوبها المنزلى) كلا ،
لا أريد ان اكون وحدى .. ذبح أعرك بحيث يأتى لي معنى هو
الأخر ، انه مجتهد جدا في تحصيل دروسه خاليا . وقد اتلفت
مع مكتبي ، ويمكننى ان آخذ إجازة الأسبوع المقبل . ونستطيع
ان نرحل مساء الجمعة أو صباح السبت .

قال يحدث نفسه :

— ولكننى قد لا أستطيع ، ثم قال في صوت مرتفع :

— يجب ان اقول اين يجب ان اذهب بالذات .

قالت هازل :

— حسنا .

— ثم تحولت الى المرأة .

وفي اليوم التالى ، قضى كارتر وقت الغداء في الاستعلام من
بغنادق نيوهامبشاير . لم تكن به رغبة في ان ينزل بالفندق الذى
سبق أن نزلأ به . واتصل بهازل بعد الظهر لينهى اليها نتيجة
تدقيقاته ، واستقر رأيهما على فندق في ضواحي كونكورد ، ثم

اتصل بأوستريخر لكي يسأله ان كان يستطيع الرحيل يوم السبت لمدة تسعة أيام ، وقال له أوستريخر انه موافق شريطة ان يتصل به تليفونيا بمجرد وصوله ، وان يبقى هناك . . .

وخلوا مساء الجمعة ، وقضوا الليلة في موتيل مريح على شاطئ بحيرة . ووضعوا فراشا اضافيا لتيمة ، وكان كارتر قد حجز غرفة منفصلة له في فندق كونتيننتال بكونكورد .

كان الفندق فخما ابيض يكاد يكون قصرا ، قائما فوق مرجة تنصاعد في انحدار خفيف ، وكان قديما غرفه فسيحة ، وسر تيمى اذ خصصت له غرفة كبيرة له وحده . ورتب كتبه اقورا ، وكانت هازل وكارتر قد وضعها فوق مكتب كبير بين النافذتين . وكانت هناك تعريشات للكرسيات في المرجة ، وساحة تنس خلف الفندق . كان المكان جميلا ورائعا . وفي غداة وصولهما ، تناولا طعام الافطار في الفراش ، وانضم تيمى اليهما ، وكانت الخادم قد وضعت له مائدة صغيرة . وبينما كانت هازل تغسل شعرها خرج كارتر للنزهة مع تيمى ، واشترى له مضرب تنس . كان الفندق يعبر المضارب لنزلاته ، لكن تيمى كان بحاجة الى مضرب جديد على كل حال ، واشترى لهازل بلوفر ابيض ايرلندى مغزول باليد .

وفي تلك الليلة رغم مرحها واعتدال مزاجها ، ورغم انها ضحكت وتمازحا اثناء العشاء فقد صدمته في الفراش . وتردد كارتر ثم سألها بلهجة حاول ان تكون هادئة قدر استطاعته :

— قولى لى يا هازل . . الى متى سيستمر هذا ؟

— ماذا ؟

— أوه ، انت تعرفين جيدا .

ساد صمت ثقيل طويل ، وأخيرا اخذت سيجارة من فوق طاولة الزينة وقالت :

— لم يتضح الأمر بعد ، اليس كذلك ؟
كان يعرف الأم تشير ، ولكنه قال مع ذلك :
— هل تتكلمين عن قضية سوليفان ؟ ..
— طبعا . وهل هناك غيرها ؟
فكر :

— هناك نحن .. نحن طبعا .. نحن فحسب . ولكنها
كانت تنتظر حتى تعرف من الذى قتل سوليفان ، لأن القاتل قد
يكون هو .

— هل حدث لك أن هلوست عند تعاطيك المورفين يا فيل ؟
اجاب :

— كلا . بل اننى لم اهلوس حتى وأنا فى السجن ، عندما
كنت اتعاطاه بكثرة . ولكنه تذكر أحلام يقظته فيما يتعلق بها هى
وتيمى ، عندما بدا له أنهما أمامه حقا ، ومد يده لكى يلمسهما .
هل كانت هذه هلوسة ؟ اذا كانت كذلك فقد كانت هلوسة
طبيعية واختيارية ، وهى الوحيدة التى وقعت له .

— ألم تر أبدا أحلاما لم تعرف ماذا كنت تفعل أثناءها ؟
كالسير دون أن تفعل شيئا مثلا ؟

كان يعرف ما تعنيه ، وأجاب :
— كلا .

ساد الصمت وبقي الأمر معلقا بينهما تماما كمقتل
سوليفان .. لماذا لم تقل : هل فعلت ذلك وأنت واع تماما ؟
لأنها تعرف يقينا أنه قتله ، ألا يتغير سلوكها الآن معه اذا كانت
على يقين من ذلك . كان يعرف تماما أنها لا تستطيع أن تفبر

معاملتها له لأنها لا تريد أن تثير الاهتمام إليها أكثر من ذلك إذا أعلنت شكوكها وانفصلت عنه . واطفأت سيجارتها ، ونامت دون أن تمنى له ليلة طيبة . ورأى أنها سترفض ممارسة الحب معه طالما لم تعرف الحقيقة ، وأنه إذا أرادها فيجب أن يعمل على أن تتحول الشكوك نحو أوبريان . ولم يكن ذلك بالأمر المستحيل طبعاً . أما عن ضميره فلا يمكن أن يشعر بتأنيبه لأن أوبريان كان ينوى ارتكاب الجريمة . . فعلاً . . فليذهب أوبريان إلى الشيطان . . وعبس كارتر وحاول أن يجد ضميره ولكنه لم يجد إلا الفراغ ، فقد تهرب ضميره منه ، بل ربما لم يكن له ضمير على الإطلاق . لم يشعر بأى تأنيب لما فعله بسوليفان . . لأنه ضربه حتى الموت ، بل شعر بشيء من التقزز عند فكرة الدم الذى لا يذكر حتى أنه وآه ، وبصدمة تافهة ازاء حقيقة أنه هو الذى ارتكب تلك الجريمة . أنه قتل رجلاً آخر فى السجن لسبب اقل من هذا . . اقل من هذا فعلاً . . لم تزعجه تلك الجريمة أبداً . وعاد ميكى كاستل الى ذهنه . تذكر أنه قال لنفسه صباح اليوم الذى مات فيه ميكى أنه إذا كان لم يمت بتلك الطريقة فسوف يموت بطريقة أخرى ، وأنه لا يمكن أن يكون ملاك الحارس وحاميه . وبعد بضعة أيام طرحه عن ذهنه . أهذا الذى يحدث لضمائر الناس فى السجون .

أحس بالرغبة فى أن ينهض وأن يتمشى تحت ضوء القمر ، ولكنه لم يفعل خوفاً من أن يوقظ هازل . وبقي مكانه مع أفكاره الدائرة فى رأسه وهو يعلم أنه لن يحرز أى تقدم مع هازل بعد الليلة رغم أن امامهما ليال أخرى يقضيانها معا . لم يكن هناك ما يمكنه أن يفعل إلا أن يحسن التصرف معها بقدر ما يستطيع ، وأن لا يحاول الاقتراب منها ثانية ، وأن يجعل هذه الأجازة ممتعة ومريحة لها بقدر استطاعته ، وهذا ما فعله . وكانت

مكافاته الوحيدة ان تصرف هازل لم يتحول الى الأسوأ ، واستمرت تعامله برفق كما لو كان صديقا ، وأصابتها الأجازة ، بعيدا عن نيويورك ، بالخير فعلا .

عاد الى مكتبه صباح الاثنين ، وقال لمستر جنكنز ان البوليس لم يسمح له بالذهاب الى ديترويت رغم أنهم سمحوا له بالذهاب الى نيوهامبشاير ، في فندق محدد . وكان هذا صحيحا . فقد تجرأ وطلب أسبوعا أجازة منحوه اياه بدون صعوبة . منحه اياه مستر جنكنز بالذات . اما طرده او بقاءه فلا بد أنهم ناقشوا ذلك منذ ايام ، ومنحه الأجازة ليس معناها ترجيح كفة على اخرى ، وانما كان معناها أنهم ينتظرون كما تنتظر هازل .

اتصل بأوستريخر تليفونيا بعد ظهر الاثنين ، وأفلح في الاتصال به بعد ثلاث محاولات . وقال له أوستريخر :

— ليس هناك جديد فيما يخصك حقا . وجدنا المخدرات في مسكن أحد أصدقاء جراسو ، وكان في مقدورنا القبض على جاويل أو الحكم عليه بغرامة لاخفائه المخدرات لحساب جراسو . ولكننا نرعى له الحبل في الوقت الحالي ، وهو حر طليق .

قال أوستريخر ذلك في غير اكتراث وهو يتنهد بحيث أدرك كارتر انه مكترث بجاويل وبتحركاته على غير ما يزعم ، ولم يكن جاويل يجهل ذلك بالطبع . وأردف :

— اما جراسو فالأمر مختلف . وقد حكمنا عليه بغرامة ٥٠٠٠ دولار .

سأله كارتر :

— وأوبريان ؟

— انه يواجه نفقات كبيرة وليس معه نقود . . وهذا موقف مهم . .

فهم كارتر :

— لم يكن باستطاعة جاويل أن ينقد أوبريان ما اتفقا عليه في الوقت الحالي فلا يمكن أن يسمح لنفسه بأن يكتشفوا أنه دفع شيئاً له .. ولكن أوبريان يعتمد على ذلك المبلغ وسأل :

— أهو حر طليق هو الآخر ؟

أجاب أوستريخر وهو يتسم عبر التليفون :

— نعم ، وانت الآخر عدت الى مكتبك يا مستر كارتر .

احس كارتر بعد أن أعاد السماعه بعدم الارتياح ، كان أوستريخر يرخى العنان لهم . جميعا لكي يرى ما سوف يفعلون . كان في مقدوره أن يتشدد في استجوابه وأن يعذبه كما يفعل البوليس أحيانا مع عتاة المجرمين ، والمفروض أنه من عتاة المجرمين ما دام قد قضى فترة عقوبة في السجن ، أو هذا على الأقل ما تقوله الصحف فالناس لا يعرفون أبدا ما يحدث للمجرمين العتاة الذين يشتبه البوليس في أمرهم . وأدرك كارتر أن السبب في تساهلهم معه يرجع الى أنه يشغل وظيفة محترمة وأن زوجته تعمل في الخدمة الاجتماعية ، وإذا عرف الناس أن البوليس عذبه أو أساء معاملته فسوف يكون لذلك ضجة كبيرة طبعاً . كانت تحركاته مرصودة هو الآخر ، مثله في ذلك مثل جاويل وأوبريان .

ومع ذلك فقد تكلم في التليفون مع جاويل مساء ذلك الاثنين ، في نحو الساعة العاشرة ، عندما خرج ليشتري سجائر . وقال لهازل عند عودته :

— اننى اتصلت بجاويل ، وأظن اننى سامضى لرؤيته ، فإذا اتفق وسأل البوليس عنى فقولى لهم اننى هناك .
نظرت هازل اليه مشدوهة . كانت جالسة على الأريكة

تهتم بإصلاح بنطلون تيمى الجديد ، وهو بنطلون قطيفة مضيع
اشترته له فى نيوهامبشاير وتمزق ، وقالت :

— لماذا ؟

— خطر لى اننى قد أعرف شيئا .. فان جاويل يتحدث
الى أحيانا .

نظرت الى ساعتها وقالت :

— ومتى تنوى أن تعود ؟

ابتسم كارتر ، فقد بدا له أنها تهتم بعودته ، وقال :

— فى نحو منتصف الليل . وإذا حدث وتأخرت فسوف
اتصل بك تليفونيا قبل ذلك .

واستقل سيارة أجرة . وكان جاويل قد رد عليه فى رفق
فى التليفون ، وقال :

— فيل . ما هذه المفاجأة ! .. ولكن طبعا .. ولم لا .

كان متحفظا ، ولكنه مستعد لكى يراه .. وهذا كل ما كان
يريد . وكان وحده فى البيت ، والراديو يدور والجرائد تغطى
الأريكة وقال :

— ما الذى اتى بك

جلس كارتر بعد أنلقى معطفه على مسند المقعد وأجاب :

— أتيت لأسألك عما تعرفه ولا أعرفه أنا .

شخر جاويل قائلا :

— وعلى أنا أن أقول لك ذلك ، لكى أسدى لك خدمة ؟

— ربما .

– فى حين أنك أسديت لى خدمة بأن قلت انه كان لى
مخدرات ؟ .. هل يجب أن أشكره ؟

تذكر كارتر ان هازل هى التى اثارت موضوع المخدرات .
أما هو فما كان ليفعل أبدا . وقال :

– كانوا سيعرفون على كل حال . انهم فتشوا شقة
جراسو ، او بالأحرى شققه كلها من غير ان يطلبوا اذنه .
– ولكنك قلت أنك رأيتها عندى ، وتعاطيت منها .

قال كارتر :

– اننى آسف .

– أنا واثق من ذلك . هانت قد تخلصت من سوليفان
وأقلت بجلدك .

– أنا مثلك لم أقلت بجلدى بعد .

اكتفى جاويل بان ابتسم فى غموض . وانتظر كارتر أن
يقول له :

– أنت الذى قتلته ووجهت التهمة الى رجلي ، ولكن
جاويل لم يقل ذلك . وابتسم كارتر :

– أما عندك شراب ؟

نهض جاويل :

– بكل تأكيد .. ومضى الى المطبخ .

– سأتيك بشيء فى المرة القادمة .

– وعود .. دائما وعود .

ابتسم كارتر ، وعاد جاويل بزجاجة الويسكى وكأس نصف مملوءة . كانت كأسه هو .

— شكرا .

وراح كارتر يحتسى الشراب جرعة جرعة . وانتظر كل منهما ان يتكلم الآخر . وقطع جاويل حبل الصمت أخيرا فقال :

— كيف الحال مع هازل .

— هذا امر يخصنى انا وحدى .

— لا يبدو عليك المباهاة بذلك .

قال كارتر :

— ليس هذا من شيمى .

— لو أن الحال على ما يرام لقلت لى . . فان هذا سيظهر عليك .

لم يهتز كارتر . أزعجه صوت الراديو مع انه لم يكن مرتفعا جدا . ولكنبه لم يشأ مضايقة جاويل بأن يقول ان صوته يزعجه . واندفع يقول أخيرا وهو يجرع بقية كأسه :

— متى ستدفع لأوبريان ؟

— أبدا . . لم يكن أوبريان فى تلك الشقة أبدا . . انت الذى كنت هناك .

ونظر جاويل فى عينيه مباشرة . ولكن كارتر عرف من الطريقة التى تكلم بها انه يكتب . وأحس بالسرور والارتياح فجأة ، لأنه يعرف جاويل جيدا ، ولأنه عرفه منذ ان كان يعمل معه فى التريومف ، ومن زياراته له وهو فى السجن . وعرف متى

يكلب ومتى يصدق ومتى يختلق . وكانت عبارته الأخيرة مزيجا من الكذب والاختلاق .

— كفاك نفاقا وكذبا . . اننى ارى بوضوح أكثر مما تعتقد ، وأعرف أنه يجب أن تنقد أوبريان مبلغا جسيما من المال . . وقد عرفت اليوم من أوستريخر أن أوبريان مفلس وأنه يواجه نفقات كثيرة أو ديونا عاجلة . . افلا ينتظر نقودك ؟

قال جاويل وهو يهز كتفيه :

— انت تعتقد إذن اننى لا أستطيع أن أبعث اليه بنقود اذا اراد ، أو اذا كنت مدينا له ؟ . . يكفي أن اكلف شخصا غيرى لكى يدفع له نيابة عنى .

— كلا . لا يمكنك أن تثق بأى أحد . ثم يجب أن تبرر لماذا تدين بذلك المبلغ لأوبريان . . كلا .

نظر جاويل الى الأرض واسترخى فى أريكتيه . وتساءل كارتر عما يدور فى رأسه . لا يمكن معرفة ذلك حقا لأن جاويل مخبول بعض الشيء . ولكنه كان يعرف أن جاويل اذا اراد أن يدمره فما عليه الا أن يقول : اننى اعرف أنك قتلت سوليفان . قال لى أوبريان انه التقى بك فى السلم . كنت تصعد فى حين كان هو يهبط . وفى ذلك الوقت كان سوليفان لا يزال على قيد الحياة ، ولكن بدلا من ذلك قال لو اننى كلفته حقا فهل تظن انهم سيعرفون ذلك ، وهل تظن انهم اكتشفوا شيئا حتى الآن ؟ . . كلا . لا شيء غير تلك المخدرات اللعينة التى لم تكن ملكى .

كان جاويل غاضبا بسبب المخدرات أكثر من غضبه بسبب أوبريان . وقال وهو ينهض :

— انهم يتبعوننى الآن كما لو كنت من رجال المخدرات فى حين انه لا دخل لى بها .

— لماذا كنت تحتفظ بها اذن ؟

— كنت اسدى خدمة لجراسو ، ولم أجن منها أية فائدة .

وفجأة اكتفى كارتر بسماع نواح جاويل وقال :

— اظن انها كقصة التريومف وخذعك الصغيرة .. لم تجن منها أية فائدة هي الأخرى .

تحول جاويل اليه وصاح في صوت أجش وهو يتميز من الغضب :

— أبدا .

سوف ينتهى به الأمر الى أن يفضح نفسه بأكاذيبه البينة أو بحقائقه الشديدة الوضوح التى يذكرها أحيانا . وألقى كارتر كأسه الفارغة على الأرض بجوار مقعده ونهض .

— ولم تجن فائدة كذلك اثناء عطلات آخر الأسبوع العديدة التى قضيتها فى نيويورك مع بالمر ؟

صاح جاويل من جديد وقد خرج عن طوره :

— كلا .

قال كارتر :

— اننى منصرف .

وخرج .. عرف ما كان يريد ، فان أوبريان هو الوحيد الذى يعرف السر . وعندما غادر بيت جاويل لحظ سيارة مركونة فى الشارع المعتم عند المنعطف . هل كانت موجودة قبل ذلك ؟ لم يتذكر ولم يهتم . كان بداخلها رجل رآه كارتر ، عندما سطع النور الداخلى للسيارة ، ينحنى ويكتب شيئا . كان يسجل وقت

انصرافه دون شك . ونظر كارتر هو الآخر الى ساعته تحت نور مصباح قريب . كانت الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين .

وعندما عاد وجد هازل مستيقظة ، ولم تكن قد استبدلت ثيابها بعد . . كانت متكومة في ركن من الأريكة ، ومن غير حذاء ، منهمكة في قراءة أوراق منسوخة على آلة النسخ جاءت بها من المكتب . وابتسم لها وهو يعلق معطفه في الدولاب ، وسأله قائلة :

— حسنا ؟

دخل كارتر غرفة المعيشة في ببطء وهو يفك أزرار سترته وقد أسعده أنه عاد الى بيته وقال :

— لم يدفع جاويل لأوبريان ، ولا يدرى كيف يفعل . . أنه يزعم طبعا أنه لا يدين له بشيء .

— هل اكتشفت شيئا كنت تجهله ؟

— ان جاويل مضطرب جدا لأن البوليس يتعقبه بسبب المخدرات التي كانت لديه .

— كيف ذلك ؟ . . يتعقبه ؟ لا يبدو أنهم يفعلون شيئا معه .

— كلا. أنهم يرخون له الحبل ، ولكنهم سوف يفرمون طبعاً ، وهم يترصدون أمواله بحيث لا يستطيع أن يدفع أى شيء لأوبريان . (وضحك ثم أردف) وهم يتعقبونه في كل مكان ، وكانت هناك سيارة واقفة في الشارع أمام بيته .

اضطربت هازل وقالت :

— معنى ذلك أنهم راوك .

— أجل ، ولكن ذلك لا يهمنى على الإطلاق . بل لعله كانت هناك آلات تنصت فى الشقة ، وهذا أيضا لا يهمنى ، فقد حاولت أن اكتشف ما يعرفه جاويل ، والبوليس يحاول نفس الشيء .

كان كارتر جالسا فوق الأريكة ، ليس قريبا من هازل . ولكنها ألقت فجأة يدها على يده اليمنى ، فضغط كارتر على أصابعها . كان الأمر كأن هذه اللمسة تحل محل كل كلمات الحب والاخلاص التى لم تكن هناك حاجة الى أن تقال .

جز على أسنانه . كان قد قال لهازل انه يعتقد أن تجربة جهاز الكذب على أوبريان كشفت عن بعض الاضطرابات الداخلية فيه أكثر منه هو على كل حال . وكان ذلك صحيحا ، ولكن هذه الملاحظة ضخمت الكذبة الكبرى ، فان هازل لم تقتنع بقوله هذا ، وكانت قد سألته فى نيوهامبشاير عن الهلوسة التى يمكن أن تصدر منه . واستمر فى كذبه الليلة لأنه يحبها ، فقد كانت ضرورية لحياته هو بالذات . . اهذا حب أم أنانية ؟ . . وجذب هازل اليه وامسكها بين ذراعيه .

لم تستجب ، ولكنها بقيت بين ذراعيه دقائق طويلة . . دقائق كثيرة رائعة . . ودفعته عنها أخيرا فى رفق قائلة :

— اظن أن الوقت متأخر .

لم يحاول الاصرار ، ولم يلمس هازل أكثر من ذلك ، ولكنه كاد يطير من الفرح والسعادة والتفاؤل فيما يخصهما معا .

- ٢٦ -

تساءل كارتر عم يفعل البوليس فيما عدا الانتظار . الا بد من كل هذا الوقت لمعرفة موارد جاويل ، والتحقق من تحركات أمواله في البنوك ؟ هل ينتظرون مثلا أن يفرغ صبر أوبريان فينقض على جاويل للمطالبة بنقوده ؟ كان ذلك واضحا ، ولكن أوبريان لن يقدم على هذه المغامرة . وأصاب هذا الجمود الجماعى كارتر بالتوتر والعصبية ، كما أصاب هازل هى الأخرى . أما الوحيدون الذين طمأنهم هذا الجمود ، فهم جنكنز وفيلد وباتر وورث ، فان مجيء كارتر فى الساعة التاسعة من صباح كل يوم كان خير دليل على أن البوليس تركه وشأنه لأنه برىء .

قال له باتر وورث صراحة :

— يبدو لى كل هذا امرا بين جاويل ودافيد و...

واكمل كارتر نيابة عنه فقال :

— وزوجتك .

— بل اعتقد أنه بين جاويل وسوليفان .

كان باتر وورث يتكلم فى شىء من التردد ، ولكن كان واضحا انه يريد مجاملة كارتر .

كان البوليس يركز على دافع جاويل . وكانت الجرائد

تتكلم كل يوم عن أوبريان ، وعن الاستجابات المتكررة التى يتعرض لها : « استجوبه البوليس اليوم فى مسكنه بجاكسون هيتس » ، ولكنها لم تذكر اذا كان لا يزال يحتفظ بوظيفته فى البار ، غير أنه لم يكن خلف القضبان على كل حال .

ولكن فى الساعة السادسة من مساء الأربعاء ، ما ان دخل كارتر مسكنه حتى صلصل جرس التليفون . وكان المتكلم أوبريان . وأفصح عن شخصيته على الفور واستطرد :

— يمكنك ان تعيد السماعة اذا سمعت زوجتك تعود ، فلا أستطيع ان أرى باب بيتك من المكان الذى أتكلم منه . ولكننى أعرف انها لم تعد بعد . اننى بحاجة الى نقود يا مستر كارتر . . . خمسة آلاف دولار .

حدث كارتر أنه سيطلب منه ذلك بمجرد أن سمع صوته ، وقال :

— لعل تليفونى تحت المراقبة .

تردد أوبريان لحظة ثم قال :

— ماذا تعنى بكلمة « لعل » ؟

— لا أدرى . ولكنك لا تستطيع الحصول على نقود ، فان البوليس سيكتشف ذلك على الفور .

— أوه ، اذا كانت النقود سائلة فكلا . اننى بحاجة اليها . . يوم الجمعة ، ولست بحاجة يا مستر كارتر ان أقول لك والا . .

كان أوبريان يتكلم وهو واثق من نفسه كل الثقة . وأردف :

— ان لديك هذا المبلغ وأنا أعرف ذلك . اسحبه من حسابك فى البنك .

لم ينطق كارتر بشيء ، واستطرد أوبريان يقول في بطله
ووضوح :

- سأحدد لك موعدا . الشارع العاشر والشارع الثامن ..
الناصية الغربية الشمالية .. ليل الجمعة ، الساعة الحادية
عشرة . هل سمعت ؟ ستأتى معك بالنقود .. أوراقا مالية
من فئة الخمسين والمائة دولار . وتعال فى الموعد المحدد ..
والا فسوف اتصل بالبوليس فى الحادية عشرة والنصف . هذا
كل شيء يا مستر كارتر .

اعاد كارتر السماعه مكانها ونظر الى غرفة تيمى أونوماتيكيا .
كان النور مطفأ ، والباب مفتوحا على مصراعيه .. أين تيمى ؟ ..
ومضى فعلق معطفه فى الدولاب . ان الخمسة آلاف دولار ستكون
البداية كما يقول ضحايا المبتزين دائما . واذا القى القبض على
أوبريان بالخمسة آلاف التالية او حتى الاولى فسوف يسألونه
عن مصدرها . سيقول لهم انها من كارتر . ولماذا ؟ ويمكن
لأوبريان أن يذكر لهم ذلك أيضا لن يقول انها من جاويل
لأن جاويل سينكر ذلك تماما بل انه سيفهم الحقيقة على الفور
ويعرف ان كارتر دفع لأوبريان ثمننا لصمته . وقد يتضح من
ذلك أن أوبريان كان فى بيت سوليفان بالطبع . ولكن طالما أنه
لم يرتكب الجريمة فسوف تبقى نية جاويل لقتل سوليفان مجرد
نية او شروعا فى القتل وليس جريمة .

قال كارتر يحدث نفسه :

أنت فى موقف عسير يا مستر كارتر . ومع ذلك فقد
أحس بهدوء تام .. لا يفكر فى شيء فيما عدا فكرة ساذجة وغريبة
وهى أن عليه أن يقتل أوبريان . سيمضى لمقابلته ويناوله
الخمسة آلاف دولار وهو يقول له فى هدوء :

- حسنا يا أنتونى . الآن وقد حصلت على ما تريد فلتكن

هذه هي المرة الوحيدة . . اذا استطعت أن تقوم بدورك ببرود وأن تنكر كل شيء فسوف يبقى كل منا حرا طليقا . هل اتفقنا ؟ ولكن الرجال الذين من شاكلة أوبريان لا يوفون بوعودهم أبدا . وسوف يمتلكه الاغراء لطلب المزيد من النقود . ولو إنه لم يشعر باغراء المال لما قبل أبدا أن يكون قاتلا أجيرا ويرتكب جريمة قتل . . وابتسم كارتر ابتسامة مريرة كرجل وجد نفسه فجأة وقد انغرزت قدماه في الروث حتى كاحليه .

كانت الساعة السادسة وعشر دقائق . وكانت هازل قد قالت انها لن تعود قبل السابعة . لأن لديها أعمالا كثيرة في المكتب تريد الفراغ منها . وكان كارتر يعرف انها قد تبقى حتى الثامنة ، فهن ظريقات معها في المكتب ويحسن التصرف معها تقريبا . وقد تهربت من الرد عليه عندما سألها كيف تعاملها مديرة المكتب ، وهي امرأة مهيبة تدعى جينى جوبلن . ومسز بيرس وفانى السكرتيرة . لن يلومها أحد طبعا على فجورها ، وخصوصا في أيامنا هذه . ولكنهن يتباهين بفضيلتهن أمامها طبعا ، وهذا أسوأ . بل لعلهن يفتخرن بتسامحن معها في حين أنهن يحسدنها في الواقع ولكن الحقيقة القظيمة تبقى وهي أن زوجها كان سجيناً ومع أنهم جميعا سبق أن التقين به ، وخصوصا فانى ، عندما أقبل ذات يوم لاصطحاب زوجته وقالت عنه انه رجل وسيم محترم كغيره من الرجال فانهن يرين الآن انه رجل شرير ، يخفى ظاهره باطنه ، ولا يتردد أبدا عن ارتكاب جريمة قتل في مثل تلك الظروف . ولهذا كانت هازل تعمل حتى وقت متأخر لأن عملها في المكتب أصبح متزعزعا الآن .

قال كارتر :

— فليذهب الجميع الى الشيطان . ثم مضى الى المطبخ ليصب لنفسه كأسا . وبينما كان يفعل انفتح الباب فخرج الى

غرفة المعيشة وكأسه في يده ظنا منه ان هازل عادت ، ولكنه
كان تيمى .

نظر تيمى اليه في تحفظ ، وخلق قبضته وقال :

— مساء الخير .

رد عليه كارتر تحيته وساله :

— اين كنت ؟

— اوه ، خرجت لكى اشترى مدادا ، والتقيت بستيغن
فقمنا بجولة .

وابتسم تيمى وهو ينظر اليه ، وبقعة من شراب الشيكولاته
على جانب من فمه . وأخرج لسانه وامتصها . وابتسم كارتر
وقال :

— منذ متى وانت تدور على الصيدليات ؟

أحنى تيمى رأسه وهو ماض الى غرفته ، ولكنه كان يبتسم .
وتوقف وقال :

— هل عادت أمى ؟

— ليس بعد . قالت انها ستتأخر قليلا .

دخل تيمى غرفته ، واضاء النور ، ولكنه لم يفلق الباب .
ووقف كارتر ينظر الى الباب الموارب شاكرا وممتنا ، كما لو انه
ذراعان مفتوحان . قبل ذلك بعشرة أيام ، كان تيمى يفلق الباب ،
ويفلق قلبه وأذنيه . وفكر كارتر ان هذا التحول يرجع الى قوة
الصحافة والرأى العام ، والى ان زملاءه فى المدرسة كفوا عن
ملاحقاتهم ومضايقاتهم له ، وأنهم يرون الآن ان أوبريان قد يكون
هو القاتل . أو لعلمهم ، بكونهم صبية ، سئموا هذه القصة .

وبذلك أصبح تيمى فى حال أفضل عن ذى قبل . وهذا أروع شيء عند الأطفال ، فسرعان ما تخف أزماتهم . ورأى كارتر أن علاقة هازل بسوليفان قد تبخرت من رأس تيمى كما تبخر منها موت سوليفان . وبعد سنوات ، عندما يكبر سيفهم معنى تلك العلاقة . وستظل عالقة بذهنه ، ولكنها فى الوقت الحاضر ، وهو فى الثانية عشرة ، قد تبخرت فعلا من ذهنه .

فى الوقت الحاضر . . ليل يوم الجمعة . . بعد ثمان وأربعين ساعة . . كان له فى أحد البنوك خمسة آلاف دولار ، وألفا دولار فى بنك آخر وكانت هازل قد قالت منذ شهر إنهما يجب أن يسحبا ثلاثة آلاف دولار لكى يعهدا بها الى اليوت لاستثمارها بدلا من بقائها فى البنك دون استغلال . واذا سحبها فانه يستطيع أن يقول انه أعطاها لاليوت ، ولكن فيم يستثمرها ؟ ثم ان اليوت سيقول انه لم يتسلم شيئا ، وهى لن تكون نهاية لأوبريان ، وليس من المستبعد أن يتهمهما البوليس معا . ثم ان من الممكن أن يبتز أوبريان منه خمسين ألف دولار . . وابتسم فى عصبية ، ولن يغيب الأمر عن هازل . وراح يذرع أرض الغرفة جيئة وذهابا ، ينصت إلى أقل حركة يمكن أن تصدر من قدمى هازل على السلم ، ويحاول أن يفكر فى نفس الوقت . وصب لنفسه كأسا آخر من الويسكى بالماء .

إذا استطاع أن يقتل أوبريان سيفقدو كل شيء سهلا . . ذلك إذا قتله وأفلت بجلده .

سوف تكون الجريمة كما لو أنها من عمل رجل آخر من رجال جاويل بالطبع . فان جاويل يريد ميتا فبذلك لا يتكلم أوبريان ، ولن يضطر هو إلى أن يدفع له أى شيء فى نفس الوقت .

الشارع العاشر والشارع الثامن . . ان المكان بعيد جدا . . وربما تكون الأنوار فيه ضعيفة ، وتخيل فجأة ان شرطيا قد

يتبع أوبريان . سيكون هناك من يتبعه طبعاً ، ما لم يكن من الدهاء بحيث يتخلص من تابعه . وسينقض ذلك الشرطي عليه ويقول :

— حسناً يا كارتر . هذا ما كنا نريد أن نعرفه . وراح كارتر يذرع الفرقة من جديد .

كلا . لن يدفع له شيئاً مهما تكن الأفكار التي تدور بذهنه من هنا حتى يوم الجمعة . ثم ان فكرة الابتزاز ربما أوعز بها البوليس لكى يرى اذا كان يقبل أن يدفع له . وربما كان البوليس واقفاً بجوار أوبريان أثناء حديثه معه بالتليفون . وأحس بالارتياح شيئاً ما لأنه لم يقل لأوبريان أنه سيأتيه بالنقود . ولكنه لم يقل شيئاً كذلك عندما قال له أوبريان : انت تعرف يا مستر كارتر والا . . وجفف مسحة العرق التي تفصدت من جبينه .

لم ير حلاً آخر سوى أن يقتل أوبريان . . ان يقنعه بالسر قليلاً نحو الغرب ، نحو هدرسون ريفر حيث الشوارع أكثر عتمة ، وان يسحب شيئاً من جيبه كما لو أنه يخرج النقود ، ويعمل على أن يقترب أوبريان منه بما يكفى ثم يعاجله بالضربة التي تقتل كما قال الكس . فكر في بدن أوبريان الضخم وفي ابهامه الذي يؤلمه ، وتهالك فوق المقعد ونظر الى يده اليمنى . كان يضغط بأصبعه الأصغر على سبابه استعداداً للضربة الجانبية . لم يكن جانباً يديه خشنين ، وحتى اذا أفلح فسوف يعرف البوليس من الدكتور كاسينى او من هازل أنه يعرف الجودو . يجب ان تتحطم عظام رقبة أوبريان ، ولا بد ان يستخدم شيئاً كالحجر . ونهض كارتر من مقعده .

عادت هازل فجأة بحيث أجفل ، فابتسمت واغلقت الباب وقالت :

— لم اقصد ان اخيفك .

تقدم نحوها في ببطء ، ومد يده اليمنى ، فجاءت الى ذراعه الممدودة ، واعتمدت على صدره . وقال :

— هل اعد لك كأسا ؟

اجابت :

— نعم ، اذا تكرمت .

كانت في شدة الارهاق والاعياء ، ففسل الاطباق وجففها ييمى ووضعها في اماكنها . وقال كارتير وهو ينضو عنه ثيابه استعدادا للنوم : يجب ان اتناول العشاء مع جنكنز وباتر وورث مساء الجمعة . انهما يريدان ان التقي بعميل جديد ، وقد خطر لى انك قد تريدان زيارة احد .

قالت ووجهها يكاد يكون مدفونا في الوسادة :

— لا اريد شيئا الا ان انام .

وهكذا اعد نفسه ليوم الجمعة .

فكر ايضا ان يتخلف عن لقاء اوبريان ، فهو لن يتصل بالبوليس على الفور ، ما لم يكن في موقف شديد الحرج وميثوس منه جدا ، وهو لم يصل الى هذا الموقف بعد كما هو واضح سينتظر وسيحاول طلب النقود مرة اخرى . ولكن الى متى يمكن ان يستمر هذا . ان خسارته ستكون اقل اذا ابلغ عنه عن تعرضه للمحاكمة بتهمة القتل ، وقبل ان يتعرض للمحاكمة سيذكر الحقيقة طبعاً . كان الامر الواضح الآن انه في قبضة اوبريان . وجاء يوم الخميس ولم يصل الى حل آخر غير الذى استقر عليه .

كان واقفا امام نافذته ينظر الى البواخر التى يخفى الضباب نصفها فى الايست رايفر ، والى بعض المقطورات التى تشق طريقها

نحو الأطلنطى . وفى الناحية الأخرى لمانهاتن سفن أخرى جميلة تدخل الميناء أو تنطلق الى أوروبا أو أمريكا الجنوبية أو جزر البهاما . بعد ثلاثة شهور قد يتيح له القدر أن يكون على سطح سفينة هو وهازل ، بعد أن يستتب كل شيء . إلا يستحق كل ذلك أن يقتل أوبريان ؟

وإذا اتفق وذكر أوبريان الحقيقة ولم يصدقوه ، وإذا حوكم وأدين ، فإن قصته ستترك ظلا من الشك القاتل ، وتتسبب فى جرح فتاك فى ذهن هازل ، وفى أذهان الكثير من الناس . وحتى إذا صمد للاستجوابات الصارمة التى سيلاحقه البوليس بها إقناع الشك سوف يبقى ، ذلك إذا ذكر أوبريان الحقيقة باقناع وسوف يفعل لأنها الحقيقة .

دعا كارتر وهازل فيليس ميلن لتناول العشاء يوم الخميس . ومن جديد لم تصدر أية إشارة الى القاتل الذى لم يكشف أمره بعد ولا الى ما يفعله البوليس . وعندما قدمت القهوة صلصل جرس التليفون . وتكلم آل لافرتى . . تحدثت هازل مع مسز لافرتى أولا ثم مع زوجها . وبعد لحظة طلب هذا الأخير أن يتكلم مع كارتر ، وقال له فى مرح . وفى لهجة لا تتطلب ردا :

— حسنا يا فيليب . ما هى آخر الأخبار ؟ تقول زوجتك ان لديكم ضيوفا ، ولهذا قد لا تستطيع ان تتكلم . ولكننى أردت ان أحييك ، وان أتمنى لك اطيب الأمانى .

قال كارتر :

— شكرا جزيلا .

كان موليا ظهره لهازل وفيليس ، وكانتا فى آخر الغرفة ،

بتحدثان معا . وأردف : لم يتغير الموقف منذ أيام كثيرة ، وهذا كل ما أعرف .

— وهل تقول الجرائد كل شيء ؟ .. اعنى كل ما يجب معرفته ؟

اجاب كارتر :

— نعم . فيما عدا غضب جاويل ، وفيما عدا نغاد صبر أوبريان من الحصول على تقوده . هذا كل شيء . واذا جد جديد فانا واثق ان هازل ستطلعك عليه .

واذ قرغا من حديثهما ، عاد كارتر الى المائدة ليصب الكونياك في الكؤوس . كانت يده ثابتة جدا ، او بالأحرى ، يده الاثنان لأنه كان يستخدمهما في الامساك بالزجاجة . وقالت هازل :

— جميل منهما ان اتصلا .

جلس كارتر وقال :

— نعم ، واثنى أحبه .

— يجب أن ندعوها ذات يوم . أنك تعرفين آل لافرنى يا فيليس ؟ .. اليس كذلك ؟

اجابت فيليس انها تعرفهما .

واستمر الحديث . وأصفى كارتر اليه في غير اهتمام . كان ينظر الى تيمى ، وكان يلتهم الجيلاتى .. كان يلبس بدلته الكحلية اللون وقميصا ابيض وربطة عنق زرقاء ، ودارت اسطوانة جديدة ، وراحوا يستمعون الى موسيقى والحصان جولدبرج . وطرف كارتر بعينه ليطرد الدموع التى لا معنى لها . وأخذ في تلك الليلة قرصا من اقراص السيكونال التى تساعد على النوم والتى تتعاطاها هازل لكى تنام .

في مساء اليوم التالي ، في نحو الساعة السابعة ، أخذ كارتر كأسين من الويسكى بالماء ، جرعهما في بطة شديد في بارين مختلفين بالشارع الأربعين شرق . ولكن رغم ذلك مر الوقت ببطء لا يحتمل .

اتصل بجاويل تليفونيا ، ووجد أنه خرج ، أو لعله لم يرد عليه ، فماذا يستنتج من ذلك ؟ هل يحتجزه البوليس للتأكد من أنه لن يطلعه أن هناك من يتبع أوبريان الليلة . ولكن لماذا يطلعه جاويل على ذلك ؟ ليس لهذا أى معنى . وراح يدير قرص التليفون كل ربع ساعة . وفي الساعة التاسعة أصبح الأمر ملحا عليه لكي يجد جاويل ، واستعد لكي يذهب الى بيته لكي يرى هل هو موجود ولا يرد على التليفون .

وازداد اقتناعه بأنه يوشك على الوقوع في كمين أعداه البوليس . وراح يتلفت كثيرا لاكتشاف شخص له هيئة شرطى في ثياب مدنية ، بحيث أفت أنظار الناس اليه ، فأرغم نفسه بعد لحظة على عدم التلفت .

وفجأة ، دخل سينما بالشارع الثالث والعشرين ، وراح يشعل السيجارة أثر السيجارة وينظر الى ساعته كل لحظة . وفي الساعة التاسعة والربع لم يستطع البقاء مكانه فخرج وسار نحو الجنوب ، ودخل أول كشك للتليفون ، واتصل بجاويل ،

وفي هذه المرة رد عليه هذا الأخير ، فأوشك ان يتنهد لفرط
ارتياحه .

سأله جاويل في شيء من القلق اطمأن له كارتر :

— ماذا تريد الآن ؟

ولم يكن لدى كارتر ما يقوله ولكنه سأله قائلاً :

— هل تقدت اوبريان اجره ؟

اجاب جاويل :

— كلا . وهل تقدته أنت ؟

قال ذلك بوضوح بحيث انفجر كارتر ضاحكاً .. ضحكة
من قلبه . وأحس عندئذ بأنه على ما يرام ، كذلك المرات التي
ضحك فيها في السجن من القدر ومن الحقيقة ومن الحوادث
الشیطانية . ولكن لهجة جاويل كانت تدل على الخطورة ،
أو بالأحرى على المראה الشديدة . وكان ذلك من طبعه . وازداد
اطمئنان كارتر فجأة وقال :

— هل ستكون في البيت بعد قليل ؟ .. ربما جئت لزيارتك،
فلدى شيء يجب أن أخبرك به .

وأعاد السماعه قبل أن يتمكن جاويل من النطق بشيء .
وغادر كشك التليفون ، وراح يمشى مسرعاً . لماذا ؟ .. حسناً ..
كان يعرف الآن لماذا .. كان يخلق له دليلاً على بعده من مكان
الجريمة في الساعة الحادية عشرة ولم يلبث أن أبطأ في سيره
ليدخر قوته ، ولكن شيئاً بداخله استمر في الاسراع حتى وهو
يدخر نشاطه .

بلغ ناصيتي الشارع العاشر والشارع الثامن قبل الموعد

بـخمس دقائق . وأقبل أوبريان قادما من وسط المدينة ، وكان
يمشي بهدوء وفي يده اليسرى جريدة . وكان يرتدى قبعة ومعطفا
خفيفا مفتوحا يتدلى حزامه على جانبيه . ورأى كارتر فأشار
إليه بالجريدة ، وانضم كل منهما إلى الآخر ، على بعد بضعة
أمتار من الرصيف ، كانت البيوت هناك معتمة ، بها جراجان
مغلقتان . ونظر أوبريان خلفه وقال :

— ألم يتبعك أحد ؟

أجاب كارتر :

— كلا .

— هل تحققت من ذلك ؟

— نعم .

كان أوبريان يبدو أطول من كارتر بنحو عشرة سنتيمترات ،
وكان أضخما في معطفه المفتوح ، ولكن كارتر كان يعرف أنه أطول
منه بقليل ، وأثقل وزنا وأكثر قوة .

— وانت ؟ .. هل تبعك أحد ؟

قال أوبريان في مسكنة وهو ينظر أمامه مباشرة :

— أوه ، طبعاً .. كما هي العادة دائما . ولكنني تنقلت في
سيارات أجرة كثيرة ، ولم يعد هناك من يتبعني الآن . وأنا
لا أهتم بذلك على العموم .

وابتسم ابتسامة خفيفة ، ونظر إلى كارتر وأتى بحركات
عصبية من يده اليمنى التي تمسك بالجريدة الآن وسأله :

— هل جئت بالنقود ؟

أجاب كارتر :

— نصيب .

وزاح يتقدم ، خطوة ، خطوتين ، ثم ثلاث . كانا يسيران
ببطء وهما يتكلمان وقال كارتر :

— ولكن أريد أن أسالك يا أوبريان ... أهى الدفعة
الأخيرة أو ماذا أتوقع ؟

ضحك أوبريان ضحكة قصيرة عصبية وقال :

— الواقع أنني لست بحاجة الى أن أقول لك .. حسنا ..
إنها الدفعة الأخيرة ، ما لم يضايقنى البوليس وأتعرض لكسر
أسناني وتحطيم أنفى من أجلك .

تبين كارتر لهجة العداء فى العبارة التى نطق بها أوبريان .
كان هناك شيء .. كما كان الأمر معه تماما ، وهو فى السجن ، بين
المساجين الذين كان يعايشهم ويعادونه بسبب صداقته لماكس .
كان أوبريان مبطلا ، وأمامهما فى الركن الأيسر ، أمام شارع
جرينوتش ، أو ما اعتقد كارتر أنه شارع جرينوتش ، واجهة
سوداء لا نوافذ بها ، بدت كما لو كانت مخزنا ، يخذها من أسفل
سور من الحديد ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار ، وفى ركن الشارع
مصباح . واجتاز رجل شارع جرينوتش ، وأقبل نحوهما ، ولكن
على الرصيف المقابل .

توقف أوبريان وقال :

— حسنا ؟

نظر كارتر الى الرجل الذى على الرصيف المقابل ، والذى
كان يمشى أمامهما الآن دون أن يوجه اليهما أى اهتمام ، ودس
يده فى جيب معطفه الداخلى وأخرجها فارغة ، وقال وهو يشير
الى المصباح :

— هلم بنا هناك ؟

سأله أوبريان في ارتياب :

— لماذا ؟

لأننا بجوار بيوت يحتمل أن يخرج منها أحد . . ورأى كارتز
أن المخزن في مكان مقفر ، وقال وهو يجتاز الشارع قبل أن يتمكن
أوبريان من الاحتجاج : المكان هناك أكثر أمنا .

تبعه أوبريان ، ولكن في ببطء وأخيرا ، عندما بلغ كارتز
الرصيف الذي به المخزن ، لم يكن بينه وبين أوبريان أكثر من
خمسة أمتار . وتلفت أوبريان يمينا وشمالا . وانعكس نور
مصابحي سيارة على شارع جرينوتش ، ولم تلبث أن انطلقت
بعيدا .

أحس كارتز رأسه ، ويذاة على صدره تقريبا كما لو كان
يعد الأوراق المالية التي أخرجها من جيبه . كان واقفا على
بعد نحو خمسة عشر قدما من المصباح ، مواجهها إياه . وجاء
أوبريان خلفه وهو يقول :

يا الهى ! . . هل يجب أن تعدها ثانية ؟

استدار كارتز بحيث أولى ظهره للنور ، وبذلك لم ير أوبريان
أنه ليس معه شيء ، ورفع يديه مرة واحدة وامسك بأوبريان
من ذراعه ، ولم يكن هذا الأخير يتوقع منه ذلك ، ولكنه طوح
برأسه الى الخلف ، وهذا ما كان يريد كارتز بالذات . وانقض
أوبريان عليه بيد معنى سريعة ، ولكن كارتز تفادها ، وضربه
بسيوف يده اليسرى ، بين مقدم الرقبة وجانبها ، في مكان
لا تتحطم فيه أية عظمة . وبدا أن جسد أوبريان لم يتأثر ، ولكنه
أضرب . وعاجله كارتز بضربة أخرى بيده اليسرى ، وأخرى بيده

اليمنى ، فى مؤخر الرقبة ، تحت المخ بالذات . ووقع أوبريان على الأرض ، واستخدم كارتير عندئذ قدمه وراح يضربه بها فى رأسه . ونظر حوله ، ورأى حجرا أسمنتيا ضخما ، ولكنه لم يستطع رفعه لأنه كان جزءا من دعامة السور الحديدى ، فركله يقدمه من جديد ، فى مؤخر رقبته . ولم يتحرك أوبريان . وكان فى مقدور كارتير أن يركله فى وجهه ، ولكنه لم يستطع أو لم يفعل .

— ايه . . ما هذا يا صاح !

أسرع كارتير بالجري هربا من ذلك الصوت ، وانعطف الى أول شارع على يساره ، نحو الشرق ، ثم راح يهرول فى بطة ، مستظلا بجدران البيوت ، فى الناحية الشرقية من الشارع ، لأنه رأى رجلين يأتیان نحوه . وبدأ كارتير يمشى بهدوء ، فان ذلك الذى صاح به لا ريب سيفحص أوبريان أولا ، وبذلك تمر بضع ثوان قبل أن يشرع فى مطاردته واجتاز شوارعاً دون أن يعبا ابن يؤدى ، وكان يسير الآن بطريقة عادية من غير اسراع ، رغم أنه أحس أنه مبطيء . واتجه نحو الجنوب ، وراح ينعطف شرقا عند كل شارع . وأحس بشيء يسيل من الأصبع الصفرى ليدته اليمنى فرفع يده ورأى أنه دم ، فامتص المكان الذى يوخزه ، وأحس تحت لسانه بقطع صغير فى جانب يده . وأخرج من جيبه كلينكس وضغطه على الجرح وهو يمشى مستخدماً الدم الطازج لازالة الدم المتجمد على أصبعه . وعندما ابتلت الورقة القاهها فى صندوق للقمامة وأخرج منديله من جيبه .

كان الآن جنوب ميدان واشنطن ، ووجد سيارة أجرة أمام كباريه فطلب من السائق أن يمضى به الى ميدان التايمز ، وحاول أن يسترخى فى السيارة ومدد ساقيه وهو يضغط بالمنديل على الجرح .

سأله السائق :

— في أى مكان من ميدان التايمز .

قال كارتير لمجرد الحديث :

— ناصية الميدان .. أمام الشارع السابع .

جف الجرح ، واقلح كارتير في ربط المندبل مستخدما أسنانه ،
بطريقة لا يظهر منها الدم في الخارج . ثم نقد السائق دولارين
كان قد أعدهما في يده وقال :

— احتفظ بالباقي .

وسار حتى الشارع الخامس ، واستقل سيارة أجرة أخرى ،
وتذكر ان السائقين يحجمون عن المضي الى مانهاتن فقال :

— هل يمكن أن تمضى بى الى جاكسون هيتس ؟

قال السائق :

— حسنا .. واين بالدات ؟

— سأرشدك عندما نصل هناك .

وعندما بلغا جاكسون هيتس ، انحنى كارتير نحو السائق
وقال له ان ينطلق نحو اليمين ، ثم نحو اليسار وان يقف أخيرا .
وكانا قد وصلا الى مفترق للطرق به مطاعم وبار . وكان كارتير
يعرف انه على مسار نحو خمس دقائق من بيت جاويل . ونقد
السائق أجره ، وسار على قدميه حتى بيت جاويل ، وكانت
الساعة قد بلغت الثانية عشرة الا الربع .

توقف كارتير في شارع معتم وهو يقول لنفسه ان لا حاجة
به الى الذهاب الى بيت جاويل ، وان في مقدوره أن يستقل سيارة
أجرة أخرى ويعود الى البيت . دون أن يبدل السيارة في منتصف

الطريق . ولكنه أحس بأنه غير قادر على العودة الى بيته على الفور ، فخرج على تاجر خمر كان على وشك اغلاق محله واشترى زجاجة من الويسكى .

حدث نفسه قائلا : « سأبقى نصف ساعة » ربما يتضايق جاويل عندما يراه في مثل هذه الساعة ، ولا يدعو للدخول ، وإذا حدث هذا فسوف يعطيه زجاجة الويسكى وينصرف . وفي مقدوره طبعاً البقاء أكثر من نصف ساعة . لم يكن في استطاعته التنبؤ بشيء . وفك المنديل ونظر الى يده تحت نور أحد المصابيح ، كان الجرح عبارة عن شق صغير جداً في جانب يده ، بين ركيعة الأصبع الصفري والمعصم ، ربما كانت أسنان أوبريان هي التي انفرزت في اللحم وأحدثت هذا القطع . ولكنه كان قطعاً صغيراً جداً لا يكاد يلحظ .

لم يرد جاويل على جرس الباب الممومي للبيت ، ومع ذلك فقد استقل المصعد ، وطرق باب الشقة . وسمع بعد لحظة خطوات جاويل الثقيلة ، وانفتح الباب . كان جاويل مرتدياً البيجامة وفوقها روب دي شامبر وقال :

— إنك تأخرت .

— وهل تأخرت كثيراً ؟ .. هاك بعض الويسكى .

ابتسم جاويل ابتسامة خفيفة وقال :

— أراك قد وفيت بوعدك ، حسناً .. ادخل وتناول

كأساً .

ودخل غرفة المعيشة وهو يقول :

— ما الذى أخرك ؟

قال كارتر :

— عشاء عمل مع رجال المكتب ، وأخذنا نثرثر بعد ذلك ،
وانت تعرف ما يدور عادة .

اعد جاويل كأسين في المطبخ ، وقال عندما عاد بهما :

— حسنا . ماذا تريد أن تقول لى ؟

رفع كارتر كأسه في بطء ، نخب جاويل قبل أن يشرب ،
وعندما أفرغ نصفها خلع مصطفه ، وتهالك فوق مقعد ، وقال وهو
يعقد ساقيه :

— أنك سألتنى عن هازل ، وارتدت أن أقول لك أن الأمر
بيننا على ما يرام .

لم ينطق جاويل ، ولكن كارتر رأى أنه يصدقه . وقال
جاويل أخيرا :

— يبدو أن عشاء العمل كان يفتقر الى الويسكى .

ابتسم كارتر وقال :

— كان عشاء صينيا ، واحتسينا الكثير من الشاي .
ولكن ...

ونهض وسار نحو المطبخ وهو يقول :

— هل تتضايق اذا صببت لنفسى كأسا ؟

اجابه جاويل :

— أبدا .

صب كارتر لنفسه كأسا . وبعد أن اضاف اليه الماء ،

فحسل الدم الذى حول ظفر أصبعه الصغير . كان القطع قد جف الآن تماما . وأخرج المنديل الملوث بالدم ، وتردد بين أن يلقيه فى صندوق القمامة أو فى ماسورة المرمد ، واستقر على الراى الثانى ؛ ففتح المرمد دون أن يحدث صوتا ، وقال وهو يعود الى غرفة المعيشة :

- اعتقد اننى يجب أن أخبرك بما أطلعنى أوستريخر عليه اليوم . ان لديه كل المعلومات التى جمعها سوليفان عنك ، وهو متأثر جدا بها .. من حيث الدافع على قتل سوليفان .

صاح جاويل وهو يقف :

- كلها أكاذيب !

- هذا ما قاله لى على كل حال ، وهو مدعاة لارتياحى وازعاج شديد لأوبريان . ماذا ستفعل معه ؟ .. ألا تظن أنه يشكل خطرا عليك ؟

صاح جاويل فى انفعال شديد بحيث اهتز الكأس الذى فى يده وانسكب بعض ما فيه على الأرض :

- اسمع . سأقول لك أخيرا .. ان دركسل هو الذى وراء عملية الاختلاس .. لقد حصل على أكبر جزء من المبلغ .. حصل على نصفه على كل حال ، وحصل بالمر على النصف الآخر .

طرفت عينا كارتر . ذلك العجوز المتدين الوقور الذى لم يشك فيه البوليس ، ولم يستجوبوه تقريبا .. لم يستجوبوه عن احتمال اشتراكه فى عملية الاختلاس وإنما استجوبوه عن أخلاقيات موظفيه .. دركسل الذى أسكت ضميره بدفع جزء من مرتبه ، والدئ استمر بعد كارثة المدرسة يبنى مدارس أخرى كثيرة

بنفس الشروط ، ولم توح اليه الازمة التى تعرض لها ، حتى وهو على فراش الموت ان يرضى ضميره ويعترف بذنبه .. والغريب ان سوليفان لم يشك فيه لحظة واحدة .

وانتهى كارتر بأن قال وقد ومض فى ذهنه وميض خفيف :
- حسنا . لا عجب اذن فى انهم فشلوا فى معرفة أين ذهبت كل هذه النقود .. نصف المائتين والخمسين ألف دولار .
- اخفاها دركسل كلها .

- ولم يعرف سوليفان ذلك بالتأكيد .. أم تراه كان يعرف ؟

قال جاويل :

- بل لم يعرف .

- ولماذا لم تقل له ذلك ، خصوصا بعد موت دركسل ..
انه مات منذ شهر .

تهالك جاويل فوق الأريكة من جديد ، ولكنه انحنى الى الامام وقال :

- سأقول لك لماذا ؟ .. اردت ان اراه يفشل .. نعم ، اردت ان اقتله ، وانت تعرف ذلك .

نعم ، كان كارتر يعرف ذلك . أراد جاويل بهوسه العجيب ان يؤجج حقه لسوليفان بأن يجعله يستمر فى البحث عن أدلة ضده ، وقال :

- لابد أنك جنيت الكثير من عملية التريومف يا جريج ..
الم يكن دركسل يعرف انكم تعلمون انه يختلس نقودا ؟

.. أوه ، اننى جنيت القليل .. بعض الفئات .. كنت كما
لو ان مليونيرا يدعونى لقضاء اجازة معه . وكان يدفع نفقاتى
فى نيويورك .. فى عطلات آخر الأسبوع أحيانا .

واردف يقول فى شيء من الامتناع :

.. أترى من ذلك اننى جنيت شيئا ؟

.. ابتسم كارتر وقال :

.. ولماذا لم تبتز منهما اكثر ؟

بدا التفكير على جاويل ، كما لو انه يحاول أن يتصور
هجزه من الاقدام على ذلك ، وأدرك كارتر أنه كان لدى دركسل
بالم أدلة تشين جاويل ، فلا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك ، وقال :

.. هذا لا يهم .. اننى فاهم .

ونظر الى التليفون ، وما كاد يفعل حتى صلصل الجرس
فأسرع كارتر يقول :

.. أين كنت الليلة ؟

كان جاويل يوشك أن يمسك سماعة التليفون ولكنه
توقف ، وبقيت يده معلقة فى الفضاء وقال :

.. لماذا ؟ .. كنت فى بار ، أشاهد ملاكمة فى التليفزيون .

.. كنت معى .. طوال السهرة .

قال جاويل فى عصبية :

.. آه .

وصلصل جرس التليفون للمرة الثالثة ، وعاد كارتر يقول :

— ذهبت للقائك في البار ، وعدت أنت الى بيتك اولا ،
وانضمت انا اليك بعد قليل ومعى زجاجة ويسكى .

قطب جاويل جبينه وقال :

— بعد قليل ؟ .. ما معنى ذلك ؟

— رد على التليفون .

أعاد جاويل يده المعلقة الى ركبته ثم مدها ثانية وأمسك
سماعة التليفون ، وقال :

— آلو .

واستطاع كارتر ان يسمع صوتا خشنا .. صوت رجل ..
ونظر الى وجه جاويل :

— نعم ، نعم ، آه ، نعم .

وبدت الدهشة على جاويل والتوتر ، ونظر الى كارتر وعاد
يقول في التليفون :

— بكل تأكيد .. لن أتحرك .. انفقنا .

وأعاد السماعة مكانها ، وبدأ اليقين في عينيه وهو يقول :

— مات اوبريان .. هل قتلته ؟

— من الواضح ان القاتل انا انا واما أنت . ولكن من
الأوفى ان لا يكون لا انا ولا أنت . يا جريج . ومن الأوفى ان تقول
اننا قضينا السهرة معا . سأقول لهازل اننى كذبت عليها
بخصوص مساء العمل وأتيت لكى أراك ، والتقيت بك في البار ..
هل كان البار مزدحما ؟

— نعم .

— أين ؟

— فى شارع جاكسون هيتس .. ليس بار أوبريان ..
لا أدري ما اسمه .. آه ، حانة روجر .

— حسنا ، ماذا حدث الليلة للشرطى الذى يراقبك ؟ اليس
هناك شرطى أمام البيت ؟

نهض كارتر فجأة ونظر الى الباب ، ثم نظر الى جاويل
وقال :

— لم أر سيارة بوليس عند قدمى ، ولكننى لم أحاول
البحث عنها .

جفف جاويل جبينه ، ومر بيده حول عنقه ، تحت ياقة
بيجامته وقال :

— لماذا قتلت أوبريان ؟ .. هل كان يبتزك ؟ .. ام
مماذا ؟

— مات سوليفان ، اليس كذلك ؟ فيم يهمك السبب ؟ ..
نعم ، اننى قتلت أوبريان . هل تريد أن أقول اننى رأيته يخرج
من شقة سوليفان ويهبط السلم ركضا فى نفس اللحظة التى
هممت أنا بدخولها ؟ اظنك لا تريد أن أقول لهم انك كنت تخطط
لقتل سوليفان .

صاح جاويل :

— يا الهى ! ... هأنذا مرة أخرى كبش الفداء .

ودفن وجهه بين يديه . وابتسم كارتر . وأشعل سيجارة
وقال :

— لا خيار لك يا جريج ، ولا خيار لى أنا أيضا . ولكن

يمكننا أن نتفق .. شخص ما قتل أوبريان .. شخص آخر
ربما كان أوبريان يدين له ببعض المال ، وليس نحن .

قال جاويل في صوت أكثر هدوءا :

— نتفق ؟

ون جرس الباب العمومي ، فنهض جاويل ومضى الى المطبخ
بخطوات ثقيلة ، وضغط على المفتاح الذي يفتح الباب ثم عاد
في نفس الخطوات . وسأله كارتر وهو لا يدرى ان كان رده
سيكون معاديا أو سلبيا أو متعاوننا .. متى ذهبت الى البار
الليلة ؟

اجاب جاويل بلهجة تدل على عجزه :

— في الساعة الثامنة والنصف .

احس كارتر بكفة قدره تتأرجح ، وقال في صوت هادئ :

— وانا انضممت اليك في نفس الوقت . اتصلت بك قبل
ذلك في الساعة السادسة والنصف ، وتواعدنا على اللقاء في
البار .

ون جرس باب المسكن عقب هذه الكلمات . وقال كارتر :

— هل كنت بالبيت في السادسة والنصف ؟

اجاب جاويل :

— نعم ...

ومضى لكي يفتح الباب .

دخل أوستريخر ، ومعه شرطى لم يسبق لكارتر أن رآه .

وقال :

— آه .. انت هنا يا مستر كارتر ؟ .. مساء الخير .

قال كارتر :

— مساء الخير .

— ومستر جاويل يستعد للنوم ؟

— في هذه الساعة ، نعم .

لم يجلس أوستريخر ولا زميله . ونظر الضابط الى وجهي كارتر وجاويل في نفس الوقت وهو يتكلم فقال :

— لا ريب أنك سمعت النبأ يا مستر كارتر .. وجدنا اويريان ميتا الليلة في احد شوارع وست اند . ضربه القاتل ضربا أفضى الى الموت .

لم ينطق كارتر بشيء . وانما نظر الى أوستريخر . كان يمسك كأسه التي لم تفرغ بعد بيده اليمنى وأصبعه الصغرى تحت قاعدة الكأس :

— أين كنتما الليلة ، معا ، في نحو الساعة الحادية عشرة يا مستر كارتر ؟

— اعتقد أنني كنت أمشي في شارع جاكسون هيتس .. كنت قد قضيت جزءا من السهرة مع جاويل .

— أي جزء ؟

— من الساعة الثامنة والنصف حتى العاشرة والنصف . سأله أوستريخر :

— افترقتما اذن في العاشرة والنصف ؟

وأردف يقول مخاطبا الشرطي الذي معه :

— سجل هذا القول .

واسرع الشرطى باخراج دفتره وقلمه .

قال كارتير :

— بقينا نشتر لحظة في احد البارات ثم انصرف جاويل ،
اما انا فلم اكن قد فرغت من حديثى معه ، فاشتريت زجاجة
ويسكى واتيت اليه في البيت .

فتح اوستريخر فمه قليلا ، ولكنه لم يقل شيئا . وراح
ينقل بصره بين كارتير وجاويل كما لو انه كان يود ان يسألها
اين كان كل منهما على حدة وقال :

— وانت يا مستر جاويل .. اين كنت ؟

— غادرت البار في نحو ...

— اى بلر ؟

اجاب جاويل :

— حانة روجر .

ووضع سيجارة في فمه ، وكان واقفا هو الآخر ، وأردف :

— اعتقد اننى عدت في نحو العاشرة والنصف . لا ادرى
بالضبط . سل الشرطى الذى يقوم بالمراقبة امام البيت ، فلاريب
انه يعرف . او لعله انت الشرطى (قال ذلك مخاطبا الشرطى
الذى يسجل اقواله ، ولكن الشرطى اكتفى بأن نظر اليه
ولم يرد) .

— متى عاد ؟

فحص الشرطى دفتره ثم قال :

– فى العاشرة والرربع .

– وكارتر ؟

فحص الشرطى دفتره من جديء ثم هز كتفيه كما لو كان يعتذر وقال :

– آسف . لم أسجل الوقت الذى قدم فيه هذا السيد .

ارتسمت أمارات الضيق على أوستريخر وقال :

– فى أية ساعة جئت الى جاكسون هيتس يا مستر كارتر ؟
أجاب كارتر :

– فى نحو الثامنة والنصف .

– وما هو الموضوع الذى دار بينك وبين مستر جاويل ؟
قال كارتر :

– ماذا تعتقد أنت ؟

لمعت عينا أوستريخر وهو ينظر الى جاويل وقال :

– من استأجرت لكى يقتل أوبريان يا جاويل ؟ .. وكم دفعت له ؟ .. أو بكم وعده ؟

صاح جاويل :

– لا تقهمنى فى ذلك .

– بل أنت مقحم فيه رغم أنك . لن تنجو هذه المرة وسوف تقضى بضعة أيام فى السجن ، وبضع ليال .

– لا أعرف من قتل أوبريان . ولا أحفل بذلك . ولن تفوز منى بشيء .

أعجب كارتر بجاويل هذه المرة ، وبدأت بؤادر الهزيمة في عيني أوستريخر ، واستدار وتمتم بشيء للشرطي الذي كان عاكفا على تدوين ملاحظاته . وأوما الشرطي برأسه في حين مضى أوستريخر الى تليفون جاويل ، وتناول السماعة وأدار القرص ، وقال للذي رد عليه :

— قل لهولنجورث أن يبقى مكانه .

وأعاد السماعة ثم تحول الى كارتر وجاويل :

— ارتد ثيابك يا جاويل . سنمضي الى البار الذي كنت فيه .

بدأ جاويل يتحرك ، ثم نظر الى ساعته وقال :

— انه يفلق في منتصف الساعة الحادية عشرة .

قال أوستريخر :

— سوف نجد أحدا .

وعندما وصلت بهم عربة البوليس كان البار مغلقا ، فمضى أوستريخر الى بار آخر في نفس الشارع ، لانزال ابوابه مفتوحة ، لكي يتكلم في التليفون ، ويرى ان كان هناك أحد في البار الأول ، او ربما لكي يسأل عن اسم صاحبه الذي زعم جاويل انه لا يعرفه ، او لم يشأ ان يخبره به . وعاد بعد خمس دقائق وقال للسائق :

— عد بنا الى القسم .

وما ان بلغوه حتى سأل كارتر أوستريخر اذا كان يمكنه أن يتصل بزوجته تليفونيا فوافق أوستريخر ، ولكنه بقي بكل برود على بعد خطوتين منه بينما كان يدير قرص التليفون لكي يسمع ما سوف يقول . وقالت هازل تسأل زوجها :

— ولكن أين أنت ؟

اجابها كارتر من غير ان يبتسم ولكن بهدوء تام :

— انا على ما يرام . لا أستطيع ان اتحدث الآن لأننى لست وحدى ، ولكننى بخير ، فلا تقلقى .

لا ، ولو حتى عذبه وضربه حتى الموت . سيعرف كيف يصمد ، وسينتهى به الأمر الى أن يعود الى بيته .

أبقاهما أوستريخر حتى الرابعة صباحا وهو يستجوبهما ، اكل على حدة ، وكل بدوره . ولم ير كارتر جاويل بعد وصولهما الى القسم . وفى نحو الساعة الثالثة بدت بوادر الفشل على أوستريخر ، وراح يكرر ويعيد أسئلته فى نفس الوقت ، ثم أتت اللحظة التى بدا فيها ان جارى انهار .

— قال جاويل انك رفضت أن تدفع لأوبريان نيابة عنه رغم أنه وعدك بأن يرد لك المبلغ فيما بعد . وانك ستدفع مساعدة له . . لمن كنت ستدفع يا كارتر ؟

— ولماذا تريدنى أن أساعد جاويل بحق السماء ؟

كان كارتر يجلس فى مقعد عاقد ذراعيه وساقيه . كان استجوابا مترفا بالمقارنة لما يدور فى السجن ، وبالمقارنة الى التطبيق من الأبهامين . واستطرد :

— انك تضيع وقتك .

كان مستعدا ذهنيا على كل حال الى البقاء واعيا طوال الليل ، وطوال نهار اليوم التالى ، فى حين ان أوستريخر سينام ، وطوال ليل الغد أيضا مع أوستريخر ثانية . وكان على يقين من ان جاويل لم ينهر لأن ذلك لو حدث حقا لأدلى أوستريخر

بتصريحاته بقوة مشفوعة بالكلمات والضرب ، وأحس كارتر بالأمان مع جاويل كشريك له في هذه الظروف فانه سيفعل كل شيء ليحمي نفسه .

قال أوستريخر :

— انا لا اضيع وقتي ، وانما انت الذى تضيع وقتك .

حذق كارتر في أوستريخر دون أن يهتز .

تخلّى أوستريخر عن استجوابه بعد ذلك بقليل أثناء الليل . وأعيد كارتر الى زنزانه في آخر الرواق بها سرير مثبت في الحائط عليه بيجامة نظيفة ، وبدأ الأمر كأن خادمة في فندق تمضى به الى احدى الغرف . ولم تكن الزنزانه مجهزة الا بالماء البارد ولكن المرحاض كان نظيفا جدا . وكانت الزنزانه تبدو كغرفة في فندق بالمقارنة الى الزنزانات التى عرفها في السجن . ولم ير جاويل ، ولكنه كان متأكدا من أنه يقضى الليل هو الآخر في مكان ما .

لم يحدث شيء حتى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى، عندما أقبل أوستريخر مع رجلين ، هما صاحب بار « حانة روجر » وساقيه . وقال كل منهما انهما لم يلحظا كارتر في البار ، ولكن يحتمل انهما لم يلحظاه . ولم يعرفا جاويل بالاسم وانما بالنظر لأنه يختلف الى البار كثيرا . وكان كارتر موجودا عندما واجه أوستريخر جاويل بالرجلين ، وقد سأل الرجلين بعد ذلك اذا كانا يتذكرا ان انهما رآيا كارتر وجاويل معا .

أجلب الساقى وهو يهز رأسه :

— اما انا فلا . ولكن البار كان شديد الازدحام أمس بسبب الملاكمة . والناس كما تعرف كانوا يأتون الى المنصة ويطلبون منى كئوسا مرارا كثيرة ويعودون بها لأصدقائهم .

أوما أوستريخر برأسه نحو جاويل وقال :

- وهل تتذكر اذا كان قد اشترى مشروبين ليلة أمس في
أى وقت .

بلل الساقى شفتيه فى حذر وقال :

- اذا أردت الصدق فلا . ولكن قد أكون مخطئاً أعنى أن
الناس أمس كانوا كثرة ، وكانوا يقفون فى ثلاثة صفوف أمام
المنصة ، ولا أريد أن أجزم وأنسبب فى أضرار أحد . اننى لا أذكر
فحسب .

قال كارتر فى سره :

- مرحى .. مدافع يدين بشعار رجل الشارع . « ابتعد
عن المشاكل » .

ولم يتذكر صاحب البار هو الآخر اذا كان جاويل قد طلب
كأسين أم لا . وقال انه قضى الأمسية فى آخر البار مع صديقين .
وقال أوستريخر يخاطب الرجلين :

- حسن جداً .. قد نحتاج اليكما مرة أخرى .
وانصرف الرجلان .

ثم تحدث أوستريخر مع كارتر بمفرده فى زنزانته . وكان
كلتر مرتدياً ثيابه فيما عدا الجاكته :

- لنعد الى مساء أمس .. اننى رأيت زوجتك صباح
اليوم . قالت لى انك كنت فى عشاء عمل فى مكتبك . لماذا كذبت
عليها ؟

- كنت أعرف انها ستقلق اذا عرفت اننى ماض للقاء
جاويل .

– ولماذا تقلق ؟ انك رايتہ قبل ذلك مرتين .

– ان جاويل ليس صديقاً حميماً لى ، ويختلط بأهل
السوء . وقد انزعجت زوجتى عندما قلت لها اننى زرتہ .

– ولماذا قلت لها انك زرتہ، ولأى سبب ذهبت اليه ؟

– لكى ارى ان كان يعترف بأنه استأجر أوبريان . خطر لى
انه حتى اذا كذب على البوليس فاننى أستطيع ان أعرف اذا كان
يكتب أم لا .

ضاعت عينا أوستريخر وقال :

– ولكن ماذا كان بوسعك ان تفعل ؟

نظر كارتر اليه فى ضيق وقال :

ليس من المهم ان نعرف الحقيقة سواء استطعنا ان نفعل
شيئاً أم لا .

– قالت لنا زوجتك انك سررت جداً منذ أيام باكتشافك
ان جاويل استأجر أوبريان ، فلماذا قابلته الليلة الماضية ؟
كان كارتر جالساً على حافة فراشه الصلب . وقال :

– كنت أريد المزيد من التفاصيل . كم دفع لأوبريان او بكم
وعده مثلاً . لم يعترف لى جاويل أبداً بأنه استأجر أوبريان .
انكر ذلك . ولكننى ظننت أنه استأجره وأخبرت زوجتى بذلك .
وخطر لى اننى اذا استطعت ان الاحقه وان أعرف المبلغ الذى
وعده به فاننى أستطيع ان انقذ نفسى من الورطة .

قال أوستريخر :

– انت تعترف اذن انك كنت فى ورطة ؟

ـ طبعسا .

ـ أنت في ورطة اكبر الآن . لنقل ان جساويل استاجر
أوبريان ، وانك أنت الذى قتلت سوليفان في الواقع . واذا كنت
قد قتلت فان أوبريان كان يعرف ذلك ، وكان في موقف ممتاز
لكي يهددك ويبتز أموالك . ألم يحاول ابتزازك يا مستر كارتر
وقررت ان تقتله ، وقتلته فعلا . . ألم يكن على موعد معك ؟

قال كارتر :

ـ كلا .

ـ مساء أمس ؟

ـ سوف تتحقق من اننى لم اسحب أى مبلغ من حسابى .

ـ ولم يسحب جاويل شيئا من حسابه هو الآخر . وما كنت
لتسحب منه شيئا لو أنك قررت ان تقتله .

ـ لم اقرر قتله . . كان مشكلة جاويل وليس مشكلتى .

وفتح كارتر يديه وتركهما حتى ركبتيه ، ثم أخذ سيجارة
في بطة . كانت آخر ما معه من سجائر ، وكان مدركا انه هادىء
جدا ومطمئن ، ولكنه كان مسرورا لأن أوستريخر لم يأت معه
بجهاز الكلب ، فهو لم يكن في داخله كما كان منذ ثلاثة أسابيع .
كان يهتم اليوم بالنتيجة أكثر من أى وقت مضى ، وكان يقول
لنفسه « سأرد القصص الذى تلقيته » ولم يدر من أين جاءت
تلك الكلمات الى ذهنه فجأة .

ونظر أوستريخر في عينيه ، وقال له هذا الأخير :

ـ ماذا تناولت في البار مساء أمس ؟

ـ ويسكى بالمساء .

— كم كأسا ؟

— كأسين على ما اظن او ثلاثة .

— ومن الذى طلبها ؟

قال كارتر :

— لقد طلب كل منا دورا .

ماذا قال جاويل لأوستريخر ؟ .. وعاد يقول :

— واظن اننى ذهبت الى منصة البار وطلبت كأسين .

— تظن ؟

— دفع جاويل ثمن المشروبين الأولين ، واظن ان الساقى هو الذى جاء بهما . لا ادرى ، فقد كان البار مزدحما والضجة شديدة ، ولم نستطع التحدث ، ولهذا مضيت الى بيت جاويل .

— وذلك بعد ان التقيت بأوبريان فى الساعة الحادية عشرة فى نيويورك وقتلته ؟ .. ثم أسرعت الى هنا .

هز كارتر رماذ سيجارته فى هدوء وقال :

— كلا .

— ألم يكن جاويل على علم بما يدور ؟ لهذا السبب لم يدفع لأوبريان ؟ هل اتفقتما على ان يكون كل منكما دليل براءة الآخر ، اذا انت قتلت أوبريان ؟

قطب كارتر جبينه وقال :

— كانت دهشة جاويل كدهشتى تماما عندما علم بموت أوبريان . لماذا لا تستعلم من سائقى السيارات اذا كنت تظن اننى قمت بكل هذه التنقلات .

— لقد فعلت . سيأتى سائق ربما يقول لنا ما نريد ان نعرف . ان أغلب الذين كانوا يعملون أمس ليلاً ما زالوا ينامون هذا الصباح .

لم ينزعج كارتر ازاء هذا القول ، وقال أوستريخر :

— سأراك بعد لحظة .

وخرج ، وأغلق الباب ذى القضبان الحديدية ، وأشار الى حارس ادار المفتاح فى القفل . وخاطب كارتر الحارس قائلاً :

— هل أستطيع ان اتصل بزوجتى فى التليفون ؟

لم يسمح لكارتر بأية مكالمة تليفونية بعد المكالمة الأولى التى قام بها ، ولكن قيل له انه يمكنه ان يعين له محامياً اذا اراد .

— هذا ما سوف افعل . ولكن هل يمكنك اثناء ذلك ان تأتينى بعلبة سجائر .

وناوله ورقة مالية من فئة الخمسين سنتاً من خلال القضبان ، أخذها الحارس وابتعد . وعاد بعد خمس دقائق ومعه السجائر وخمسة عشر سنتاً . واتصل كارتر بعد ذلك تليفونيا بأحد المحامين الثلاثة الذين عينهم له ضابط القسم ، وتواعد معه لبعده الظهر . كان يعرف ان الكفالة ، اذا كانت هناك كفالة ستكون جسيمة حتى لا يتمكن من ايجادها ، ولم يكن مهتماً جداً بالحماية التى سيكفلها له المحامى ، ولكنه اراد ان يوكل عنه محامياً لأن هذه هى العادة . وجاء حلاق فى الساعة الثانية من بعد الظهر وحلق له ذقنه . وأقبل المحامى بعد ذلك بقليل ، ويدعى ماتيو ايلليس ، وهو رجل طويل القامة وبدين ، فى الثلاثين

من العمر ، له شارب أسود صغير ، تكلم مع كارتر في زنزانته نحو
عشرين دقيقة ثم أكد له أنهم إذا لم يجدوا دليلا آخر ضده فلن
يمكنهم إبقاؤه أكثر من ثمان وأربعين ساعة . ووعده بأن يتصل بهازل ،
وأن يشرح لها الموقف . لم يكن بوسعها شيئا للحصول على إذن
بزيارتها له . وفي الصباح سأل كارتر الحارس ثم الضابط
أن كان يمكن لزوجته أن تزوره فأجابه الضابط :

— كلا .

وقال كارتر لنفسه أنه يطيع أوامر أوستريخر دون شك .
وفي الساعة الثالثة من بعد الظهر تساءل كارتر إذا كان
أوستريخر لا يزال يستجوب جاويل حتى ذلك الوقت ، وإذا كان
جاويل من الذكاء بحيث يذكر ما دار بينهما من حديث ، أي إذا
كان قد استأجر أوبريان أو لا ، وأن يصمد ويؤكد ما قاله كارتر
بخصوصهما أمام أوستريخر ، وقال لنفسه أنه سيكون من الذكاء
بالطبع بحيث يؤكد الوضع الراهن . أما إذا تكلم فسوف يضع نفسه
في ورطة ، أقل طبعا من ورطة كارتر ، ولكنها ورطة على كل حال ،
في حين أنه سيكون حريصا على أن يحمي نفسه ، فرغم الحقد
الذي كان يكنه لسوليفان لم يجرؤ أبدا أن يقتله ، وإنما كلف
شخصا غيره لكي يفعل .

بقى كارتر مستلقيا على ظهره ، يدخن وينظر الى السقف .
وفكر في الكلمات التي خطرت بذهنه وهو يتحدث مع أوستريخر
« القصاص الذي تلقيته » . لم تكن كلمة القصاص الكلمة
المناسبة لوصف كل هذا وإنما هي العين بالعين فهي أقرب شيء
كان يحس به . ثم أنها لم تكن كذلك أيضا لأنه لم يكن يؤمن
بها أساسا ، فإن قتله لسوليفان عمل رسمي قام به في سورة
من الغضب ، وكونه لم يشعر بأي ذنب جعل جريمته أسوأ .
أما قتله لأوبريان فكان عملا مدروسا ومتعمدا لكي ينقل نفسه

من عواقب عمل سييء . ورغم انه اقتنع في قرارة نفسه بأن العاملين سيئان الا انه لم يشعر بأى وخز . . أو بالأحرى بوخز بسيط لضميره بسبب أى منهما وبكليهما معا . وأسف لارتكابه الجريمتين ولكنه أسف أيضا لعلاقة هازل بسوليفان ، ولأنها استمرت على علاقتها به . ووقف كارتر فجأة . . هل ستكون هناك ضحية أخرى ؟ ثم أخرى . . فى كل مرة يحقد فيها على شخص أو يكون لديه سبب يجعله يتمنى اختفائه يقتله بكل بساطة كما لو كان رجلا همجيا ؟ . . نظر الى المرأة التى فوق الحوض رغم انه لم يكن يواجهها . وعكست المرأة القضبان الحديدية لباب زنزانته . كان متأكدا انه لن يقتل احدا بعد اليوم . لم يستطع تفسير هذا اليقين منطقيا ولكنه كان يعرف انه اذا خاتنه هازل من جديد مع أى شخص فإنه يؤثر ان ينتحر بكل بساطة .

اقترب الحارس من الباب وقال له :

— رسالة لك . . وناولها اياها .

أخذ كارتر الرسالة وفضها . كانت من المحامى يقول له فيها انه اتصل بزوجته تليفونيا « وهى تقول لك انها تحبك وان لا تقلق بشأنها » وأنها ستأتى لكى تراك بمجرد أن يسمع بذلك . . كان هناك دنيا من المعانى فى « لا تقلق بشأنها » وابتسم كارتر ، وتدفقت فى كيانه قوة جديدة ، وكان بحاجة الى تلك القوة ، فقد أقبل أوستريخر بعد الخامسة ، بعد أن جاعوه بالعشاء فى صينية ، وقال :

— يمكنك أن تقلع عن غيك يا كارتر ، فقد تكلم جاويل أخيرا . لم يرك أبدا ليلة أمس الا فى نحو منتصف الليل ، ولم تكن برفقته أبدا فى ذلك البار . انك قتلت سوليفان ، ولم يقتله أوبريان . مضيت هناك قبل أوبريان ، ذلك اذا كان أوبريان قد ذهب هناك بالفعل .

أطبق كارتر ذهنه عن كل ما سمع ، وأطبق أخيرا أذنيه تقريبا . لم يصدق ذلك . . لم يصدق أن جاويل تكلم ، وحتى إذا كان قد تكلم فما الذى يخسره الآن بإنكاره كل شيء ؟ وأخذ نفسا عميقا ، وخطع ربطة عنقه وفك أزرار قميصه الذى بدا أشبه بقميص السجن ، ونظر الى أوستريخر فى هدوء ، ووجهه خال من كل تعبير ، كما كان يفعل فى السجن ، لأنه كان يخفى بهذه الطريقة انفعاله ، ويحتفظ بنشاطه فى نفس الوقت .

وانتقلا بعد نصف ساعة الى غرفة فى الطابق الأرضى ، ليس فيها من المفروشات غير مكتب قديم أسمر ، ومقعدين ، جلس كارتر على أحدهما ، وأوستريخر على الثانى . ولم يكن المصباح الذى فوقهما يهتز ، وإنما كان يعكس نورا ساطعا . كان مثبتا فى السقف داخل أباجورة كبيرة خضراء مدهونة باللون الأبيض من الداخل . وفى البداية بدت صورة كارتر وقد استحالت الى السواد ، وإن كان السواد قد بدا منذ أن أودع السجن . وتوهمه أوستريخر شيئا ، فإن تأثير معاشرته لرفقاء السوء فى السجن ست سنوات ، وتأثير المورفين الذى ظل يتعاطاه ، مثله فى ذلك مثل ضعاف الشخصية الذين يتعاطونه أتلف ذهنه فى البداية ، ثم أضر بمعنوياته ، أو بما بقى منها . ثم انه كرجل ضعيف فقد كل كرامة ، واحتفظ بصداقة زائفة مقززة للرجل الذى ضاع زوجته ، وقبل وظيفة أتاه بها . وترك انفعالاته تنفجر أخيرا حتى الجريمة . . وانجذب الى جاويل المتآمر فى قضية اختلاسات التريومف رغم انه انكر الآن انه صديق حميم له ، ورضى أن يتعاطى المخدر فى بيته مرتين ، ولم يذكر جاويل ذلك للبوليس . وقتل بالعمد والترصد أنتونى أوبريان ، الرجل الوحيد الذى كان يمكنه الوثوق به . وقال أوستريخر انه إذا كان يثق بجاويل فإنه مخطيء فليس هناك شرف حقيقى بين اللصوص .

حدث كارتر نفسه فقال وقد تحول ذهنه نحو السطحيات
والشكليات أيضا ، كذهن أوستريخر « وستكونين أنت
صخرتي » .

وصخرته هي هازل المزعزعة والمضروبة مثله . والموجودة
دائما والقوية دائما بحيث يستطيع التشبث بها « رغم انني
محطم » . وأحني رأسه قليلا ، ونظر الى أوستريخر مباشرة
في عينيه .

— أنت لا ترد على أسئلتى .

تكلم كارتر في ببطء :

— ان الأشياء التي ذكرتها ليست أسئلة ، فبماذا تريد
أن أرد ؟

— أي رجل عادي يجد ما يرد به .. ينكر أو يعترف ،
ولكنك تجلس كما أنت ، كمجرم متحجر القلب .

كان في مقدور كارتر أن يبتسم ، ولكنه لم يفعل ، ولم
يتطلب منه ذلك أي جهد ، بل بدا له الأمر طبيعيا ، فان
الحراس في السجن وسموه بنفس الشيء ، وان كان بكلمات
مختلفة ، بعد ان دخل السجن بيضعة أسابيع ، قبل أن يعلقوه
من ابهاميه .

— لا اعترف بأي شيء مما تقول ، وليس لدى ما أقول
غير ما سبق ان قلت لك .

صاح أوستريخر وهو يهدده بأصبعه :

— ماذا تظن انك ستجنى بانكارك بعد ان ذكر جاوليل
الحقيقة .

قال كارتير :

— اشك في انه قال لك كل ذلك ، لأنها ليست الحقيقة .

بقى كارتير وأوستريخر معا في الغرفة حتى بعد الحادية عشرة ، فيما عدا عشرين دقيقة ، في الساعة التاسعة ، اذ خرج أوستريخر لكي يتناول شيئا من الطعام . وأحس كارتير بالجوع في الساعة العاشرة ، ولكنه لم يفصح عن ذلك . وشعر بحاجة ماسة الى النوم أيضا بسبب تكرار الأسئلة ، وقصة جاويل المزعومة ، لم يضعف أبدا رغم انه وجد نفسه مرة أو مرتين يكاد يصدق ان جاويل انهار حقا وتكلم . ولكن عندما كان يحدث ذلك كان يذكر نفسه انه ليس هناك ما يخسره ، وأنه يكسب كل شيء بتمسكه بأقواله . وهذا ما فعل . لم توجه اليه أية ضربة ولم تكن هناك أية مطارق من الكاوتشوك .

فقد أوستريخر صبره أخيرا ، ودمعت عيناه ، وانقلبت ربطة عنقه وقال :

— هل تعرف ماذا تفعل مع أمثالك ؟ اننا نلاحقهم ولا نجعلهم يشعرون بالراحة . . سنضع حدا لمستقبلك . . أو بالأحرى لما بقي منه .

قال كارتير :

— اود ان اراك تطبع القصة التي تزعم ان جاويل رواها لك .

كان قد وقف الآن كما فعل أوستريخر ، ويداه في جيبه ، ومد يده اليمنى لكي يعدل عقدة رباط رقبته وقال :

— عندما اخرج من هنا سأبحث عنها في الجرائد .

بدا الاستياء على وجه أوستريخر ، رغما عنه ولكنه لم يعلق بشيء .

نام كارتر نوما عميقا رغم ان ابهاميه كانا يؤلمانه ، ولم يستطع ان يأخذ أقراسا منذ أربع وعشرين ساعة .

وفي صباح اليوم التالي ، وكان يوم أحد ، في نحو الساعة الحادية عشرة ، اقبل ماتيوا ايليس الى باب الزنزاة مبتسما وقال :

— ان زوجتك هنا . تستطيع ان تعود الى البيت بعد قليل .

وقف كارتر خلف القضبان ينتظر ان يراها تدخل من الباب، في آخر الرواق . واقبل حارس نحوه تتبعه هازل . كانت عارية الرأس ، وبين ذراعيها شيء ملفوف في ورق أسمر . وعندما رآته ارتسمت في عينيها ابتسامة خفيفة ، ولكن عينيها كانتا تبتسمان أكثر . تكلمت عيناه معه . وأبعد كارتر يديه عن القضبان ، وارتد الى الخلف قليلا بينما كان الحارس يفتح الباب .

وقالت هازل :

— جئت بك بقميص نظيف .

— شكرا يا حبيبتي .

وعانقها ، وتسارعت الدموع خلف عينيها المطبقتين ، وذكرته بدموعه يوم خروجه من السجن وقالت :

— سيكون كل شيء على ما يرام .

شيء في صوتها جعله يتراجع الى الخلف وينظر اليها . وأدرك عندئذ انها كانت تعرف الحقيقة ، وأنها كانت تعرفها

كلها . وألقى نظرة الى ماتيو ايلليس ، وكان واقفا بعيدا ،
وأوما ايلليس اليه برأسه . . لم يكن هناك شك في أنه لا يعرف
شيئا لأن هازل لم تقل له شيئا على الإطلاق .

وسأله ايلليس وهو يشير له بإصبعه الى انه سينتظره في
الخارج :

— انك تريد أن تلبس قميصك النظيف طبعاً .

أخرجت هازل القميص من اللقافة السمراء التي في يدها
وأعطته إياه ، ثم أعطته بعض الأقراص من كيس من الورق
المشمع ، وانتظرت خارج الزنزانة ريثما خلع قميصه القذر وارتدى
القميص النظيف ، وهو يتساءل هل أفرج عن جاويل أو هل
سيستجوبونه بضعة أيام أخرى . لن يتكلم جاويل أبدا للبوليس
لأنه قد يستخدم أقواله ضده ، وإيقن كارتر أنه هو وجاويل لن
يحاول أى منهما أن يلتقى بالآخر أبدا ، ولا أن يتبادلا أية كلمة
على الإطلاق .

أخذ كلوتر قرصا من البانانود أمام حوض الزنزانة مغترفا
الماء بيده كما فعل ذلك مرارا في السجن ، ثم اعتدل ، وزرر
قميصه النظيف المنشى ، رمز حياة جديدة ، وتحول نحو
هازل التي كانت تنظر اليه . لا ريب أنها تحس بما تحس به
ما دامت تنظر اليه بهذه الطريقة . . ان كلا منهما ارتكب حماقات
فظيعة ، ولكن مازال هناك شيء يستطيعان اتقاذه ويستحق

الانقاذ ، فهما لم يدمرا كل شيء ومازالت هناك أشياء كثيرة
إمامهما وسيستقيم كل شيء ، وأخيرا رد لها إبتسامتها .

واقترب أوستريخر من كارتير وهو يخرج من الزنزانة ،
ونظر الى هازل ثم الى كارتير وقال :

— لن تكف عن مراقبتك يا كارتير .

قال كارتير :

— أوه .. اننى أعرف .. أعرف ذلك .

« تمت »

رقم الايداع ١٩٩٢/٥١٣٣

الترقيم الدولى 8 — 3078 — 01 — 977 I.S.B.N.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

بعد شارلوك هولمز وأرسين لو بين والمفتش بواروود
وكابول انضم ريبلى إلى الشخصيات الأدبية البوليسية
الشهيرة بفضل الكاتبة الأميركية باتريشياها يسميث ..
وشخصية ريبلى لعبت الأدوار الرئيسية فى عدة روايات
ومنها هذه الرواية « زنزانة من زجاج » التى تحولت إلى فيلم
سينمائى من إخراج الفريد هيتشكوك ..
وهكذا غمرت شهرة الكاتبة باتريشياها يسميث وبطلها
السيد ريبلى العالم كله وليس فى الولايات المتحدة الأمير
وحدها .

Bibliotheca Alexandrina



0725338